

أهل البيت الشعيرة

الدكتور محمد رجب البجاوي السعدي

دكتوراه فلسفة من جامعة السوربون - باريس



الشَّيْخَةُ هَيْمُ الْفَيْلُ الشَّيْخَةُ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدكتور محمد رجب التيجاني السَّماوي

دكتوراه فلسفة من جامعة السوربون - باريس

الشيعة هم أهل السنة

مؤسسة الفجر
لندن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، الرحمان الرحيم ، قاهر الجبارين والمتكبرين ناصر المظلومين والمستضعفين ، المتفضل على عباده أجمعين من المؤمنين والكافرين والمشركين والملحدين ، المنعم على خلقه كلهم بالهداية والرعاية والتكريم ، فقال جلّ وعلا : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيّبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ (الإسراء : ٧٠) .

والحمد لله الذي أسجّد لنا ملائكته المقربين ومن أبى أصبح من الملائعين ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والحمد لله الذي عبّد لنا الطريق ومهد لنا السبيل لنصل بعنايته وتحت ظلّ عبادته إلى مراتب الكمال العلية ، وأنار لنا الظلام وأوضح لنا الحقيقة بالحجج القويّة والبراهين الجليلة ، وأرسل لنا رُسلًا منّا تتلو علينا آياته وتخرجنا من الظلمات إلى النور وتنقذنا من الضلالة العمية وجعل لنا العقل إماماً قائماً نهتدي به كلّما شكّت حواسنا في أمر مُبهم أو قضية .

والصّلاة والسّلام ، والبركات والتحيّات على المبعوث رحمة للإنسانية ، سيّدنا ومولانا وقائدنا محمّد بن عبد الله خاتم الرّسل وسيّد البشرية ، صاحب الفضيلة والوسيلة والدرجة الرفيعة ، صاحب المقام المحمود واليوم الموعود والشفاعة المقبولة والخلق العظيم وعلى آل بيته الطيّبين الطّاهرين الذين أعلى الله مقامهم

وجعلهم أمان الأمة من الهلكة ومنقذي الملة من الضلالة ونجاة المؤمنين من الغرق، المتمسك بحبل ولائهم مؤمن طيب الولادة، والنائب عن صراطهم منافق رديء الولادة محبتهم ينتظر الرحمة ومبغضهم ليس له إلا النعمة، لا يصل العبد إلى ربه إلا من طريقهم ولا يدخل إلا من بابهم .

ثم الرضوان على شيعتهم ومحبيهم من الصحابة الأولين الذين بايعوهم على نصره الدين، وثبتوا معهم على العهد وكانوا من الشاكرين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة، برحمتك يا أرحم الراحمين .

رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، واجعل كل من يقرأ كتابي يميل إلى الحق بإذتك، ويترك التعصب بمنك وإحسانك، فإنك أنت الوحيد القادر على ذلك ولا يقدر عليه سواك .

فبعزتك وجلالك وبقدرتك وكمالك، وبمحبتك لعبادك افتح بصائر المؤمنين الموحدين الذين آمنوا برسالة حبيبك محمد على الحق الذي لا شك فيه، حتى يهتدوا إليه بفضلك ويعرفوا قيمة الأئمة من آل بيت نبيك، ويتوحدوا لإعلاء كلمة الدين بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة والأخوة الصادقة، فلقد عم الفساد في البر والبحر .

ولولا الصبر الذي خلقته وألهمتنا إيّاه، لدب اليأس إلى قلوبنا ولأصبحنا من الخاسرين، لأنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون . فاجعلنا اللهم من الصابرين ولا تجعلنا من اليائسين .

اللهم، كن لوليّك الحجة ابن الحسن، صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه

السّاعة وفي كلّ ساعة ، وليّاً وحافظاً وقائداً وناصراً ، ودليلاً وعيناً ، حتّى تُسكّنه
أرضك طوعاً وتمتّعه فيها طويلاً ، واجعلنا من أنصاره وأعوانه والمستشّهدين بين
يديه في طاعتك وسبيلك ، إنّك أنت السّميع العليم .

ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت
الوهاب .

ربّنا إنّك جامعُ النّاس ليوم لا ريب فيه ، إنّ الله لا يخلفُ الميعاد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ، اللهم صلّ على محمّد وآله الطيّبين
الطّاهرين .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وبعد .

لقول الرسول (ص) : «مِدادُ العلماء أفضلُ عند الله من دماء الشهداء» .

كان لزاماً على كل عالم أو كاتب أن يكتب للناس ما يراه صالحاً لهدايتهم وإصلاح ذات بينهم وجمع كلمتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، لأنَّ الإنسان إذا ما استشهد في سبيل الله وهي دعوة الحق من أجل إقامة العدل، فقد لا يتأثر به إلا الذي حضره، ولكنَّ العالم الذي يُعلِّم الناس ويكتب قد يتأثر بعلمه كثير من القراء من أبناء جيله ويبقى كتابه مناراً للأجيال اللاحقة جيلاً بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فكل شيء تنقصه النفقة إلا العلم فإنه يزكو بالإنفاق .

وقد قال رسول الله (ص) : «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك ممَّا طلعت عليه الشمس ، أو خيرٌ لك من الدنيا وما فيها» . فكم من كاتب تُوفي منذ قرون عديدة وأصبحت عظامه رميماً ولكنَّ أفكاره وعلومه بقيت من خلال كتابه الذي قد يُطبَّع مئات المرات عبر الأجيال فيستلهم الناس منه الهداية والتوفيق .

وإذا كان الشهيد حياً عند ربه يرزق فكذلك العالم الذي كان سبباً في هداية الناس فهو حيٌّ عند ربه وعند العباد يذكرونه بأحسن ذكر ويدعون له ويستغفرون .

أما أنا فلستُ من العلماء ولا أدعي ذلك لنفسي وأعوذ بالله من الأنانية ، بل أنا من خدام العلماء والباحثين في فضلاتهم واللاحسين من بقاياهم والمتبعين خطاهم كما يتبع الخادمُ سيدهُ .

ولمّا ألهمني الله لكتابة «ثم اهتديتُ» ولقيتُ تشجيعاً من عديد من القراء والباحثين ، ثم أردفته بالكتاب الثاني «لأكون مع الصادقين» والذي لقي هو الآخر قبولاً حسناً ، ممّا شجّعني على مواصلة البحث والتنقيب فكتبْتُ الجزء الثالث «فاسألوا أهل الذكر» دفاعاً عن الإسلام وعن نبي الإسلام لإزالة الشُّبهات التي ألصقت بحضرته المقدسة وكشف المؤامرة التي دُبّرت ضده وضدّ أهل بيته الأطهار .

وتلقيتُ رسائل كثيرة من كلّ أنحاء العالم العربي والإسلامي تحملُ في طياتها عبارات الودّ والولاء والمحبة والإخاء ، كما دُعيتُ لحضور العديد من المؤتمرات الفكرية في أنحاء العالم والتي تُقيمها المؤسسات الإسلامية ، فحضرتها في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الجمهورية الإسلامية وفي بريطانيا وفي الهند والباكستان وفي كينيا وغرب إفريقيا والسويد .

وكلّما التقيتُ مجموعة من الشّباب المثقّف ومن رجال الفكر وجدتُ لديهم إعجاباً وتعطّشاً لمزيد من المعرفة فيسألون هل من مزيد وهل هناك كتابٌ جديد؟

فحمدتُ الله وشكرته على هذا التّوفيق وطلبت منه مزيداً من العناية والهداية ، واستعنت به على هذا الكتاب الذي أضعه بين يدي المسلمين الباحثين ، والذي يدور في فلك الكتب الثلاثة السابقة عسى أن ينتفع به بعض المثقّفين والباحثين عن الحق ليعلموا أنّ الفرقة المستهدفة والتي تسمّى بـ «الشّيعَة الإمامية» هي الفرقة النّاجية ، وأنّهم - أي الشّيعَة - هم أهل السّنة الحقيقيّة ، وأقصد بالسّنة الحقيقيّة السّنة المحمّدية التي صدع بها نبيّ الإسلام بوحي من ربّ العالمين .

فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيّ يوحى ، وسأبيّن للقراء الكرام بأنّ

الاصطلاح الذي اتفق عليه مناوئو الشيعة وخصومهم وتسمّوا بـ «أهل السنة والجماعة» ما هي في الحقيقة إلّا سنة مزعومة سمّوها هم وآباؤهم ، ما أنزل الله بها من سلطان والنبي محمد (ص) منها بريء .

فكم كُذِبَ على رسول الله (ص)، وكم مُنِعَتْ أحاديثه وأقواله وأفعاله أن تصل إلى المسلمين بحجة الخوف من اختلاطها بكلام الله وهي حجة واهية كبيت العنكبوت ، وكم من أحاديث صحيحة أصبحت في سلة المهملات ولا يقام لها وزن ولا يُعبأ بها ، وكم من أوهام وخزعבלات أصبحت من بعده أحكاماً تنسب إليه (ص) .

وكم من شخصيات وضعية يشهد التاريخ بخستها وحقارتها ، أصبحت بعده سادة وقادة تقود الأمة ويلتمس لأخطائها الأعذار والتأويلات .

وكم من شخصيات رفيعة يشهد التاريخ بسُمُوها وشرف منبتها ، أصبحت بعده مهملة لا يُعبأ بها ولا يلتفت إليها ، بل تُكفّر وتُلعن من أجل موافقها النبيلة ، وكم من أسماء براقية جذابة تُخفي وراءها الكفر والضلال ، وكم من قبور تُزار وأصحابها من أهل النار .

وقد عبّر ربّ العزة والجلالة عن كل ذلك بأحسن تعبير فقال : ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد * وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ، فحسبه جهنم ولبس المهاد﴾ (البقرة : 206-207) .

ولعلي لستُ مبالغاً إذا عملتُ بالحكمة القائلة : «لو عكست لأصبت» وعلى الباحث المحقق أن لا يأخذ الأشياء على ما هي عليه بأنها من المُسلمات ، بل عليه أن يعكسها ويشكك فيها في أغلب الأحيان ليصل إلى الحقيقة المطموسة التي لعبت فيها السياسة كلّ أدوارها ، وعليه أن لا يغرّر بالمظاهر ولا بكثرة العدد فقد قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله إن يتبعون إلّا الظنّ وإن هم إلّا بخرصون﴾ (الأنعام : 116) .

فقد يَلْبَسُ الباطلُ لباسَ الحقِّ للتمويه والتضليل وقد يَنْجُحُ في أغلب الأحيان لبساطة عقول الناس أو لحسن ظَنِّهم به وقد ينتصرُ الباطلُ أحياناً لوجود أنصارٍ مؤيدين لَهُ فما على الحقِّ إلَّا الصَّبْرُ وانتظار وعد الله بأن يزَهقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زهوقاً .

وأكبر مثل على ذلك ما حكاه القرآن الكريم في قصّة يعقوب وأولاده ، إذ ﴿جَاؤُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (يوسف : 16 - 17) .

وكان من المفروض لو كانوا من أهل الصدق أن يقولوا : «وما أنت بمؤمن لنا لأنّا كاذبون» .

فما كان من سيّدنا يعقوب وهو نبيُّ الله يُوحَى إليه إلّا أن استسلم إلى باطلهم واستعان بالله على الصَّبْر الجميل رغم علمه بأنهم كاذبون ، قال : ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف : 18) .

وماذا عساه أن يفعل أكثر من ذلك ، وهو يواجه أحدَ عشر رجلاً اتَّفَقوا كلّهم على كلمة واحدة ومثلوا مسرحية القميص والدّم وكلّهم سيكون على أخيهم المفقود .

فهل يكشف يعقوب كذبهم ويدحض باطلهم ويُسارع إلى الحبّ ليخرج ابنه الصّغير الحبيب لقلبه ، ثمّ يُعاقبهم على فعلتهم الشّنيعة؟

كلاً ، إنّ ذلك فعل الجاهلين الذين لا يهتدون بحكمة الله أمّا يعقوب فهو نبيّ يتصرّف تصرّف الحكماء العلماء وقد قال الله في شأنه : ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف : 68) فما كان من علمه وحكمته إلّا أن تولّى عنهم وقال : ﴿يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف : 84) .

ولو تصرّف يعقوب مع أبنائه كما قدّمنا بأن أخرج ابنه من الحبّ وعنّفهم على كذبهم وعاقبهم على جريمتهم لاشتدّ بُغضهم لأخيهم ولوصل بهم الأمر إلى

اغتيال أبيهم وربما عبروا عن ذلك بقولهم لأبيهم : ﴿ تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين ﴾ (يوسف : 85) .

ومن كل هذا نستنتج بأن السكوت في بعض الأوقات مستحب إذا كان في معارضة الباطل مفسدة أو هلاك أو كان في السكوت عن الحق مصلحة عامة ولو آجلة .

ولا بد أن يفهم من الحديث النبوي الشريف القائل : « الساكث عن الحق شيطانٌ أخرس » هذا المدلول الذي يتفق مع العقل ومع كتاب الله المجيد .

ولو تتبعنا حياة الرسول (ص) لوجدناه يسكت في كثير من الأوقات لمصلحة الإسلام والمسلمين حسبما يروى في الصحاح من السيرة النبوية كصلح الحديبية وغيرها .

ورحم الله أمير المؤمنين علياً الذي سكت بعد وفاة ابن عمه بأبي هو وأمي ، وقال في ذلك قوله المشهورة : « وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جداء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه ، فرأيت أن الصبر على هاتين أحجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجاً . . . » .

ولو لم يسكت أبو الحسن عن حقه في الخلافة ، وقدم في ذلك مصلحة الإسلام والمسلمين ، لما كان للإسلام بعد محمد (ص) أن يعيش أبداً على ما رسمه الله ورسوله .

وهذه هي الحقيقة التي يجهلها أكثر الناس الذين يحتجون علينا دائماً بصحة خلافة أبي بكر وعمر لأن علياً سكت عنها ، ويضيفون كما يجلو لهم : « لو كان الرسول (ص) عيناً علياً للخلافة بعده لما جاز له أن يسكت عنها ، لأنها من حقه والساكت عن الحق شيطان أخرس . هذا ما يقولونه ويرددونه .

وهذا لعمري هو الفهم الخاطيء الذي لا يعرف من الحق إلا الذي يتماشى مع ميوله وهواه ، ولا يدرك الحكمة التي تتمخض عن ذلك السكوت والمصالح

الآجلة التي لا تُقدَّر بقيمة إذا ما قيسَتْ بالمصلحة العاجلة نتيجة الثورة على الباطل الذي له أنصارٌ ومؤيِّدون كثيرون .

وإذا كان سكوت رسول الله (ص) يوم الحديبية على الحق وقبوله بشروط قريش وباطل المشركين ، حتَّى ثارت ثورة عمر بن الخطاب فقال للرسول : أولست نبي الله حقاً؟! أولسنا على الحق وهم على الباطل؟ فلماذا نعطي الدنية في ديننا؟ .

أقول : إذا كان سكوته (ص) سلبياً بنظر عمر بن الخطاب وأغلب الصحابة الذين حضروه ، فإنَّ الواقع يثبتُ بلا شك أنه إيجابيٌ لمصلحة الإسلام والمسلمين وإن لم تكن تلك المصلحة عاجلة فقد ظهرت نتائجه الإيجابية بعد عام واحد عندما فتح رسول الله (ص) مكة المكرمة بدون حرب ولا مقاومة ودخل النَّاسُ في دين الله أفواجاً عند ذلك استدعى رسول الله (ص) عمر بن الخطاب وأطلعه على نتائج سكوته عن الحق والحكمة من وراء ذلك .

ونحن إذ نقدّم هذه الاستدلالات للتعبير عن الواقع الذي لا مفرّ منه ألا وهو انتصار الباطل على الحق إذا وُجدَ له أنصارٌ ومؤيِّدون ، فبالرغم من أن عليّاً مع الحق والحق معه يدور حيث دار إلّا أنّه لم يجد له أنصاراً ومؤيِّدين لمقاومة معاوية وباطله ولأنّ هذا الأخير وجد أنصاراً كثيرين لمقاومة الحق ودحضه ، فالنَّاس عبيد الدنيا والذين لعقّ على ألسنتهم فهم لا يحبّون الحق ويميلون مع الباطل فالحق مرٌّ وصعبٌ والباطل سهل ميسور .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون﴾ (المؤمنون : 70) .

وانتصر باطل يزيد على حقّ الحسين لنفس الأسباب كما انتصر باطل الحكّام الأمويين والعباسيين على حقّ الأئمة من أهل البيت الذين استشهدوا كلّهم ساكتين لمصلحة الإسلام والمسلمين .

كما غاب الإمام الثاني عشر واختفى خوفاً من الباطل وسكت حتَّى يجد لنصرة الحق أعواناً ومؤيِّدين ، عند ذلك يأذن الله له بالخروج لتكون ثورة الحق

ضدّ الباطل عالمية ، فيملأها عدلاً وقسطاً كما مُلِئت ظُلماً وجوراً وبتعبير آخر يملأها حقاً بعدما مُلِئت بالباطل .

وبما أنّ أكثر الناس للحقّ كارهون فهم أنصار الباطل ويبقى في الناس عدد قليل محبّ للحقّ فلا ينتصرون على أهل الباطل إلّا بإعانة الله لهم عن طريق المعجزات ، وذلك ما سجّله كتاب الله الكريم في كل المعارك والحروب التي جمعت أهل الحقّ ضدّ أهل الباطل ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصّابرين﴾ (البقرة: 249) .

فالذين يصبرون على الحقّ رغم قلة أعوانه ينصرهم الله سبحانه بالمعجزات فيبعث الملائكة المسوّمين يُقاتلون معهم ، ولولا تدخل الله مباشرة لما انتصر الحقّ على الباطل أبداً .

وها نحنُ نعيش اليوم هذه الحقيقة المؤلمة ، والمؤمنون الصّادقون أنصار الحقّ مغلوبون على أمرهم ومقهورون مشردون ومنكوبون ، بينما أنصار الباطل الذين يكفرون بالله يحكمون ويلعبون بمصير الشعوب وبأرواحهم ولا يمكن للمؤمنين المستضعفين أن ينتصروا في معركتهم ضدّ الكافرين المستكبرين إلّا بإعانة الله تعالى ، ولذلك وردت الروايات بأنّ المعجزات ستظهر بظهور المهدي (ع) .

وليست هذه دعوةً للركود والانتظار ، كيف يصحّ ذلك وقد قدّمتُ آنفاً بأنّه لا يظهر إلّا بوجود الأنصار والأعوان ، ويكفي المؤمنين الصّادقين أن يحملوا فكر الإسلام الصحيح المتمثّل في ولاية أهل البيت - أعني بذلك التمسك بالثقلين كتاب الله وعتره النّبي - ليكونوا من أنصار وأعوان المهدي المنتظر (عليه وعلى آبائه أفضل الصّلاة وأزكى السّلام) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله إن كنتُ مُخطئاً على رأي الأكثرية من النّاس ، ومُصيباً على رأي الأقلية منهم ، فلا أبالي بلوم الأكثرية ولا أباهي بمدح الأقلية مادمتُ أبتغي رضا الله ورسوله ورضا الأئمة من أهل البيت (ع) .

أما رضا النّاس فهو غاية لا تُدرك ، لأنّ النّاس لا يرضون إلّا عمّا يعجبهم ولا

يميلون إلّا مع أهوائهم ، وأهواؤهم شتى ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت
السموات والأرض ومن فيهن . . . ﴾ (المؤمنون : 71) .

وإذا كان أغلب الناس معرضين عن الحق حتّى وصل بهم الأمر إلى قتل رُسل
الله معاندة للحقّ الذي لا يتماشى مع أهوائهم قال تعالى : ﴿أفكلّمنا جاءكم
رسولٌ بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون﴾
(البقرة : 87) .

فلا غضاضة عليّ إنّ أهنّت أو لُعنّت على لسان البعض منهم الذين لم
يتحمّلوا الحقّ الذي صدعتُ به في كُتُبي السابقة وقد أعيتهم الحيلة في الردّ عليّ
بالحجّة والدليل العلمي فلجأوا للسبّ والشتم كما هي عادة الجاهلين .

فلا ولن أخضع للمساومات ولا للترهيب والترغيب وسأكون المدافع بلساني
وقلمي عن رسول الله وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) ، عسى أن أحظى
لديهم بالقبول فأكون من الفائزين . وما توفّقي إلّا بالله عليه توكلتُ وإليه
أُنِيب .

محمد التيجاني السماوي التونسي

التعريف بالشّية

إذا أردنا الكلام عن الشيعة⁽¹⁾ بدون تعصب ولا تكلف، قلنا : هي الطائفة الإسلامية التي تُوالي وتقلّد الأئمة الاثني عشر من أهل بيت المصطفى علياً وبنيه، وترجع إليهم في كل المسائل الفقهيّة من العبادات والمعاملات، ولا يفضلون عليهم أحداً سوى جدّهم صاحب الرسالة محمّداً رسول الله (ص). هذا هو التعريف الحقيقي للشيعة بكلّ اختصار، ودعك من أقوال المرجفين والمتعصبين من أنّ الشيعة هم أعداء الإسلام، أو أنّهم يعتقدون بنبوّة علي وأنّه صاحب الرسالة أو أنّهم ينتمون إلى عبد الله بن سبأ اليهودي . وقد قرأت كتباً ومقالات عديدة يُحاول أصحابها بكلّ جهودهم تكفير الشيعة وإخراجهم من الملة الإسلامية .

ولكن أقوالهم كلّها محض افتراء وكذبٌ صريح لم يأتوا عليه بحجّة ولا بدليل سوى أنّهم يُعيدون ما قاله أسلافهم من أعداء أهل البيت، والنواصب الذين تسلّطوا على الأمة وحكموها بالقوّة والقهر، وتتبّعوا عترة النّبي ومن تشيّع لهم فقتلوهم وشرّدوهم ونبرّوهم بكلّ الألقاب .

ومن هذه الألقاب التي تتردّد كثيراً في كتب أعداء الشيعة لقب الرافضة، أو الروافض . فيخيّل للقارئ لأوّل وهلة أنّ هؤلاء رفضوا قواعد الإسلام ولم يعملوا بها، أو أنّهم رفضوا رسالة النّبي محمّد (ص) ولم يقبلوا بها .

(1) ونقصد بالشيعة هنا، (الإمامية الاثني عشرية) والمسماة أيضاً بالجعفرية نسبة للإمام جعفر الصادق، ولا يتعلّق بحثنا بالفرق الأخرى كالإسماعيلية والزيدية ولا يهتّمنا من أمر هؤلاء مادامنا نعتقد بأنّهم كسائر الفرق الأخرى التي لم تتمسك بحديث الثقلين، ولا ينفع اعتقادهم بإمامة علي بعد رسول الله مباشرة .

ولكنَّ الواقع غير هذا، إنَّما لُقِّبوا بالروافض لأنَّ الحكَّام الأوَّلين من بني أمية وبني العباس ومن يتزلف إليهم من علماء السوء أرادوا تشويههم بهذا اللُّقب، لأنَّ الشيعة والوا عليّاً ورفضوا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان أوَّلاً، كما رفضوا خلافة كلِّ الحكَّام من بني أمية وبني العباس ولم يقبلوا بها ثانياً.

ولعلَّ هؤلاء كانوا يُموِّهون على الأُمَّة بإعانة بعض الوضّاعين من الصحابة بأنَّ خلافتهم شرعيةٌ لأنَّها بأمر الله سبحانه، فكانوا يُروِّجون بأنَّ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: 59) تخصُّهم ونازلة في حقِّهم، فهم أوَّلوا الأمر الواجبة طاعتهم على كلِّ المسلمين، وقد استأجروا من يروي لهم كذباً عن رسول الله (ص) قول: «ليس أحدٌ خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلَّا مات ميتةً جاهلية» فليس من حقِّ أيِّ مسلم أن يخرج عن طاعة السلطان.

وبهذا نفهم بأنَّ الشيعة إنَّما استُهدفوا من قبل الحكَّام لأنَّهم رفضوا بيعتهم ولم يقبلوا بها واعتبروها اغتصاباً لحقِّ أهل البيت، فكان الحكَّام وعلى مرِّ العصور يُوهمون العامة بأنَّ الشيعة رافضون للإسلام بل يريدون هدمه والقضاء عليه، كما عبَّر عن ذلك بعض الكتَّاب والمؤرِّخين ممَّن يدَّعي العلم من السَّابقين واللاحقين.

وإذا رجعنا إلى لعبة تلبيس الحقِّ بالباطل فسنذكر بأنَّ هناك فرقاً بين مَنْ يُريد هدم الإسلام وبين مَنْ يُريد هدم الحكومة الجائرة الفاسقة التي تعمل ضد الإسلام.

فالشيعة لم يخرجوا على الإسلام، إنَّما خرجوا على الحكَّام الجائرين وهدفهم إرجاع الحقِّ إلى أهله لإقامة قواعد الإسلام بالحاكم العادل. وعلى كلِّ حال فالذي عرفناه خلال البحوث السابقة من كتاب «ثمَّ اهتديت» و«مع الصادقين» و«أهل الذِّكر» أنَّ الشيعة هم الفرقة الناجية لأنَّهم تمسَّكوا بالثقلين كتاب الله وعتره الرسول (ص).

وإذا أنصفنا المنصفين، فإنَّ البعض من علماء «أهل السنة» يعترف بهذه الحقيقة، فقد قال ابن منظور في كتابه «لسان العرب» في تعريف الشيعة:

«والشيعة هم قومٌ يهون هوى عترة النبي ويوالونهم» كما يقول الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور بعد استعراض هذا المقطع من الكتاب المذكور:

«وإذا كان الشيعة هم الذين يهون هوى عترة النبي ويوالونهم فَمَنْ من المسلمين يرفض أن يكون شيعياً؟!» .

هذا وقد ولّى عصر التعصّب والعداوة الوراثية ، وأقبل عهد النّور والحرية الفكرية ، فعلى الشباب المثقّف أن يفتح عينيه ، وعليه أن يقرأ كتب الشيعة ويتصل بهم ويتكلّم مع علمائهم كي يعرف الحقّ من باه ، فكم خُدِغنا بالكلام المعسول وبالأراجيف التي لا تثبّت أمام الحجة والدليل .

والعالم اليوم في متناول الجميع ، والشيعة موجودون في كلّ بقاع الدنيا من هذه الأرض ، وليس من الحقّ أن يسأل الباحث عن الشيعة أعداء الشيعة وخصومهم الذين يخالفونهم في العقيدة ، وماذا ينتظر السائل من هؤلاء أن يقولوا في خصومهم منذ بداية التاريخ ؟

فليست الشيعة فرقة سرّية لا تُطلع على عقائدها إلّا مَنْ ينتمي إليها ، بل كتبها وعقائدها منشورة في العالم ، ومدارستها وحوزاتها العلمية مفتوحة لكلّ طلاب العلم ، وعلماءهم يُقيمون الندوات والمحاضرات والمناظرات والمؤتمرات ، ويُنادون إلى كلمة سواء وإلى توحيد الأمة الإسلامية .

وأنا على يقين بأنّ المنصفين من الأمة الإسلامية إذا ما بحثوا في الموضوع بجدّ سوف يستبصرون إلى الحقّ الذي ليس بعده إلّا الضلال لأنّ مانعهم من الوصول هو فقط وسائل الدعاية المغرضة والإشاعة الكاذبة من أعداء الشيعة أو تصرف خاطيء من بعض عوام الشيعة⁽¹⁾ .

ويكفي في أغلب الأحيان أن تُزاح شبهة واحدة أو تنمحي خرافة باطلة* حتى ترى مَنْ كان عدوّاً للشيعة يصبحُ منهم .

(1) ستعرف في آخر هذا الكتاب بأنّ أعمال بعض العوام من الشيعة ينفر الشباب المثقّف من أهل السنة ولا يشجعهم على مواصلة البحث للوصول إلى الحقيقة .

ويحضرني في هذا الصدد قصة الشامي الذي ضلّته وسائل الإعلام في ذلك العهد، عندما دخل المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول الأعظم (ص) وجد رجلاً يركب فرسه عليه هيبة ووقار وحوله كوكبة من أصحابه يحوطونه من كل جانب وهم طوع وإشارته .

استغرب الشامي وتعجب أن يكون في الدنيا رجلٌ له من الهالة والتعظيم أكثر من معاوية في الشام فسأل عن الرجل ، ف قيل له : إنه الحسن بن علي بن أبي طالب ، قال : هذا هو ابن أبي تراب الخارجي؟ ثم أولغ سباً وشتماً في الحسن وأبيه وأهل بيته .

وشهر أصحاب الحسن سيوفهم كلّ يريد قتله ، ومنعهم الإمام الحسن ونزل عن جواده فرحّب به ولطفه قائلاً له :

يبدو أنك غريب عن هذه الديار يا أخا العرب؟ قال الشامي : نعم أنا من الشام من شيعة أمير المؤمنين وسيد المسلمين معاوية بن أبي سفيان ، فرحّب به الإمام من جديد وقال له : أنت من ضيوفي وامتنع الشامي ولكنّ الحسن لم يتركه حتّى قبل النزول عنده وبقي الإمام يخدمه بنفسه طيلة أيام الضيافة ويلطفه ، فلمّا كان اليوم الرابع بدا على الشامي الندم والتوبة ممّا صدر منه تجاه الحسن بن علي وكيف يسبّه ويشتمه فيقابله بالإحسان والعفو وحُسن الضيافة ، فطلب من الحسن ورجاه أن يُسامحه على ما صدر منه وكان بينهما الحوار التّالي بمحضر من أصحاب الحسن :

الحسن : أقرأت القرآن يا أخا العرب؟

الشامي : أنا أحفظ القرآن كلّهُ .

الحسن : هل تعرف مَنْ هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهرهم؟

الشامي : إنهم معاوية وآل أبي سفيان .

استغرب الحاضرون وتعجبوا وابتسم له الحسن قائلاً : أنا الحسن بن علي وأبي

هو ابن عمّ رسول الله وأخوه، وأمّي فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين، وجدّي رسول الله سيّد الأنبياء والمرسلين وعمّي حمزة سيّد الشهداء وجعفر الطيّار، ونحن أهل البيت الذي طهّرنا الله سبحانه وافترض مودّتنا على كلّ المسلمين ونحن الذين صلّى الله وملائكته علينا وأمر المسلمين بالصلاة علينا، وأنا وأخي الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة .

وعدّد له الإمام الحسن بعض فضائل أهل البيت وعرفه حقيقة الأمر فاستبصر الشامي وبكى وأخذ يقبّل أنامل الحسن ويلثم وجهه معتذراً عما صدر منه في حقّه قائلاً :

والله الذي لا إله إلا هو إنّني دخلتُ المدينة وليس لي على وجه الأرض أبغض منكم ، وها أنا أخرج منها وليس على وجه الأرض أحبّ إليّ منكم ، وإنّي أتقرّب إلى الله سبحانه بحبّكم ومودّتكم وموالاتكم والبراءة من أعدائكم .

التفت الإمام الحسن إلى أصحابه قائلاً :

لقد أردتم قتله وهو بريء لأنّه لو عرف الحقّ ما كان ليعانده وإنّ أكثر المسلمين في الشام مثله لو عرفوا الحقّ لاتبعوه .

ثمّ قرأ قول الله تعالى : ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم﴾ (فصلت : 34) .

نعم هذا هو الواقع الذي يجهله أكثر الناس مع الأسف فكم من إنسان يُعادي الحقّ ويُعانده ردحاً من عمره ، حتّى يكتشف في يوم من الأيام أنّه على خطأ فيُسارع بالتوبة والاستغفار وهذا هو واجب كل إنسان فقد قيل : «الرجوع للحقّ فضيلة» .

وإنّما المصيبة في الذين يرون الحقّ عياناً ويلمسونه بأيديهم ثمّ يقفون ضده ويحاربونه من أجل أغراض خسيسة ودنيا دنيئة وأحققاد دفينّة .

وهذا النمط من الناس ، قال في حقّهم ربّ العزّة والجلالة : ﴿وسواء عليهم أنْذرتهم أم لم تُنذرهم لا يؤمنون﴾ (يس : 10) . فلا فائدة في تضييع الوقت معهم وحرق الأعصاب من أجلهم ، وإنّما الواجب علينا أن نضحّي بكلّ شيء

مع أولئك المنصفين الذين يبحثون عن الحق ويبدلون جهدهم للوصول إليه والذين قال في حقهم رب العزة والجلالة : ﴿ إِنَّمَا تُنذِر مَن اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ (يس : 11).

فعلى المستبصرين من الشيعة في كل مكان أن ينفقوا من أوقاتهم ومن أموالهم في سبيل التعريف بالحق لكل أبناء الأمة الإسلامية ، فلم يكن أئمة أهل البيت حكرة على الشيعة وحدهم ، إنما هم أئمة الهدى ومصابيح الدجى لكل المسلمين .

وإذا بقي الأئمة من أهل البيت مجهولين لدى عامة المسلمين وخصوصاً منهم المثقفين من أبناء «أهل السنة والجماعة» فإن الشيعة يتحملون مسؤولية ذلك عند الله .

كما إذا بقي الناس كفاراً وملحدين لا يعرفون دين الله القويم الذي جاء به محمد (ص) سيد المرسلين ، فالمسؤولية على كل المسلمين .

التعريف بأهل السنّة

هم الطائفة الإسلامية الكبرى التي تمثّل ثلاثة أرباع المسلمين في العالم، وهم الذين يرجعون في الفتوى والتقليد إلى أئمة المذاهب الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل .

وقد تفرّع عنها فيما بعد ما يسمّى بالسلفية التي جدّد معالمها ابن تيمية الذي يسمّونه مجدّد السنّة، ثمّ الوهابية التي ابتدعها محمد بن عبد الوهاب، وهو مذهب السّعودية .

وكّل هؤلاء يُسمّون أنفسهم «بأهل السنّة» وفي بعض الأحيان يضيفون كلمة الجماعة، فيقال «أهل السنّة والجماعة» .

وبيّنتُ لنا من خلال البحث التاريخي أنّ كلّ مَنْ انتمى إلى ما يُسمّى عندهم بالخلافة الرّاشدة، أو الخلفاء الرّاشدين وهم «أبو بكر وعمر وعثمان وعلي»⁽¹⁾ واعترف بإمامتهم سواء في عهدهم أو في عصرنا فهو سُنيّ من «أهل السنّة والجماعة» .

وكل من رفض تلك الخلافة واعتبرها غير شرعية، وقال بثبوت النصّ على علي بن أبي طالب فهو شيعيّ من أهل الرّفص .

وبيّنتُ لنا أيضاً أنّ كل الحكّام، من أبي بكر وإلى آخر خلفاء بني العبّاس

(1) سيّبتُ لنا في أبحاث لاحقة بأنّ «أهل السنّة والجماعة» لم يُلحقوا عليّ بن أبي طالب بالخلفاء الرّاشدين الثلاثة إلّا في زمن متأخر جدّاً .

هم راضون على أهل السنة ومتفقون تماماً معهم ، وغاضبون ومُتقِمون من الذين تشيعوا لعلي بن أبي طالب وبايعوه بالخلافة كما بايعوا أولاده من بعده .

وعلى هذا الأساس فإنّ علي بن أبي طالب وشيعته لم يكونوا معدودين عندهم من «أهل السنّة والجماعة» وكأنّ هذا الاصطلاح - يعني «أهل السنّة والجماعة» قد وُضِعَ في مقابل علي وشيعته ، وهو حسب اعتقادي السَّبب الرئيسي في تقسيم الأُمّة الإسلامية بعد وفاة الرسول إلى سنّة وشيعة .

وإذا رجعنا لتحليل الأسباب وكشف الأستار حسب المصادر التاريخية الموثوقة لوجدنا أنّ هذا التقسيم ظهر عقيب وفاة الرسول (ص) مباشرة وبدون فصل ، إذ أنّ الأمر استتبّ لأبي بكر باعتلائه منصّة الخلافة وأيدته الأغليّة الساحقة من الصّحابة ، وعارضه علي بن أبي طالب وبنو هاشم وقلة قليلة من الصّحابة الذين كانوا في أغلبهم من الموالي .

وبديهي أنّ السّلطة الحاكمة أقصت هؤلاء وأبعدتهم واعتبرتهم خارجين من الصّفّ الإسلامي ، وعملت كلّ جهودها على شلّ معارضتهم بكلّ الأساليب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

ومن المعلوم أنّ «أهل السنّة والجماعة» اليوم ، لا يُدركون الأبعاد السياسيّة التي لعبت في تلك العصور ، ومدى العداوة والبغضاء التي أولدتها تلك الأدوار الخبيثة في عزل وإبعاد أعظم شخصية عرفها تاريخ البشرية بعد الرسول محمّد (ص) . و «أهل السنّة والجماعة» في هذا العصر يظنّون أو يعتقدون بأنّ الأمور كانت على أحسن ما يُرام وأنها تدور وفق الكتاب والسنّة في زمن الخلفاء الراشدين وأنّ هؤلاء كانوا يتشبهون بالملائكة فكانوا يحترمون بعضهم ولم تكن بينهم أحقاد ولا مطامع ولا نوايا سيّئة .

ولكلّ ذلك تراهم يرفضون كل ما يقوله الشيعة في الصحابة عامّة وفي الخلفاء الراشدين منهم خاصّة .

وكانّ «أهل السنّة والجماعة» لم يقرأوا كتب التاريخ التي سجّلها علماءهم ، واكتفوا فقط بما يسمعون من أسلافهم من مديح وإطراء وإعجاب بعامّة

الصَّحابة وخصوصاً منهم الخلفاء الراشدين ، ولو فتحوا قلوبهم وأبصارهم
وتصفَّحوا تاريخهم وكتب الحديث عندهم طلباً للحقِّ ومعرفة الصَّواب لغيروا
عقيدتهم ليس في الصحابة فحسب ولكن في كثير من الأحكام التي يعتبرونها
صحيحة وما هي كذلك .

وإني أحاول بهذا المجهود المتواضع أن أُبين لإخواني من «أهل السنة
والجماعة» بعض الحقائق التي طفحت بها كتب التاريخ ، وأخرج لهم باختصار
وجيز النصوص الجلية التي تدحض الباطل وتظهر الحق ، عسى أن يكون في
ذلك الدواء الناجع لتشتت المسلمين واختلافهم ويعمل على توحيدهم وجمع
كلمتهم .

وإن «أهل السنة والجماعة» كما أعرفهم اليوم ليسوا متعصبين ، وليسوا ضدَّ
الإمام علي وأهل البيت ، بل إنهم يحبُّونهم ويحترمونها ولكنهم في نفس الوقت
يحبُّون ويحترمون أعداء أهل البيت ويقتدون بهم باعتبار «كلهم من رسول الله
ملتبس» .

و«أهل السنة والجماعة» لا يعملون بقاعدة الولاء لأولياء الله والبراءة من أعداء
الله ، بل يُلقُّون بالموءدة للجميع ويترضون على معاوية بن أبي سفيان كما يترضون
على علي بن أبي طالب .

وقد بهرهم هذه التسمية البراقة (أهل السنة والجماعة) ولم يعرفوا خفاياها
ودسائسها التي وضعها دُعاة العرب ولو علموا يوماً بأنَّ علي بن أبي طالب هو
محض السنة المحمدية وهو بابها الذي يؤتى منه للدخول إليها ، قد خالفوه في
كل شيء وخالفهم ، لتراجعوا عن موقفهم ولبحثوا الموضوع بجَدٍّ ، ولما وجدت
«أهل السنة» إلا شيعةً لعلي وللرسول (ص) ولكل ذلك لا بدَّ من كشفِ
حقيقي لتلك المؤامرة الكبرى التي لعبت أخطر الأدوار في إقصاء السنة
المحمدية ، وإبدالها ببدع جاهلية سبَّحت نكسة المسلمين وارتدادهم عن
الصراط المستقيم وتفرَّقهم واختلافهم ثم تكفير ومقاتلة بعضهم البعض ،
الشيء الذي سبَّب تخلفهم العلمي والتقني ممَّا أدَّى إلى احتلالهم وغزوهم ثم
إذلالهم وتحقيرهم وتذويبهم .

وبعد هذا الاستعراض الوجيز للتعريف بالشَّيعة وبالسَّنة لا بدّ من الملاحظة بأنّ اسم الشيعة لا يعني معارضة السَّنة كما يتوهم عامّة النَّاس عندما يتباهون بقولهم : نحن أهل السَّنة ؛ ويقصدون بأنّ غيرهم ضد السَّنة ، فهذا لا يوافق عليه الشيعة أبداً ، بل إنّ الشيعة يعتقدون بأنهم وحدهم المتمسّكين بسَّنة النَّبي الصحيحة لأنهم أتوها من بابها وهو علي بن أبي طالب ولا بابٍ سِواه وعلى رأيهم لا يمكن الوصول إلى الرسول إلّا عن طريقه .

ونحن كالعادة في توخّي الحياد للوصول إلى الحقّ لا بدّ أن نتدرّج بالقارىء العزيز، ونستعرض معه بعض الأحداث التاريخية ونقدّم إليه الدليل والبرهان على أنّ الشيعة هم أهل السَّنة كما جاء عنوان الكتاب .
ونترك له بعد ذلك حرّية الاختيار والتعليق .

أول حادث فرّق المسلمين إلى شيعة وسنة

ذلك هو الموقف الرّهب والخطر الذي وقفه عمر بن الخطاب وأكثر الصحابة تجاه أمر رسول الله (ص) عندما أراد أن يكتب لهم ذلك الكتاب الذي يعصم المسلمين من الضلالة⁽¹⁾.

وعارضوه بشدة وقساوة وعدم احترام لمقامه السامي حتّى اتهموه بالهجر والهذيان، مُدّعين بأنّ كتاب الله يكفيهم فلا حاجة لكتابة الرّسول.

ومن خلال هذه الحادثة التي سهاها ابن عباس رزية المسلمين يتبيّن لنا بأنّ الأكثرية من الصحابة يرفضون السنّة النبوية ويقولون: «حسبنا كتاب الله».

أمّا علي وأتباعه من الصحابة وهم الأقلية والذين سهاهم رسول الله (ص) بشيعة علي، فكانوا يمثلون أوامر الرّسول بدون اعتراض ولا نقاش ويعتبرون كلّ أقواله وأفعاله سنّة واجبة الاتّباع تماماً ككتاب الله، ألم يقل كتاب الله:

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول﴾ (النساء: 59).

وسيرة عمر بن الخطاب معروفة عند كلّ المسلمين ومواقفه المعارضة للنّبي في كلّ أدوار حياته مشهورة⁽²⁾.

وبطبيعة الحال فإنّ عمر بن الخطاب كان يرى عدم التقيد بالسنّة النبوية، ويظهر ذلك جليّاً من خلال أحكامه عندما أصبح أميراً للمؤمنين فكان يجتهد

(1) رزية يوم الخميس مشهورة في صحيح البخاري وصحيح مسلم.

(2) لقد وافينا البحث لمعارضة عمر للنّبي (ص) في كتابنا «فاسألوا أهل الذكر».

برأيه مقابل النصوص النبوية بل كان يجتهد برأيه مقابل النصوص الإلهية الجلية
فيحرم ما أحل الله ويحلل ما حرم الله⁽¹⁾.

وبطبيعة الحال إن أنصاره ومؤيديه من الصحابة كانوا على شاكلته، وإن
محبّيه والمعجبين به من السلف والخلف يقتدون به وبيدعه الحسنة كما يُسمونها.
وسياتي خلال الأبحاث القادمة بأنهم يتركون سنة النبي (ص) ويتبعون سنة
عمر بن الخطاب.

(2) كتحريمه سهم المؤلفة قلوبهم ومتعة الحج ومتعة النساء التي حللها الله وتحليله طلاق الثلاث بطلقة
واحدة وقد حرم الله ذلك.

الحادث الثاني في مخالفتهم للسنة النبوية

ذلك هو رفضهم الالتحاق بجيش أسامة الذي عبّاه رسول الله (ص) بنفسه وأمرهم بالسّير تحت قيادته ، يومين قبل وفاته (ص).

ووصل الأمر بهم إلى الطعن برسول الله (ص) وانتقاده إذ ولى عليهم شاباً صغيراً لا نبات بعارضيه عمره سبعة عشر عاماً .

وتخلّف عن السّير أبو بكر وعمر وبعض الصّحابة ولم يلتحقوا بالجيش بدعوى إدارة أمر الخلافة رغم لعن الرسول لمن تخلّف عن أسامة⁽¹⁾.

أمّا علي وأتباعه فلم يعيّنهم رسول الله (ص) في الجيش وذلك لحسم الخلاف ، وليصفو الجوّ ويخلو من أولئك المعاندين والمعارضين لأمر الله ، فلا يرجعوا من مؤتة إلّا والأمر قد استتبّ لعلي كما يريد الله ورسوله في خلافة النّبي (ص).

لكنّ دهاة العرب من القرشيين عرفوا ذلك منه ، فرفضوا الخروج من المدينة وتباطأوا حتى لحق الرّسول برّبه ، فأبرموا أمرهم كما خطّطوا له من قبل ، وأبعدوا ما أراده رسول الله (ص) أو بعبارة أخرى رفضوا السنة النبوية .

وبهذا يتبيّن لنا ولكلّ باحث أنّ أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وأبا عبيدة عامر بن الجراح كانوا يرفضون السنة النبوية ويجتهدون بآرائهم جرياً وراء المصالح الدنيوية ومن أجل الخلافة ولو كلّفهم ذلك معصية الله ورسوله .

(1) إقرأ كتاب الملل والنحل للشهرستاني قول النّبي : لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة ج 1 ، ص 29 .

أما علي والصحابة الذين اتبعوه فكانوا يتقيدون بالسنة النبوية ويعملون على تنفيذها حرفياً ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وقد رأينا علياً (ع) في تلك المحنة كيف أنه تقيد بوصية النبي له على أن يقوم بتغسيله وتكفينه والصلاة عليه ومواراته في قبره، فنقد علي كل أوامره ولم يشغله عن ذلك شاغل، ورغم علمه المسبق بأن الجماعة تسابقوا إلى السقيفة لاختيار أحدهم للخلافة، وكان بإمكانه أن يسارع إليها هو الآخر ويفسد عليهم تخطيطهم ولكن احترامه للسنة النبوية والعمل على تطبيقها يحتم عليه البقاء بجانب ابن عمه ولو كلفه ذلك ضياع الخلافة.

ولا بد لنا هنا من وقفة ولو قصيرة، لنلاحظ الخلق العظيم الذي ورثه علي من المصطفى (ص).

ففي حين يزهّد علي في الخلافة من أجل تنفيذ السنة نرى الآخرين يرفضون السنة من أجل الخلافة.

الحادث الثالث الذي أبرز الشيعة في مقابل «أهل السنة»

ذلك هو الموقف الخطير الذي وقفه أغلب الصحابة في السقيفة ليُخالفوا صراحة النصوص النبوية التي نصبت علياً للخلافة وقد حضروها كلهم يوم الغدير بعد حجة الوداع.

ورغم اختلاف المهاجرين والأنصار في أمر الخلافة إلا أنهم تصافقوا في الأخير على ترك النصوص النبوية وتقديم أبي بكر للخلافة ولو كلفهم ذلك زهق النفوس، وشمروا على سواعدهم لقتل كل من تحدّثه نفسه بمخالفتهم ولو كان من أقرب الناس للنبي (ص)⁽¹⁾.

وهذا الحادث أبرز أيضاً أنّ الأغلبية الساحقة من الصحابة عاضدوا أبا بكر وعمر في رفض سنة نبيهم وإبداها باجتهاداتهم، فهم أنصار الاجتهاد.

كما أبرز في المقابل الأقلية من المسلمين الذين تمسكوا بالنصوص النبوية وتحلّفوا عن البيعة لأبي بكر وهم علي وشيعته.

نعم، لقد ظهر في المجتمع الإسلامي بعد الأحداث الثلاثة المذكورة، هوية الفريقين أو الحزبين المتعارضين، يعمل أحدهما على احترام السنة النبوية وتنفيذها، ويعمل الثاني على دحض السنة النبوية وطمسها وإبداها بالاجتهاد الذي يُطمع الأكثرية ويؤمنهم بالوصول إلى الحكم أو المشاركة فيه.

(1) وأكبر دليل على ذلك تهديد عمر بن الخطاب بحرق بيت فاطمة الزهراء بمن فيها، والقصة مشهورة في كتب التاريخ.

برز على رأس الحزب الأول السنّي علي بن أبي طالب وشيعته، وبرز على رأس الحزب الثاني الاجتهادي أبو بكر وعمر وأغلب الصحابة .

وعمل الحزب الثاني بقيادة أبي بكر وعمر على تحطيم وكسر شوكة الحزب الأول ودبروا لذلك عدّة تدابير للقضاء على الحزب المعارض، من ذلك :

أولاً: عزل المعارضة وشلّها اقتصادياً

أول مبادرة بادر بها الحزب الحاكم هو إقصاء المعارضين عن كلّ موارد الرزق والمال . وقد عمد أبو بكر وعمر على طرد فلاحي فاطمة من فدك⁽¹⁾ واعتبرا تلك الأرض ملكاً للمسلمين، وليست خالصة لفاطمة كما أقرّ بذلك أبوها (ص) .

كما حرماها من ميراث أبيها بدعوى أنّ الأنبياء لا يُورثون، وقطعا عنها سهم الخمس الذي كان رسول الله يخص به نفسه وأهل بيته لأنّ الصدقات محرّمة عليهم .

وبذلك أصبح علي مشلولاً اقتصادياً فقد اغتُصبت منه أرض فدك التي كانت تدرّ عليه أرباحاً هائلة، وكذلك حُرّم من ميراث ابن عمّه والذي هو حقّ من حقوق زوجته، وقُطع عنه سهم الخمس، فأصبح علي وزوجته وأولاده في حاجة لمن يسدّ رمقهم ويكسو أجسامهم، وهو بالضبط ما عبّر عنه أبو بكر عندما قال للزهاء: نعم أنت لك الحقّ في الخمس ولكنّي سوف أعمل فيه عمل رسول الله، فلا أتركك تجوعين ولا تعرين .

وكما قدّمنا فإنّ الصحابة الذين تشيّعوا لعلي أغلبهم من الموالى الذين لا ثراء لهم، فلا يخشى الحزب الحاكم منهم ولا من تأثيرهم، فالناس يميلون للغني ويحتقرون الفقير.

(1) قصة فدك معروفة في كتب التاريخ، وخصام الزهراء لأبي بكر حتى ماتت وهي غاضبة عليه مشهورة ذكرها البخاري ومسلم .

ثانياً : عزل المعارضة وسلّها اجتماعياً

ولأجل إسقاط الصف المعارض الذي يتزعمه علي بن أبي طالب فقد عمل الحزب الحاكم أيضاً على عزله اجتماعياً .

وأول شيء فعله أبو بكر وعمر هو تحطيم الحاجز النفسي والعاطفي الذي يحمل المسلمين كافة على احترام وتقدير قرابة الرسول الأعظم (ص) .

وإذا كان علي هو ابن عم النبي وسيد العترة الطاهرة ، قد وُجد له مُبغضون ضمن الصحابة الذين كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من فضله ، فضلاً عن المنافقين الذين كانوا يترتبصون به .

فإن فاطمة هي وحيدة النبي التي بقيت بعده في أمته وهي أم أبيها كما كان يسميها الرسول (ص) وسيدة نساء العالمين فكلّ المسلمين يحترمونها ويعظمونها للمكانة التي حظيت بها عند أبيها وللأحاديث التي قالها في فضائلها وشرفها وطهارتها .

ولكنّ أبا بكر وعمر عمداً إلى إسقاط هذا الاحترام والتقدير من نفوس الناس ، فجاء عمر بن الخطاب إلى بيت الزهراء وفي يده قبس من نار وطوق بيته بالحطب وأقسم أن يحرقها بمن فيها إن لم يخرجوا لبيعة صاحبه .

يقول ابن عبد ربّه في العقد الفريد⁽¹⁾ :

«وأما علي والعبّاس والزيير فقعدوا في بيت فاطمة حتّى بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليُخرجهم من بيت فاطمة وقال له : إنّ أبوا فقاتلهم ، فأقبل بقبس من نار على أن يضرهم عليهم الدّار فلقيتُهُ فاطمة فقالت : يا ابن الخطاب أجنّت لتحرق دارنا؟

قال : نعم أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمة»⁽¹⁾ .

فإذا كانت فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين كما جاء في صحاح «أهل السنة والجماعة» ، وإذا كان ولداها الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وريحانة

(1) العقد الفريد لابن عبد ربّه الجزء الرابع عند ذكر جماعة تخلّفوا عن بيعة أبي بكر .

النبي في هذه الأمة يُستهانُ بهم ويُستصغرُ شأنهم حتى يُقسم عمر أمام الملاء أن يحرق عليهم دارهم إن رفضوا البيعة لأبي بكر، فهل يبقى بعد هذا في نفوس الآخرين شيء من الاحترام أو التقدير لعلي بن أبي طالب الذي يبغضه أكثرهم ويحسدونه وقد أصبح بعد وفاة النبي زعيم الصف المعارض وليس عنده من حُطام الدنيا ما يُرغِبُ الناس فيه؟

فهذا البخاري يحدث في صحيحه بأن فاطمة طالبت أبا بكر بميراثها من رسول الله مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبو بكر وصلى عليها، وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس، فالتمس مُصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يُبايع تلك الأشهر⁽¹⁾.

فقد نجح الحزب الحاكم نجاحاً كبيراً في عزل علي بن أبي طالب اقتصادياً واجتماعياً وأسقطه من أعين الناس، فلم يبقَ له بينهم احترام ولا تقدير وخصوصاً بعد وفاة الزهراء ولذلك استنكر علي وجوه الناس فاضطر لمصالحة أبي بكر ومبايعته حسب ما يرويه البخاري ومسلم.

وتعبر البخاري بكلمة «استنكر علي وجوه الناس» يدلنا دلالة واضحة على مدى الحقد والبغض الذي كان يواجهه أبو الحسن (سلام الله عليه) بعد وفاة ابن عمه وزوجته، ولعل بعض الصحابة كان إذا مشى بينهم يستبونه ويشتمونه ويستهنئون به، ولذلك استنكر وجوههم للمنكر الذي رآه.

ولا نقصد من هذا الفصل سرد التاريخ ومظلومية علي بقدر ما نريد إظهار الحقيقة المرة والمؤلمة، ألا وهي أن حامل لواء السنة النبوية وباب علم الرسول أصبح متروكاً، وفي المقابل أصبح أنصار الاجتهاد بالرأي الذين يرفضون السنة النبوية هم الحاكمون والمؤيدون أغلب الصحابة.

(21) صحيح البخاري ج 5، ص 82 باب غزوة خيبر. صحيح مسلم كتاب الجهاد.

ثالثاً: عزل المعارضة سياسياً

رغم الحصار الشديد ومصادرة الحقوق المالية وعزلهم عن المجتمع الإسلامي حتى تحولت وجوه الناس عن علي بن أبي طالب كما مرّ علينا، فإنّ الحزب الحاكم لم يكتف بكل ذلك حتّى عمد إلى عزله سياسياً وإبعاده عن كل أجهزة الدولة وعدم إشراكه في أي منصب حكومي أو إسناده أي مسؤولية. وبالرغم من تعيينهم الولاة من الطلقاء ومن فساق بني أمية الذين حاربوا الإسلام طوال حياة الرسول (ص)، فقد بقي الإمام علي بعيداً عن مسرح الحياة السياسية طيلة ربع قرن حياة أبي بكر وعمر وعثمان. وفي حين كان بعض الصحابة الولاة يجمع الأموال ويكنز الذهب والفضة على حساب المسلمين، كان علي بن أبي طالب يسقي نخيل اليهود كي يحصل على قوته بكّد يمينه وعرق جبينه.

وهكذا بقي باب العلم، حبر الأمة وحامل السنة حبيس داره ولا يعرف قدره إلا بعض المستضعفين الذين كانوا يُعَدّون على الأصابع فكانوا يتشيعون له ويهتدون بهديه ويتمسكون بحبله.

وقد حاول الإمام علي زمن خلافته إرجاع الناس إلى القرآن والسنة النبوية بدون جدوى إذ أنهم تعصبوا لاجتهاد عمر بن الخطاب وصاح أكثرهم في المسجد: «وا سنة عُمره».

ونستنتج من كلّ هذا بأنّ عليّاً وشيعته تمسكوا بالسنة النبوية وعملوا على إحياؤها ولم يحيدوا عنها أبداً بينما اتبعت بقية الأمة بدع أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وسمّوها بـ«البدع الحسنة»⁽¹⁾.

وهذا ليس من الادعاء بل هي الحقيقة التي أجمع عليها المسلمون وسجلوها في صحاحهم وعرفها كلّ باحث ومنصف.

فقد كان الإمام علي يحفظ القرآن ويعرف كلّ أحكامه وهو أول من جمعه بشهادة البخاري نفسه.

(1) صحيح البخاري ج 2، ص 252 باب صلاة التراويح وكذلك ج 7، ص 98.

في حين لم يكن أبو بكر ولا عمر ولا عثمان يحفظونه ولا يعرفون أحكامه⁽¹⁾.
وقد أحصى المؤرخون على عمر قوله سبعين مرة: لولا علي لهلك عمر، وقول أبي
بكر: لا عشتُ في زمنٍ لستَ فيه يا أبا الحسن. . . أما عثمان فحدث ولا حرج.

(1) جهل عمر بحكم الكلاله مشهور في كتب السنّة، وكذلك جهله بأحكام النّيم معلوم لدى الجميع،
ذكره البخاري في صحيحه ج 1، ص 90.

السنة النبوية بين الحقائق والأوهام

إذا كان عمر بن الخطاب المعدد عند «أهل السنة والجماعة» من الملهمين ومن أعلم الصحابة، إذا لم يكن أعلمهم على الإطلاق للرواية التي أخرجوها في صحاحهم أن النبي أعطاه فضل شرا به وتأول ذلك بالعلم، يشهد على نفسه بأنه يجهل الكثير من السنة النبوية وقد شغل عنها بالتجارة في الأسواق.

فهذا البخاري يروي في صحيحه في باب الحجة على من قال: إن أحكام النبي كانت ظاهرة وما كان بعضهم يغيب عن مشاهدة النبي وأمور الإسلام، قال:

استأذن أبو موسى على عمر فكأنه وجدته مشغولاً فرجع، فقال عمر: ألم أسمع صوت عبدالله بن قيس ائذنوا له فدُعي له فقال: ما حملك على ما صنعت؟

فقال: إنا كنا نؤمر بهذا، فقال عمر: فائتني على هذا بيّنة أو لأفعلن بك، فانطلق إلى مجلس الأنصار فقالوا: لا يشهد إلا أصاغرنا، فقام أبو سعيد الخدري فقال: قد كنا نؤمر بهذا فقال عمر: خفي عليّ هذا من أمر النبي (ص) ألهاني الصفت بالأسواق⁽¹⁾.

(1) صحيح البخاري ج 8، ص 157 من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. صحيح مسلم ج 6، ص 179 في باب الاستئذان من كتاب الآداب.

تعليق : في هذه القصة طرائف لا بدّ من ذكرها

* أولاً: إنّ قضية الاستئذان معروفة في الإسلام وهي سنة نبوية يعرفها الخاصّ والعام وقد كان الناس يستأذنون للدخول على رسول الله (ص) وهذه من آداب الإسلام ومفاخره .

وتفيد هذه الرواية بأنّ عمر بن الخطاب كان له حراس وشرطة تمنع الناس من الدخول عليه إلّا بالاستئذان ، فقد استأذن عليه أبو موسى ثلاث مرّات ولم يأذن له فرجع ولكنّ أنصاره وأتباعه من بني أميّة وكأنتهم أرادوا تفضيله وتقديمه على النبي فقالوا بأنه كان ينام على حافة الطريق بدون حرس حتّى قيل فيه : عدلت فنمت .

وكأنهم يقولون بأنّه أعدل من النبي (ص) لأنّ النبي كان عنده حراسة ، وإلّا لماذا يقال : مات العدل مع عمر؟!

* ثانياً: تفيدنا هذه الرواية على مدى الغلظة والشدة التي كان يعرف بها عمر بن الخطاب وكيف كان يعامل المسلمين بدون مبرّر لذلك .

فهذا أبو موسى الأشعري وهو من أكابر الصحابة يستدلّ بحديث النبي (ص) بخصوص الاستئذان ، فيقول له عمر: والله لأوجعنّ ظهرك وبطنك أو لتأتين بمن يشهد لك على هذا⁽¹⁾ .

فهل هناك مبرّر لإهانة أبي موسى وتكذيبه أمام الناس وتهديده بالضرب الموجه لمجرد رواية رواها عن رسول الله (ص) ، حتّى قال أبي بن كعب - بعدما شهد بصحة الحديث - : يا ابن الخطاب لا تكوننّ عذاباً على أصحاب رسول الله⁽²⁾ .

أما أنا فلا أرى من مبرّر غير استبداد عمر برأيه في أكثر الأمور، وإذا ما عارضوه بكتاب الله أو بسنة النبي فتراه يغضب ويهدّد، الشيء الذي جعل كثيراً من الصحابة يكتمون الحق وهم يعلمون كما وقع ذلك لعمار بن ياسر عندما

(1) صحيح مسلم ج 6، ص 179 كتاب الآداب، باب الاستئذان .

(2) المصدر نفسه .

جابه عمر بالسنة النبوية في قضية التيمم ، ولما هذده عمر قال عمار: إن شئت لم أحدث به⁽¹⁾.

والشواهد كثيرة على منع عمر الصحابة من نقل الأحاديث النبوية وذلك من عهد أبي بكر وبالأخص في أيام خلافته التي امتدت أكثر من عشر سنوات أحرق خلالها كل ما جُمع من الأحاديث النبوية ومنع الصحابة من نقلها وحبس بعضهم من أجلها⁽²⁾.

وقد فعل ذلك من قبله أبو بكر كما فعل ذلك عثمان من بعده .

فكيف يقال لنا بأن الخلفاء كانوا يعملون كلهم بالسنة النبوية في حين أن السنة النبوية لم تلق منهم إلا الحرق والمنع والتعقيم !

* ثالثاً : تفيدنا هذه الرواية بأن عمر بن الخطاب كان كثيراً ما يتغيب عن مجالسة النبي والاستماع لأحاديثه ويشغل عنه بالتجارة في الأسواق .

ولذلك غابث عنه أكثر الأحاديث النبوية التي عرفها الخاص والعام من الصحابة حتى صبيائهم ، يشهد على ذلك قول الأنصار عندما فزع إليهم أبو موسى من تهديد عمر ، قالوا : فوالله لا يقوم معك إلا أحدثنا سنأ ، فقام أبو سعيد الخدري ، وكان أصغر القوم ، فشهد أنه سمع النبي (ص) يحدث بذلك .

وهذا في حد ذاته توهين لشأن عمر الذي اغتلى منصّة الخلافة وهو لا يعرف من السنة النبوية أبسط الأمور التي عرفها أصغر القوم سنأ ، وأين هو من حديث الرسول (ص) الذي يقول : «إذا تولى وإل أمر رعية وهو يعلم أن فيهم من هو أعلم منه ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» .

وأنتى لعمر بن الخطاب أن يُصغي قلبه لمثل هذه الأحاديث النبوية التي رفضها في حياة النبي ولم يقنع بها وجعل لنفسه حق الاجتهاد في مقابلها .

(1) صحيح مسلم ج 1 ص 193 باب التيمم وكذلك صحيح البخاري .

(2) قد ذكرت ذلك بشيء من التفصيل في كتاب «فاسألوا أهل الذكر» مع ذكر المصادر فليرجع إليه الباحثون .

بقِي أن نعرّف لأبي حفص باعترافه بالجهل عندما يواجه من قبل بعض الصحابة بالحجة والدليل ، فيقول مرة: كلّ الناس أقرُّه منك يا عمر حتّى ربّأتُ الحجال ، ومرة يقول : لولا عليٌّ لهلك عمر . وأخرى يقول : لقد ألهاني عن أحاديث النبي الصفق بالأسواق .

وإذا كان عمر يتلهمى عن السنّة النبويّة بالصفق في الأسواق فإنّه عن القرآن أكثر لهواً ، فقد اختلف مرة مع أبي بن كعب وهو من أشهر الحفاظ وأنكر عليه قراءته وقال بأنّه لم يسمع بها من قبل ، فقال له أبي : يا عمر إنّ كان يُلهيني القرآن ويُلْهِيك الصفق بالأسواق⁽¹⁾ .

فشغله بالتجارة ولهو بالصفق في الأسواق يعرفه الخاص والعام وليس هو بالأمر الخفي عن الصحابة وخصوصاً منهم العارفين بكتاب الله وسنّة رسوله .

لذلك اعتقّد بأنّه كان يعيش عُقْدَةً نفسية كبيرة ، وهي عقدة الجهل المركب ، إذ يرى أصغر المسلمين يعرف ما لا يعرف هو ويحفظ ما لا يحفظ هو ، ويرى إلى جانبه عليّاً وهو شابٌّ لم يبلغ الثلاثين يصوّب رأيه بما حفظه من الكتاب والسنّة وبمحضر من الصحابة ، حتّى يضطر للقول : «لولا علي لهلك عمر» .

ويرى امرأة تقوم في آخر المسجد فتعترض عليه وهو فوق المنبر وتحتاجه بكتاب الله في قضية مهور النساء على مشهد ومسمع من كلّ المصلّين ، فيقول عند ذلك : كلّ الناس أقرُّه منك يا عمر حتّى ربّأتُ الحجال !

وفي الحقيقة لم يكن ذلك قناعة منه بقدر ما هو تغطية على جهله وكسب الموقف لصالحه ليقول الناس عنه بأنّه متواضع كما نسمع اليوم الكثير من الناس يردّدون ذلك .

ومن أجل هذه العُقْدَة عمل عمر على محق السنّة النبويّة ما استطاع لذلك سبيلاً ، واجتهد برأيه معارضاً للكتاب والسنّة ، والشواهد على ذلك كثيرة جدّاً⁽²⁾ .

(1) تاريخ ابن عسّاك ج 2 ، ص 228 وروى مثل هذا الحاكم في مستدرّكه وأبو داود في سننه وابن الأثير في جامع الأصول .

(2) ذكرت بعضها في كتاب «مع الصادقين» وكتاب «فاسألوا أهل الذكر» .

والمتتبع لسيرة عمر يكتشف بأنه لم يعيش مع النبي بعد إسلامه إلا نصف عمر الرسالة أو أقل من ذلك بكثير.

فها هو يحدث عن نفسه في هذا الصدد فيقول :

«كنت أنا وجارّي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله (ص) ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئتُه بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك⁽¹⁾.

فقوله : كنا نتناوب النزول على رسول الله ينزل يوماً وأنزل يوماً، فيه دلالة واضحة على أنه كان بعيد المسكن عن مسجد رسول الله (ص)، ولذلك قسم عمر حياته إلى يومين يوم ينزل لرؤية النبي، ويوم لا ينزل ولا يكلف نفسه عناء النزول لبعد المسافة.

أو أن المسافة لم تكن بعيدة ولكنه ينزل إلى الأسواق ويشغل فيها بالصفق والتجارة.

وإذا أضفنا هذا إلى قوله : «ألهاني الصفق بالأسواق عن أحاديث النبي» في قضية أبي موسى الأشعري المتقدم ذكرها ثم أردفنا بقول أبي بن كعب له : «يا عمر إنه كان يلهيني القرآن ويلهيك الصفق بالأسواق»، كما مر علينا، تأكدنا بأنه لم يقض وقتاً طويلاً مع صاحب الرسالة (ص).

ولعله كان يغيب عن رسول الله (ص) حتى في المناسبات الكبرى التي يجتمع فيها المسلمون كافة كيوم عيد الفطر وعيد الأضحى، ولذلك نراه يسأل بعض الصحابة الذين لم تشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة يسألهم عما كان يقرأ به رسول الله (ص) في عيد الفطر وعيد الأضحى.

فقد أخرج مسلم في صحيحه في كتاب صلاة العيدين، عن عبيد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي، ما كان يقرأ به رسول الله (ص) في الأضحى والفطر فقال : كان يقرأ فيها بـ ﴿ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ و﴿اقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾⁽²⁾.

(1) صحيح البخاري ج 1، ص 31 من كتاب العلم باب التناوب في العلم.

(2) صحيح مسلم ج 3، ص 61 كتاب الصلاة باب ما يقرأ به في صلاة العيدين.

وعن أبي واقد الليثي أنه قال : سألتني عمر بن الخطاب عما قرأ به رسول الله (ص) في يوم العيد فقلتُ : بـ ﴿ اقتربت الساعة ﴾ و ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ (1).

فشهادة عبيد الله وأبو واقد الليثي علي عمر بأنه لم يكن يعرف قراءة النبي (ص) في العيدين ، إذا أضفنا إليها شهادة أبي بن كعب وشهادته هو على نفسه بأنه كان يشغله عن القرآن والسنة الصفق بالأسواق عرفنا الأسرار والألغاز التي بقيت حتى الآن محيرة للعلماء كفتوا به بترك الصلاة للمجنب الذي لا يجد الماء وجهله بأحكام التيمم التي جاء بها القرآن والسنة ، وكحكمه في الكلاله التي قضى فيها بعدة أحكام متناقضة ، رغم نزولها في كتاب الله ورغم ما جاء فيها من التفصيل والبيان في السنة النبوية فإن عمر لم يفهمها إلى أن فارق الحياة (2).

ولو وقف عمر عند حدّه وحاول التعلّم للقضاء على جهله لكان خيراً له وللمسلمين ، ولكنه أخذته العزة بالإثم فراح يحرم ما أحل الله ورسوله كمتعة الحج ومتعة النساء وسهم المؤلفة قلوبهم ، ويحلل ما حرم الله ورسوله كإمضاءه الطلاق الثلاث والتجسس على المسلمين وغير ذلك (3).

ومن أجل ذلك عمل هو وصاحبه أبو بكر من أول يوم على منع أحاديث الرسول (ص) ومنع تدوينها وكتابتها حتى وصل الأمر بهما إلى حرق كل ما جمعه الصحابة من الأحاديث والسنن النبوية ، أولاً لطمس حقائق علي وأهل البيت التي نطق بها الرسول (ص) وثانياً لكي لا يجدوا في النصوص النبوية معارضة للسياسة التي تبناها والأحكام التي اجتهدوا فيها بأرائهم وثالثاً لأن عمر بن الخطاب ما كان يعرف من سنة النبي إلا القليل .

فقد أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن ابن عباس أن عمر بن

(1) صحيح مسلم ج3 ، ص 61 كتاب الصلاة باب ما يقرأ به في صلاة العيدين .

(2) أخرج البيهقي في سننه أن عمر سأل النبي عن ميراث الجد مع الإخوة ، فقال له النبي : ما سؤالك عن هذا يا عمر؟ إني أظنك تموت قبل أن تعلمه ، قال سعيد بن المسيب : فمات عمر قبل أن يعلمه .

(3) اقرأ كتاب النص والاجتهاد لشرف الدين الموسوي .

الخطاب تحير في حكم الشك في الصلاة، فقال له: يا غلام هل سمعت من رسول الله أو من أحد أصحابه إذا شك الرجل في صلاته ماذا يصنع⁽¹⁾؟

عجيبٌ والله أمر عمر بن الخطاب خليفة المسلمين لا يعرف كيف يرقع صلاته فيسأل عن ذلك صبيان الصحابة وهو أمرٌ يعرفه عامة المسلمين والأميون منهم حتى في يومنا الحاضر والأعجب من ذلك قول «أهل السنة والجماعة» بأن عمر كان أعلم الصحابة فإذا كان أعلمهم على هذا النمط فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر.

نعم تبقى فقط بعض المعارضة الطفيفة التي لا تُغيّر من أحكامهم واجتهاداتهم شيئاً ولا تهدد مصالح الخلافة، كقضية استئذان أبي موسى أو استدلال أبي بن كعب بقراءة لا يعرفها عمر، عند ذلك يفتخر عمر بالرجوع إلى الاعتراف وهو فضيلة فيقول: لقد ألهاني عن ذلك الصفق بالأسواق.

فأين هذا من قول علي بن أبي طالب الذي يقول:

«كان لي مدخلٌ خاصٌّ على رسول الله (ص) في كل يوم مرتين مرة في الصباح وأخرى في المساء»؟

فهذه المجالس كانت خاصة بعلي في كل صباح ومساء أضف إلى ذلك حضوره دائماً مع النبي (ص) في مجالسه العامة.

فكان علي أقرب الناس للنبي وأشدّهم لصوقاً به وأخصّهم لديه من يوم ولادته، فقد تربّى في حجره حتى شبّ فكان يتبعه أتباع الفصيل إثر أمّه في كل مكان، وفي غار حراء عند نزول الوحي عليه وقد رضع حليب الرسالة وترعرع على معارف السنة النبوية من أول مهدّها.

فمن أولى بالسنة منه، وهل لأحد غيره أن يدّعيها لو أنصف المنصفون ورجع إلى الحقّ المعاندون؟

وهذا أكبر دليل على أنه (سلام الله عليه) وشيعته الذين اتّبعوه هم رمز السنة

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 1، ص 190.

المحمّدية وأعلامها . أمّا غيرهم ممّن لم يهتدوا بهديه ويسيروا على دربه فهم أبعد ما يكونون عن السنّة النبويّة ، ولو أنّهم سمّوا أنفسهم «بأهل السنّة» غفلةً وتقليداً .

وسنّين ذلك بنحو أكثر وضوحاً في ما يأتي من أبحاث في مضمون هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾
(الأحزاب : 70-71) .

أهل السنة لا يعرفون السنة النبوية

أيها القارئ العزيز، لا يستفزك هذا العنوان، فأنت بحمد الله تمشي على طريق الحق لتصل في النهاية إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى. فلا تدع وساوس الشيطان، ولا الغرور بالنفس، ولا التعصب المقيت يستولي عليك ويصدك عن الوصول إلى الهدف المنشود والحق المفقود وجنة الخلود.

وكما قدّمنا في ما سبق بأن المتسمين «بأهل السنة والجماعة» هم القائلون بخلافة الخلفاء الراشدين الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. هذا ما يعرفه الناس اليوم.

ولكن الحقيقة المؤلمة هي أن علي بن أبي طالب لم يكن معدوداً عند «أهل السنة» من الخلفاء الراشدين، لا ولم يعترفوا حتى بشرعية خلافته.

وإنما ألحق علي بالخلفاء الثلاثة في زمن متأخر جداً، وذلك في سنة ثلاثين ومائتين للهجرة في زمن أحمد بن حنبل.

أما الصحابة من غير الشيعة والخلفاء والملوك والأمراء الذين حكموا المسلمين من عهد أبي بكر وحتى عهد الخليفة العباسي محمد بن الرشيد المعتصم، لم يكونوا يعترفون بخلافة علي بن أبي طالب أبداً، بل منهم من كان يلعنه ولا يعتبره حتى من المسلمين وإلا كيف يجوز لهم سبّه ولعنه على المنابر؟! وقد عرفنا سياسة أبي بكر وعمر في إقصائه وعزله كما قدّمنا، ثم جاء عثمان بعدهما فأمعن في احتقاره أكثر من صاحبيه والتقليل من شأنه حتى هدّده مرةً بالنفي كما نفى أبا ذر الغفاري. ولما ولي معاوية أمعن في سبّه ولعنه وحمل

الناس على ذلك فدأب حكام بني أمية على ذلك في كل مدينة وقرية ودام ذلك ثمانين عاماً⁽¹⁾.

بل وتواصل ذلك اللعن والطعن والبراءة منه ومن شيعته أكثر من ذلك بكثير، فهذا المتوكل الخليفة العباسي يصل به الحقد إلى نبش قبر علي وقبر الحسين بن علي وذلك سنة أربعين ومائتين للهجرة.

وهذا الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين في عهده، يخطب الناس يوم الجمعة فيقول لهم من فوق المنبر: «إن الحديث الذي روي عن رسول الله أنت مني بمنزلة هارون من موسى صحيح ولكنه محرف لأن رسول الله قال له: أنت مني بمنزلة قارون من موسى» فاشتبه على السامع⁽²⁾.

ولما كان عهد المعتصم الذي كثر فيه الزنادقة والملحدون والمتكلمون وولى عهد الخلافة الراشدة واشتغل الناس بمشاكل هامشية وكانت محنة أحمد بن حنبل في قوله بقدوم القرآن وأصبح الناس يدينون بدين ملوكهم وبأن القرآن مخلوق.

ولما تراجع أحمد بن حنبل عن قوله الأول خوفاً من المعتصم وخرج من محنته واشتهر بعد ذلك ولمع نجمه في عهد المتوكل بين أهل الحديث⁽³⁾ عند ذلك ألحق علي بن أبي طالب بالخلفاء الثلاثة.

ولعل أحمد بن حنبل بهرته الأحاديث الصحيحة الواردة في فضائل علي والتي ظهرت رغم أنف الحكام، فهو القائل: «لم يرد في أحد من الناس من الفضائل بالأحاديث الحسان مثل ما ورد في علي بن أبي طالب».

عند ذلك ربّع بخلافته واعتبرها صحيحة بعدما كانت عندهم منكورة.

*الدليل على ذلك:

جاء في طبقات الحنابلة - وهو الكتاب الصحيح والمشهور عندهم -: عن ابن أبي يعلى بالإسناد عن وديزة الحمصي قال:

(1) كلهم باستثناء عمر بن عبد العزيز (رحمه الله).

(2) تاريخ بغداد ج 8، ص 266.

(3) أهل الحديث هم أنفسهم أهل السنة والجماعة.

دخلتُ على أحمد بن حنبل حين أظهر التبريع بعلي (رضي الله عنه)⁽¹⁾ فقلت له: يا أبا عبد الله إنَّ هذا لطعن على طلحة والزبير! فقال: بثسما قلت، وما نحن وحرب القوم وذكرها؟ فقلت: أصلحك الله إنما ذكرناها حين ربَّعت بعلي وأوجبَّت له الخلافة وما يجب للأئمة قبله!

فقال لي: وما يمنعني من ذلك؟! قلتُ: حديث ابن عمر فقال لي: عمر خير من ابنه فقد رضي علياً للخلافة على المسلمين وأدخله في الشورى، وعلي قد سمى نفسه أمير المؤمنين، أفأقول أنا ليس للمؤمنين بأمر؟! قال: فانصرفتُ عنه⁽²⁾.

ومن هذه القصَّة يتبين لنا بأنَّ «أهل السنَّة» لم يقبلوا بخلافة علي ويقولوا بصحَّتْها إلَّا بعد أحمد بن حنبل بكثير كما لا يخفى.

ويظهر جلياً من هذا المحدث أنَّه زعيم «أهل السنَّة و الجماعة» ومتكلِّمهم، لأنهم يرفضون خلافة علي محتجين على ذلك بحديث عبد الله بن عمر - فقيه أهل السنَّة - والذي أخرجه البخاري في صحيحه وبما أنهم يقولون بأنَّ البخاري هو أصحَّ الكتب بعد كتاب الله، فكان لزاماً عليهم رفض خلافة علي وعدم الاعتراف بها.

وقد ذكرنا هذا الحديث في كتاب «فاسألوا أهل الذكر» ولا بأس بإعادته لتعميم الفائدة، فإن في الإعادة إفادة. أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله ابن عمر، قال: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي (ص) فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان (رضي الله عنهم)⁽³⁾».

كما أخرج البخاري في صحيحه حديثاً آخر لابن عمر أكثر صراحة من الأول إذ قال عبد الله بن عمر:

(1) أنظر إلى هذا المحدث رغم أنَّه لا يستعياً ولا يلغنه بل يقول: (رضي الله عنه) ولكنَّه لا يفيل بأن يكون علي معدوداً من الخلفاء وينكر ذلك على أحمد بن حنبل، وقوله: إنَّها ذكرناها يدلُّ على أنَّه يتكلَّم باسم الجماعة وهم أهل السنَّة الذين بعثوه إلى أحمد بن حنبل منكرين عليه.

(2) كتاب طبقات الحنابلة ج 1، ص 292.

(3) صحيح البخاري ج 4، ص 191، كتاب بدء الخلق، باب فضل أبي بكر بعد النبي.

«كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ (ص) لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ (ص) لَا نَفَاضِلَ بَيْنَهُمْ»⁽¹⁾.

وَمِنْ أَجْلِ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي لَيْسَ لِرَسُولِ اللَّهِ فِيهِ رَأْيٌ وَلَا عَمَلٌ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ خِيَالِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَآرَائِهِ الْفَاسِدَةِ وَحَقْدِهِ وَبَغْضِهِ الْمَعْرُوفَ لِعَلِيٍّ، بَنَى «أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» مَذْهَبَهُمْ عَلَى عَدَمِ الْاعْتِرَافِ بِخِلَافَةِ عَلِيٍّ.

وَبِأَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ اسْتَبَاحَ بَنُو أُمَيَّةٍ سَبَّ عَلِيٍّ وَلَعَنَهُ وَشَتَمَهُ وَانْتَقَصَهُ، وَدَأَبَ الْحُكَّامُ مِنْ عَهْدِ مَعَاوِيَةَ إِلَى أَيَّامِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مَرْوَانَ سَنَةَ 132 لِلْهَجْرَةِ يَلْعَنُونَ عَلِيًّا عَلَى الْمَنَابِرِ وَيَقْتُلُونَ مَنْ تَشَبَّحَ لَهُ أَوْ مَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ»⁽²⁾.

ثُمَّ قَامَتْ دَوْلَةُ الْعَبَّاسِيِّينَ مِنْ عَهْدِ الْعَبَّاسِ السَّقَّاحِ سَنَةَ 132 لِلْهَجْرَةِ وَإِلَى عَهْدِ الْمُتَوَكِّلِ سَنَةَ 247 لِلْهَجْرَةِ، تَوَاصَلَتْ خِلَالَهَا الْبَرَاءَةُ مِنْ عَلِيٍّ وَمِنْ تَشَبُّحِهِ لَهُ بِأَسَالِيبٍ مُخْتَلِفَةٍ وَمُعْتَدِدَةٍ حَسَبِ الظُّرُوفِ وَالْمَلَابِسَاتِ لِأَنَّ دَوْلَةَ الْعَبَّاسِيِّينَ قَامَتْ عَلَى أَنْقَاضِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالتَّشْيِيعِ لَهُمْ، فَكَانَ الْحُكَّامُ لَا يَجْهَرُونَ بِلَعْنِ عَلِيٍّ عِنْدَمَا تَقْتَضِي مَصْلَحَةُ الدَّوْلَةِ وَلَكِنَّهُمْ يَعْمَلُونَ فِي الْخَفَاءِ أَكْثَرَ مِنْ عَمَلِ الْأُمَوِيِّينَ وَقَدْ اسْتَفَادُوا مِنَ التَّجَرِبَةِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي أُبْرِزَتْ مَظْلُومِيَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ وَشَيْعَتُهُمْ وَعُطِفَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ، فَعَمِلَ الْحُكَّامُ بِدِهَاءٍ لِكَسْبِ الْمَوْقِفِ لِمَصَالِحِهِمْ وَتَقَرَّبُوا إِلَى أُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ لَا حُبًّا فِيهِمْ وَلَا اعْتِرَافًا بِحَقِّهِمْ وَإِنَّمَا لِاحْتَوَاءِ الثُّورَاتِ الشَّعْبِيَّةِ الَّتِي تَقُومُ فِي أَطْرَافِ الدَّوْلَةِ وَتَهْدِدُ كِيَانَهَا، ذَلِكَ مَا فَعَلَهُ الْمَأْمُونُ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدُ مَعَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ بْنِ مُوْسَى الرِّضَا، أَمَّا إِذَا سَيَّطَرَّتِ الدَّوْلَةُ وَقَضَتْ عَلَى الثُّورَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ فَإِنَّهَا تَعْمَلُ فِي إِهَانَةِ الْأُمَّةِ وَشَيْعَتِهِمْ كَمَا فَعَلَ الْمُتَوَكِّلُ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ الَّذِي اشْتَهَرَ بِبَغْضِ عَلِيٍّ وَشَتْمِهِ حَتَّى نَبَشَ قَبْرَهُ وَقَبَرَ الْحُسَيْنِ.

وَلِكُلِّ ذَلِكَ قُلْنَا بِأَنَّ «أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ» لَمْ يَقْبَلُوا بِخِلَافَةِ عَلِيٍّ إِلَّا بَعْدَ زَمَنِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ بِكَثِيرٍ.

(1) صحيح البخاري ج 4، ص 203 باب مناقب عثمان بن عفان من كتاب بدء الخلق.

(2) باستثناء سنتين تولى خلالها عمر بن عبد العزيز فأبطل اللعن، ولكن بعد قتله عادوا إلى اللعن وإلى أكثر من اللعن حتى نبشوا قبره، وحرموا أن يتسمى أحد باسمه.

صحيح أن أحمد بن حنبل هو أول من قال بها ، ولكنه لم يقنع بها أهل الحديث كما قدّمنا ، لاقتدائهم بعبد الله بن عمر .

فلا بدّ لذلك من وقت طويل حتى يقتنع الناس ويقبلوا الفكرة التي ظهر بها أحمد بن حنبل ، والتي قد تظهر الحنابلة بمظهر المنصفين والمتقربين لأهل البيت فتميزهم عن المذاهب السنية الأخرى من المالكية والحنفية والشافعية والذين كانوا يتنافسون لكسب المؤيدين . فلا بدّ إذاً من قبول الفكرة وتبنيها .

وبمرور الزمن قال «أهل السنة والجماعة» كلّهم بمقولة أحمد بن حنبل وقبلوا بتبريع الخلافة بعلي وأوجبوا له ما أوجبوه للخلفاء الثلاثة من الاحترام والترضي .

أليس هذا أكبر دليل على أن «أهل السنة والجماعة» كانوا من النواصب الذين يبغضون علياً ويعملون على انتقاصه وإسقاطه ؟

ولقائل أن يقول : كيف يصحّ ذلك ونحن نرى اليوم «أهل السنة والجماعة» يحبون الإمام علياً ويترضون عنه ؟

فنقول نعم ، لما قدّم العهد ومات الأئمة من أهل البيت ولم يعد هناك ما يخيف الحكام ويهدد ملكهم ، وتلاشت هيبة الخلافة الإسلامية واستولى عليها المماليك والمغول والتتار ، وضعف الدّين وأصبح أكثر المسلمين يُشغَلهم الفن والطرب واللهو والمجون والخمر والجواري ، وخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، وأصبح المعروف عندهم منكراً والمنكر عندهم معروفاً وعم الفساد البر والبحر ، عند ذلك بكى المسلمون على أسلافهم وتغنّوا بأمجادهم وتذاكروا أيامهم فسّمّوها بالعصور الذّهبية وبها أنّ أفضل العصور عندهم هو عصر الصحابة فهم الذين فتحوا الأمصار وسّعوا المملكة الإسلامية شرقاً وغرباً ودان لهم الأكاسرة والقيصرة فترضوا على الصحابة جميعاً بما فيهم علي بن أبي طالب . وإذا كان «أهل السنة والجماعة» يقولون بعدالتهم جميعاً فلا يمكنهم عند ذلك أن يخرجوا علياً من بين الصحابة .

ولو قالوا بإخراجه لاقتضحوا وكُشف أمرهم عند كل عاقل وباحث ، فمؤهوا

على العامة بأنه رابع الخلفاء الراشدين وهو باب مدينة العلم رضي الله عنه وكرم الله وجهه .

ونحن نقول لهم : فلماذا لا تقلدوه في أمور دينكم وديناكم إن كان اعتقادكم فيه صحيحاً بأنه باب مدينة العلم؟

لماذا تركتم الباب عمداً وقلدتم أبا حنيفة ومالكاً ، والشافعي وابن حنبل وابن تيمية ، الذين لا يدانوه في علم ولا عمل ولا فضل ولا شرف ، فأين الثرى من الثريا وأين السيف من المنجل وأين معاوية من علي لو كنتم تعقلون؟

هذا بقطع النظر عن كل النصوص الواردة عن رسول الله (ص) والتي توجب على كل المسلمين اتباع الإمام علي من بعده والاقتداء به ، ولقائل من «أهل السنة» أن يقول : إن فضل علي وسابقته وجهاده في سبيل الإسلام وعلمه الغزير وشرفه العظيم وزهده الكبير يعرفه الناس جميعاً ، بل إن أهل السنة يعرفون علياً ويحبونه أكثر من الشيعة (هذا ما يردده الكثير منهم اليوم) .

فنقول لهؤلاء : أين كنتم⁽¹⁾ وأين كان أسلافكم وعلماءكم عندما كان علي يلعن على المنابر مئات السنين؟ فلم نسمع ولم يحدثنا التاريخ أن أحداً منهم أنكر ذلك أو منع من ذلك أو قُتل من أجل ولأته وحبته لعلي ، فلا ولن نجد من علماء أهل السنة من فعل ذلك بل كانوا مقربين للسلطين والأمراء والولاة لما أعطوهم من البيعة والرضا وأفتوا لهم بقتل الرافضة الذين يوالون علياً وذريته ، وهؤلاء موجودون حتى في عصرنا الحاضر .

لقد دأب النصارى على معاداة اليهود عبر القرون واعتبروهم مجرمين وحملوهم مسؤولية قتل السيد المسيح عيسى بن مريم ، ولكن لما ضعف أمر النصارى وتلاشت أمور العقيدة عندهم واعتنق أكثرهم مذهب الإلحاد وأصبحت الكنيسة في سلة المهملات للموقف المعادي الذي وقفه ضد العلم والعلماء ،

(1) لقد تعدت القول : أين كنتم ، وأقصدها المعاصرين من «أهل السنة والجماعة» اليوم ، فإنهم يقرأون في صحيح مسلم بأن معاوية كان يسب علياً ويأمر الصحابة بذلك ، فلا ينكرون ، بل إنهم يترضون على سيدهم معاوية كاتب الوحي عندهم . فدل ذلك على أن حبه لعلي حب مزيف خال عن كل اعتبار .

وفي المقابل قويّ أمرُ اليهود واستفحل واستشرى حتى احتلوا الأراضي العربية والإسلامية بالقوة، وامتدّ نفوذهم في الشرق والغرب وأقاموا دولة إسرائيل ، عند ذلك اجتمع البابا يوحنا بولس الثاني مع أحبار اليهود وبرأهم من جريمة قتل المسيح .

«فالناس ناس والزمان زمان» .

«أهل السنة» ومحق السنة

نريد في هذا الفصل توضيح شيء مهم لا غنى للباحث أن يتعمق فيه ، ليكتشف بدون لبس بأن الذين يتسمون «بأهل السنة» ليس لهم في الحقيقة من سنة النبي شيء يذكر .

وذلك لأنهم ، أو بالأحرى لأن أسلافهم من الصحابة والخلفاء الراشدين عندهم الذين يقتدون بهم ويتقربون إلى الله بحبهم وولائهم قد وقفوا من السنة النبوية موقفاً سلبياً إلى درجة أنهم أحرقوها ومنعوا من كتابتها والتحدث بها⁽¹⁾ .

وإضافة لما سبق توضيحه ، لا بدّ لنا من كشف الستار عن تلك المؤامرة الخسيسة التي حيكت ضدّ السنة النبوية المطهرة لمنع انتشارها والقضاء عليها في المهد ، وإبدالها ببدع الحكّام واجتهاداتهم وآراء الصحابة وتأويلاتهم . وقد عمل الحكام الأولون :

* أولاً : على وضع الأحاديث المكذوبة التي تؤيد مذهبهم في منع الكتابه لعموم السنة النبوية والأحاديث الشريفة .

فها هو الإمام مسلم يخرج في صحيحه ، عن هذّاب بن خالد الأزدي عن همام عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ص) قال :

(1) يراجع في هذا الصدد كتاب «فاسألوا أهل الذكر» من صفحة 200 وما بعدها .

«لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج...»⁽¹⁾.

والغرض من وضع هذا الحديث هو تبرير ما فعله أبو بكر وعمر تجاه الأحاديث النبوية التي كتبها بعض الصحابة ودونوها، وقد وُضع هذا الحديث في زمن متأخر عن الخلفاء الراشدين، وغفل الوضاعون الكاذبون عن الأمور التالية:

أ: لو قال هذا الحديث صاحب الرسالة لامتثل أمره الصحابة الذين كتبوا عنه ولمحوه قبل أن يتولى أبو بكر وعمر حرقها بعد سنوات عديدة من وفاة النبي (ص).

ب: لو كان هذا الحديث صحيحاً لاستدلّ به أبو بكر أولاً، ثم عمر ثانياً، لتبرير منعهما كتابة الأحاديث ومحوها، ولاعتذر أولئك الصحابة الذين كتبوها إما جهلاً وإما نسياناً.

ت: لو كان هذا الحديث صحيحاً لوجب على أبي بكر وعلى عمر أن يمحوا الأحاديث محوً لا أن يحرقوها حرقاً.

ث: لو صحّ هذا الحديث فالمسلمون من عهد عمر بن عبد العزيز إلى يوم الناس هذا كلهم آثمون لأنهم خالفوا نهي الرسول (ص) وعلى رأسهم عمر بن عبد العزيز الذي أمر العلماء في عهده بتدوين الأحاديث وكتابتها، والبخاري ومسلم اللذان يُصَحّحان هذا الحديث ثم يعصيانه ويكتبان ألفوف الأحاديث عن النبي.

ج: وأخيراً لو صحّ هذا الحديث لما غاب عن باب مدينة العلم علي بن أبي طالب الذي جمع أحاديث النبي في صحيفة طولها سبعون ذراعاً ويسميتها الجامعة (وسمّيأت الكلام عنها لاحقاً بحول الله).

* ثانياً: عمل الحكام الأمويون على التأكيد بأن رسول الله (ص) غير معصوم عن الخطأ وهو كغيره من البشر الذين يخطئون ويصيبون، ويروون في

(1) صحيح مسلم ج 8، ص 229 كتاب الزهد والرفائق باب الثبوت في الحديث وحكم كتابة العلم.

ذلك عدة أحاديث . والغرض من وضع تلك الأحاديث هو التأكيد على أن النبي (ص) كان يجتهد برأيه فكان كثيراً ما يخطيء مما حدا ببعض الصحابة أن يصوب رأيه ، كما جاء ذلك في قضية تأبير النخل ونزول آية الحجاب ، والاستغفار للمنافقين ، وقبول الفدية من أسرى بدر، وغير ذلك مما يدعيه «أهل السنة والجماعة» في صحاحهم وما يعتقدونه في صاحب الرسالة (عليه وآله أفضل الصلاة وأزكى السلام) .

ونحن نقول لأهل السنة والجماعة :

إذا كان هذا هو ديدنكم وهذا هو اعتقادكم في رسول الله (ص) فكيف تدعون التمسك بسنته ، وسنته عندكم وعند أسلافكم غير معصومة ، بل غير معلومة ولا مكتوبة؟⁽¹⁾

على أننا نردُّ على هذه المزاعم والأكاذيب وندحضها من نفس كتبكم وصحاحكم⁽²⁾ .

فهذا الإمام البخاري يخرج في صحيحه من كتاب العلم وفي باب كتابة العلم ، عن أبي هريرة قال : ما من أصحاب النبي (ص) أحد أكثر حديثاً عنه مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتبُ ولا أكتبُ⁽³⁾ .

ويستفاد من هذه الرواية بأنَّ هناك من أصحاب النبي (ص) من كان يكتب أحاديثه ، وإذا كان أبو هريرة يروي أكثر من ستة آلاف حديث عن النبي شفاهياً فإن عبد الله بن عمرو بن العاص فاق هذا العدد كتابياً ولذلك اعترف أبو هريرة بأن عبد الله بن عمرو أكثر منه أحاديث عن النبي لأنه كان يكتب ولا شك بأن هناك في الصحابة كثيرين ممن كانوا يكتبون عن النبي أحاديثه ولم يذكرهم أبو هريرة لعدم اشتغالهم بكثرة الرواية عنه (ص) .

(1) لأن تدوين السنة النبوية تأخر إلى زمن عمر بن عبد العزيز أو بعده ، أما الخلفاء والحكام الذين حكموا قبله فقد أحرقوها ومنعوا من كتابتها والتحدث بها .

(2) الغريب أن أهل السنة كثيراً ما يروون الحديث ونقيضه في نفس الكتاب ، والأغرب من ذلك أنهم كثيراً ما يعملون بها هو مكذوب ويعملون ما هو صحيح .

(3) صحيح البخاري ج 1 ، ص 36 باب كتابة العلم .

وإذا أضفنا إلى هؤلاء الإمام علي بن أبي طالب الذي كان ينشر من فوق المنبر صحيفة يسميها الجامعة، جمع فيها كل ما يحتاجه الناس من أحاديث النبي (ص) وقد توارثها الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) وكثيراً ما تحدثوا عنها.

فقد قال الإمام جعفر الصادق:

«إنّ عندنا لصحيفة طولها سبعون ذراعاً، إملاء رسول الله (ص) وخط علي بيده، ما من حلال ولا حرام وما من شيء يحتاج إليه الناس وليس قضية إلا وهي فيها حتى أرش الخدش»⁽¹⁾.

وقد أشار البخاري نفسه في صحيحه إلى هذه الصحيفة التي كانت عند علي في عدة أبواب من كتابه، ولكنه وكما عودنا البخاري فإنه أبتّر الكثير من خصائصها ومضمونها.

قال البخاري في باب كتابة العلم:

«عن الشعبي عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي هل عندكم كتاب؟

قال: لا إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجلاً مسلماً أو ما في هذه الصحيفة.

قال: قلت: وما في هذه الصحيفة؟

قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر»⁽²⁾.

كما جاء في صحيح البخاري في موضع آخر قوله:

«عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي قال: ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي (ص)»⁽³⁾.

كما جاء في موضع آخر من صحيح البخاري قوله:

(1) أصول الكافي ج 1، ص 239 وكتاب بصائر الدرجات ص 143.

(2) صحيح البخاري ج 1، ص 36.

(3) صحيح البخاري ج 2، ص 221.

عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : خطبنا علي فقال : « ما عندنا كتاب نقرأه إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة »⁽¹⁾.

وينقل البخاري في باب آخر من صحيحه قوله :

عن علي (رضي الله عنه) قال : « ما كتبنا عن النبي (ص) إلا القرآن وما في هذه الصحيفة »⁽²⁾.

كما أخرج البخاري في موضع آخر من صحيحه قوله :

عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : خطبنا علي (رضي الله عنه) على منبر من أجر وعليه سيف فيه صحيفة معلقة ، فقال : « والله ما عندنا كتاب يقرأ إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة »⁽³⁾.

ولم ينقل البخاري ما قاله الإمام جعفر الصادق من أن الصحيفة تسمى الجامعة لأنها جمعت كل حلال وكل حرام ، وفيها كل ما يحتاجه الناس حتى أرش الخدش بإملاء رسول الله (ص) وخط علي بن أبي طالب . فاختصرها بقوله : مرة : بأن فيها العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر ، ومرة أخرى بقوله : فنشرها علي فإذا فيها أسنان الإبل ، وإذا فيها المدينة حرم . . . وإذا فيها ذمة المسلمين واحدة . . . وإذا فيها من والى قوماً بغير إذن مواليه . . .

إنه التزوير والتعتيم على الحقائق ، وإلا هل يعقل أن يكتب علي هذه الكلمات الأربعة في صحيفة ويعلقها على سيفه وتلازمه عندما يخاطب من فوق المنبر ويجعل منها المرجع الثاني بعد كتاب الله فيقول للناس : ما كتبنا عن النبي إلا القرآن وما في هذه الصحيفة؟؟!

وهل كان عقل أبي هريرة أكبر من عقل علي بن أبي طالب إذ كان يحفظ عن رسول الله مائة ألف حديث من غير كتابة؟

(1) صحيح البخاري ج 4 ، ص 67 وصحيح مسلم ج 4 ، ص 115 .

(2) صحيح البخاري ج 4 ، ص 69 .

(3) صحيح البخاري ج 8 ، ص 144 .

عجيب والله أمر هؤلاء الذين يقبلون مائة ألف حديث عن أبي هريرة الذي لم يصحب النبي إلا ثلاث سنوات وكان يجهل القراءة والكتابة ويزعمون بأن علياً باب مدينة العلم الذي تعلم منه الصحابة شتى العلوم والمعارف ، كان يحمل صحيفة فيها أربعة أحاديث ظلت تلازمه من حياة الرسول إلى أيام خلافته فيصعد بها على المنبر وهي معلقة على سيفه؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

على أن في ما أخرجه البخاري كفاية للباحثين والعقلاء ، وذلك عندما ذكر بأن فيها العقل ، فهو دليل بأن في الصحيفة أشياء كثيرة تخص العقل البشري والفكر الإسلامي .

ونحن لا نريد إقامة الدليل على ما في الصحيفة ، فأهل مكة أدرى بشعابها وأهل البيت أدرى بما فيه وقد قالوا بأن فيها كل ما يحتاجه الناس من حلال وحرام حتى أرش الخدش .

ولكن الذي يهمننا في هذا البحث هو أن الصحابة كانوا يكتبون أحاديث النبي (ص) ، وقول أبي هريرة بأن عبد الله بن عمرو كان يكتب أحاديث النبي ، وقول علي بن أبي طالب : ما كتبنا عن رسول الله إلا القرآن وما في هذه الصحيفة ، كما جاء في صحيح البخاري ، هو دليل قاطع على أن رسول الله (ص) لم ينه عن كتابة أحاديثه أبداً ، بل العكس هو الصحيح ، وأن الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه «لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه» هو حديث مكذوب وضعه أنصار الخلفاء لتأييد وتبرير ما فعله أبو بكر وعمر وعثمان من حرق الأحاديث النبوية ومنع السنة من الانتشار . وما يزيدنا يقيناً بأن رسول الله (ص) لم ينه عن كتابة الأحاديث عنه بل إنه أمر بها ، هو ما قاله الإمام علي أقرب الناس للنبي : «ما كتبنا عنه غير القرآن وما في هذه الصحيفة» والذي صححه البخاري .

وإذا أضفنا إلى هذا قول الإمام جعفر الصادق بأن الصحيفة الجامعة هي من إملاء رسول الله وخط علي فمعناه أن النبي أمر علياً بالكتابة .

وحتى لا يبقى عندك شك أيها القارىء العزيز، أزيدك ما يلي :
أخرج الحاكم في مستدركه وأبو داود في صحيحه والإمام أحمد في مسنده
والدارمي في سننه ، أخرجوا كلهم حديثاً مهماً جداً بخصوص عبد الله بن عمرو
الذي ذكره أبو هريرة بأنه كان يكتب عن النبي :

قال عبد الله بن عمرو: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله (ص)،
فنهتني قريش وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله وهو بشر يتكلم في
الغضب والرضا؟

قال عبد الله : فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله (ص) فأوماً
إلى فيه وقال : « أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا الحق ⁽¹⁾ ».

ونلاحظ من خلال هذا الحديث بأن عبد الله بن عمرو كان يكتب كل ما
يسمعه من النبي (ص) فلم ينهه النبي عن ذلك وإنما وقع النهي من قريش،
ولم يرد عبد الله التصريح بأسماء الذين نهوه عن الكتابة لأن في نهيم طعن على
رسول الله ، كما لا يخفى فأبهم القول بأنهم قريش ، والمقصود بقريش زعماءها من
المهاجرين وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة
وطلحة والزبير ومن سار على رأيهم .

كما نلاحظ بأن نهيم لعبد الله كان في حياة النبي (ص) وهذا ما يؤكد عمق
المؤامرة وخطورتها .

وإلا لماذا يعمد هؤلاء لنهي عبد الله عن الكتابة بدون الرجوع إلى النبي نفسه؟
كما يفهم أيضاً من قولهم له : إن رسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا ،
أن عقيدتهم في النبي كانت هزيلة إلى درجة أنهم يشكون فيه بأنه يقول باطلاً
ويحكم ظلماً خصوصاً في حالة الغضب . وما قول النبي (ص) عندما ذكر له
عبد الله بن عمرو نهي قريش وما قالوه في شأنه فقال (ص) :

(1) مستدرك الحاكم ج 1، ص 105 .

سنن أبي داود ج 2، ص 126 .

سنن الدارمي ج 1، ص 125 .

مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 2، ص 162 .

«أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا الحق» - إشارة إلى فمه - لدليل آخر على علم الرسول بشكهم في عدالته، وأنهم يجوزون عليه الخطأ وقول الباطل فأقسم بالله بأنه لا يخرج من فمه إلا الحق.

وهذا هو التفسير الصحيح لما جاء في قوله سبحانه وتعالى :

﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾ (النجم : 3 - 4)

وأنه (ص) معصوم عن الخطأ وقول الباطل وبهذا فإننا نجزم بأن كل الأحاديث والروايات التي وضعت في زمن الأمويين والتي يستفاد منها بأنه غير معصوم لا يصح شيء منها، كما أن الحديث المذكور يشعربنا بأن تأثيرهم على عبد الله بن عمرو كان كبيراً حتى أمسك عن الكتابة كما صرح هو بنفسه إذ قال : «فأمسكت عن الكتابة» وبقي على ذلك إلى أن جاءت مناسبة تدخل فيها رسول الله بنفسه لإزالة الشكوك التي تثار حول عصمته وعدالته، وكانت كثيراً ما تثار حتى بمحضرة (ص) كقولهم له صراحة : أنت نبي الله حقاً؟⁽¹⁾ أو: أنت الذي تزعم أنك نبي⁽²⁾، أو والله ما قصد بهذه القسمة وجه الله⁽³⁾.

أو كقول عائشة للنبي : إن ربك يسارع في هواك⁽⁴⁾ أو قولها له : أقصد إلى غير ذلك من العبارات النابية التي تُعرب عن شكهم في عصمته واعتقادهم بأنه يحيف ويظلم ويخطيء ويكذب والعياذ بالله .

فكان (ص) صاحب الخلق العظيم رؤوفاً رحيماً كثيراً ما يُزيح تلك الشبهات بقوله مرة : ما أنا إلا عبد مأمور، ومرة يقول : والله إني لأبر الله وأتقى، وأخرى يقول : والذي نفسي بيده ما خرج منه إلا الحق ، وكثيراً ما كان يقول : رحم الله أخي موسى لقد أؤذي بأكثر من هذا فصبر.

فلم تكن هذه الكلمات النابية التي تطعن في عصمته وتشكك في نبوته

(1) قاله عمر بن الخطاب في صلح الحديبية أخرجه البخاري ج 2، ص 122.

(2) قالت عائشة بنت أبي بكر للنبي كتاب إحياء العلوم للغزالي ج 2، ص 29.

(3) قاله صحابي من الأنصار للنبي (ص) وأخرجه البخاري ج 4، ص 47.

(4) صحيح البخاري ج 6 ص 24 وكذلك في صفحة 128 من الجزء السادس .

صادرة عن أناس متروكين أو عن المنافقين ، ولكنها مع الأسف صدرت عن
عظماء الصحابة وعن أم المؤمنين والذين هم عند «أهل السنة والجماعة» قدوة
وأسوة حسنة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ومما يزيدنا يقيناً بأن حديث « لا تكتبوا عني » هو حديث موضوع لا أساس
له من الصحة ولم ينطق به رسول الله إطلاقاً ، أنّ أبا بكر نفسه كان يكتب عن
رسول الله بعض الأحاديث التي جمعها في عهد النبي ، ثم بعدما تولى الخلافة بدا
له أن يحرقها لأمرٍ قد لا يخفى على الباحثين .

فها هي ابنته عائشة تقول : جمع أبي الحديث عن رسول الله فكانت خمسمائة
حديث فبات يتقلب ، فقلت : يتقلب لشكوى أو لشيء بلغه ، فلما أصبح
قال : إي بنية هلمّي بالأحاديث التي عندك ، فجثته بها فأحرقها⁽¹⁾ .

وهذا عمر بن الخطاب أيضاً في خلافته يخطب يوماً في الناس قائلاً : « لا
يبقى أحدٌ عنده كتاباً إلاّ أتاني به فأرى فيه رأيي » فظنوا أنّه يريد النظر فيها
ليقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف ، فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار⁽²⁾ .

كما بعث في الأمصار يأمرهم : من كان عنده شيء فليمحه⁽³⁾ . فهذا أكبر
دليل على أنّ الصحابة عامة سواء منهم المقيمين في المدينة أو في بقية الأمصار
الإسلامية الأخرى كلّهم عندهم كتبٌ جمعوا فيها الأحاديث النبوية التي كتبوها
على عهده (ص) فأحرقت كلّها بفعل أبي بكر أولاً ثم عمر ثانياً ونُحِثت بقية
الكتب التي في الأمصار بأمر عمر في خلافته⁽⁴⁾ .

وعلى هذا فلا يمكن لنا ولا لأي عاقل أن يصدق بأنّ رسول الله نهاهم عن

(1) كنز العمال ج 5 ، ص 237 ، وابن كثير في البداية والنهاية ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ج 1 ، ص 5 .

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 5 ص 188 والخطيب البغدادي في تقييد العلم .

(3) جامع بيان العلم لابن عبد البر .

(4) أنظر رعاك الله إلى هذا العمل الشنيع الذي فعله الخلفاء أبو بكر وعمر تجاه السنة النبوية ، والخسارة
العظمى التي لا تُقدّر والتي تسببها فيها للامة الإسلامية التي كانت في أشد الحاجة للأحاديث النبوية
لفهم القرآن وفهم أحكام الله تعالى ، وإنها لعمرى أحاديث صحيحة لأنهم كتبوها عنه مباشرة وبدون
واسطة ، أما الأحاديث التي جُمِعت في ما بعد أغلبها أحاديث موضوعة ، لأنّ الفتنة وقعت وقتل
المسلمون بعضهم ، وكتبت بأمر الحكّام الجائرين .

كتابة الحديث بعدما عرفنا بأن أكثر الصحابة كانت عندهم كتب للأحاديث وخصوصاً الصحيفة التي كانت تلازم الإمام علي وطولها سبعون ذراعاً ويُسمّيها الجامعة لأنها جمعت كل شيء .

وبما أنّ السلطة الحاكمة والسياسة السائدة، اقتضت مصالحها محور السنة وحرقها وعدم التحدث بها، فإنّ الصحابة المؤيدين لتلك الخلافة امتثلوا الأوامر ونفذوها، فلم يبقَ لهم ولا لأتباعهم من التابعين سوى الاجتهاد بالرأي، أو الاقتداء بسنة أبي بكر وسنة عمر وسنة عثمان وسنة معاوية وسنة يزيد وسنة مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وسنة سليمان بن عبد الملك إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز فطلب من أبي بكر الخزمي أن يكتب له ما كان من حديث رسول الله أو سنته أو حديث عمر بن الخطاب⁽¹⁾.

وهكذا يتبين لنا أنّه حتّى في الظروف التي سمحت بتدوين السنة وبعد مرور مائة سنة على طمسها ومنعها، نرى الحاكم الأموي المعتدل والذي ألحقه «أهل السنة» بالخلفاء الراشدين، يأمر بجمع سنة رسول الله وسنة عمر بن الخطاب، وكأنّ عمر بن الخطاب شريك محمد في رسالته ونبوته .

ولماذا لم يطلب عمر بن عبد العزيز من أئمة أهل البيت الذين عاصروهم أن يعطوه نسخة من الصحيفة الجامعة، ولماذا لم يكلفهم هم بجمع الأحاديث النبوية فهم أعلم بحديث جدّهم من غيرهم؟؟
فالمحققون والباحثون يعرفون سرّ ذلك .

وهل يحصل الاطمئنان إلى تلك الأحاديث التي جمعها «أهل السنة والجماعة» من بني أمية وأعوانهم الذين يمثلون خلافة قريش وقد عرفنا حقيقة قريش وعقيدتها في رسول الله وسنته المطهرة؟

ويبقى واضحاً بعد هذا بأنّ السلطة الحاكمة وعلى مرّ عصور الخلافة، عملت بالاجتهاد والقياس ومشاورة بعضهم .

وبما أنّ السلطة قد أقصت الإمام علياً عن مسرح الحياة وأهمّلته فلم يكن لها عليه من سلطان لحرق ما كتبه في عهد الرسالة بإملاء النبي نفسه .

(1) موطأ الإمام مالك ج 1، ص 5.

وبقي علي بن أبي طالب يحتفظ بتلك الصحيفة التي جمع فيها كل ما يحتاجه الناس حتى أُرش الخدش، ولما تولى الخلافة كان يُعلّقها على سيفه ويصعد على المنبر ليخطب في الناس ويُعرفهم بأهميتها.

وقد تواترت الأخبار عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بأنهم توارثوا تلك الصحيفة أباً عن جدّ وكابراً عن كابر، وكانوا يفتون بها في المسائل التي يحتاجها معاصروهم ثم اقتدوا بهديهم.

ولذلك كان الإمام جعفر الصادق والإمام الرضا وغيرهم من الأئمة يردّدون دائماً نفس الكلام بخصوصها ويقولون: «إننا لا نفتي الناس بآرائنا، إنّا لو كنّا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين، ولكنّها آثار من رسول الله (ص)، أهل علم توارثها كابراً عن كابر، نكتنّزها كما يكتنّز الناس ذهبهم وفضّتهم»⁽¹⁾. وقال جعفر الصادق مرّة أخرى:

حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله، وحديث رسول الله هو قول الله (عزّ وجلّ)⁽²⁾.

وبكلّ هذا يُصبح حديث الثقلين المتواتر: تركتُ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً⁽³⁾، هو الحقّ الذي ليس بعده إلا الضلال، وتصبح السنّة النبوية، الصحيحة ليس لها من حافظ وراع وقيم غير الأئمة الأطهار من آل بيت المصطفى المختار.

كما يُستنتج من هذا أنّ شيعة أهل البيت الذين تمسّكوا بالعترة هم أهل السنّة النبوية، وأنّ «أهل السنّة والجماعة» مدّعون ما ليس لهم، ولا تقوم دعواهم على حجة ولا دليل.

- والحمد لله الذي هدانا لهذا -.

(1) معالم المدرستين للعلامة العسكري ج 2، ص 302.

(2) أصول الكافي ج 1، ص 53.

(3) صحيح مسلم ج 5، ص 122. صحيح الترمذي ج 5، ص 637.

الشيعية في نظر «أهل السنة»

إذا استثنينا بعض العلماء المعاصرين الذين أنصفوا في كتاباتهم عن الشيعة بما تفرضه عليهم الأخلاق الإسلامية، فإن الأغلبية الساحقة منهم قديماً وحديثاً لازالوا يكتبون عن الشيعة بعقلية الأمويين الحاقدين، فتراهم في كل واد يهيمون ويقولون ما لا يفقهون، ويستون ويشتمون ويقولون افتراءً وبهتاناً على شيعة آل البيت ما هم منه براء، ويكفرونهم وينذونهم بالألقاب اقتداء بسلفهم الصالح معاوية وأضرابه، الذين استولوا على الخلافة الإسلامية بالقوة والقهر والمكر والدهاء والخيانة والنفاق.

فمرة يكتبون بأن الشيعة هي فرقة من تأسيس عبد الله بن سبأ اليهودي، ومرة يكتبون بأنهم من أصل المجوس، وأنهم روافض قبحهم الله، وأنهم أخطر على الإسلام من اليهود والنصارى، ومرة يكتبون بأنهم منافقون لأنهم يعملون بالتقية وأنهم إباحيون يبيحون نكاح المحارم ويحللون المتعة وهي زنا، والبعض يكتب بأن لهم قرآناً غير قرآننا، وأنهم يعبدون علياً والأئمة من بنيهِ ويغضون محمداً وجبريل وأنهم وأنهم...

ولا يمرُّ عامٌ إلّا ويطلع علينا كتاب أو مجموعة كتب من أولئك العلماء الذين يتزعمون «أهل السنة والجماعة» بزعمهم وكلّهم تكفير واستهانة بالشيعة.

وليس لهم في ذلك مبرر ولا دافع إلّا إرضاء أسيادهم الذين لهم مصلحة في تمزيق الأمة وتفريقها والعمل على إبادتها. كما ليس لهم فيما يكتبون من حجة ولا دليل سوى التعصب الأعمى والحقد الدفين والجهل المقيت، وتقليد السلف

بدون تمحيص ولا بحث ولا بينة، فهم كالبيغاء يعيدون ما يسمعون ويستنسخون ما كتبه النواصب من أذنان الأمويين، والذين لا يزالون يعيشون على مدح وتمجيد يزيد بن معاوية⁽¹⁾.

فلا نستغرب من أولئك الممجدين ليزيد بن معاوية، أن يسبوا ويكفروا أعداء يزيد هذا.

وإذا كان سلفهم الصالح، يزيد وأبوه معاوية يغدقون على أتباعهم ومن تشبّع لهم الذهب والفضة ويشترون بها ضمايرهم في الماضي، فإن ملايين الدولارات، والقصور الفخمة في لندن وباريس والتي ملئت بزرق العين، من الشقراوات، والخمر المصفى، لقادر على شراء ضمايرهم ودينهم وأوطانهم في الحاضر.

ولو كان هؤلاء يتبعون السنة النبوية كما يزعمون لتعلموا من أخلاقه العالية (ص) احترام الغير ولو خالفهم في العقيدة.

ألم تقل السنة النبوية: «المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً»، و«المسلم للمسلم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

ألم يصرح النبي (ص) بأن «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» فلو كان هؤلاء الكتاب المدعون أنهم من «أهل السنة والجماعة» يعرفون السنة النبوية، لما سمحت لهم نفوسهم بتكفير من يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم رمضان، ويحج البيت الحرام، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وبما أنهم أتباع السنة الأموية والقريشية فهم يتكلمون ويكتبون بالعقلية الجاهلية والأفكار القبلية والتعرات العنصرية. فالشيء من متأه لا يستغرب، وكل إناء بالذي فيه ينضح.

(1) فقد نشرت وزارة المعارف للمملكة العربية السعودية كتاباً بعنوان: «حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية». وهذا الكتاب انتخبته وزارة المعارف للتدريس في مدارسها الرسمية.

ألم يقل رسول الله (ص) كما جاء في الذكر الحكيم : ﴿قل يا أهل الكتاب
تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم . . . ﴾ (آل عمران : 64)؟

فإن كانوا من أهل السنة حقاً، فلينادوا أخوانهم من الشيعة إلى كلمة سواء
بينهم .

وإذا كان الإسلام ينادي أعداءه من اليهود والنصارى إلى كلمة سواء للتفاهم
والتآخي ، فكيف بمن يعبدون إلهاً واحداً ، ونيهم واحدٌ وكتابهم واحدٌ ،
وقبلتهم واحدة ومصيرهم واحدٌ!

فلماذا لا ينادي علماء «أهل السنة» إخوانهم من علماء الشيعة ويجلسون
معهم حول طاولة البحث ، ويجادلونهم بالتي هي أحسن ويصلحون عقائدهم
إن كانت فاسدة كما يزعمون؟

لماذا لا يعقدون مؤتمراً إسلامياً يجمع علماء الفريقين وتطرح فيه كل المسائل
الخلافية على مسمع ومرأى من كل المسلمين حتى يعرفوا وجه الصواب من
الكذب والبهتان؟

وخصوصاً وأن «أهل السنة والجماعة» يمثلون ثلاثة أرباع المسلمين في العالم ،
ولهم من الإمكانيات المادية والنفوذ لدى الحكومات ما يجعل ذلك عندهم سهلاً
ميسوراً إذ يملكون الأقطار الصناعية .

ولأن «أهل السنة والجماعة» لا يعملون لمثل هذا أبداً ، ولا يريدون المواجهة
العلمية التي ينادي بها كتاب الله المجيد بقوله :

﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (البقرة : 111)

﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا
تخرون﴾ (الأنعام : 148) .

ولذلك تراهم دائماً يلجأون إلى السب والشتم والتكفير والبهت والافتراء وهم
يعرفون بأن الحجة والدليل مع خصومهم الشيعة .

وأعتقد بأنهم يخافون أن يتشيع أكثر المسلمين إذا ما كُشفت الحقائق كما وقع

بالفعل لبعض العلماء الأزهريين في مصر الذين سمحوا لأنفسهم بالبحث عن الحق فأدركوه واستبصروا ونبذوا ما كانوا عليه من عقيدة «السلف الصالح» .

فالعلماء من «أهل السنة والجماعة» يدركون هذا الخطر الذي يهدد كيانهم بالذوبان ، فإذا أعيتهم الحيلة وصل الأمر ببعض منهم أن حرّم على أتباعه ومقلّديه أن يجلسوا مع الشيعة أو يجادلوه أو يتزوجوا منهم أو يزوجهم أو يأكلوا من ذبائحهم .

ويُفهم من موقفهم هذا بأنهم أبعد ما يكونون عن السنّة النبوية ، وهم أقرب ما يكونون من سنّة بني أميّة الذين عملوا بكل جهودهم على إضلال الأئمة المحمّدية بأي ثمن لأنّ قلوبهم لم تخشع لذكر الله وما نزل من الحقّ ودخلوا في الإسلام وهم كارهون .

وهذا ما عبر عنه إمامهم معاوية بن أبي سفيان الذي قتل خيار الصحابة من أجل الوصول إلى الحكم فقط ، فقد قال في أول خطبة له :

«إني لم أقاتلكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ، وإنما قاتلتكم لأنأمروا عليكم ، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون» .

وصدق الله إذ يقول : ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (النمل : 34) .

«أهل السنة والجماعة» في نظر الشيعة

إذا استثنينا بعض المتعصبين من عوام الشيعة الذين ينظرون إلى «أهل السنة والجماعة» بأنهم كلهم من النواصب⁽¹⁾، فإن الأغلبية الساحقة من علمائهم قديماً وحديثاً، لازالوا يعتقدون بأن إخوانهم من «أهل السنة والجماعة» هم ضحايا الدس والمكر الأموي لأنهم أحسنوا الظنّ «بالسلف الصالح» واقتدوا بهم بدون بحث ولا تمحيص، فأضلّوهم عن الصراط المستقيم وأبعدوهم عن الثقلين - كتاب الله والعترة الطاهرة - اللذين يعصمان المتمسك بهما من الضلالة ويضمنان له الهداية.

فتراهم كثيراً ما يكتبون للدفاع عن أنفسهم وللتعريف بمعتقداتهم داعين للإنصاف ولتوحيد الكلمة مع إخوانهم من «أهل السنة والجماعة».

وقد جاب بعض علماء الشيعة في الأقطار والأمصار باحثين عن الأساليب الكفيلة لتأسيس دور وجمعيات إسلامية للتقريب بين المذاهب ومحاولة جمع الشمل.

ويتمّ آخرون منهم وجهتهم صوب الأزهر الشريف منارة العلم والمعرفة عند «أهل السنة»، وتقابلوا مع علمائه وجادلوهم بالتي هي أحسن، وعملوا على إزالة الأحقاد، كما فعل الإمام شرف الدين الموسوي عند لقائه بالإمام سليم الدين البشري، وكان من نتيجة ذلك اللقاء والمراسلات ولادة الكتاب القيم

(1) النواصب جمع ناصبي: وهم الذين ناصبوا العداء لأهل البيت النبوي وحاربوهم وقتلوه وتبعوهم أمواتاً فنبشوا قبورهم.

المسمّى بـ «المراجعات» والذي كان له الدور الكبير في تقريب وجهات النظر عند المسلمين . كما أن جهود أولئك العلماء من الشيعة كُلتُ بالنجاح في مصر فأصدر الإمام محمود شلتوت مفتي الديار المصرية في ذلك الوقت فتواه الجريئة في جواز التعبد بالمذهب الشيعي الجعفري ، وأصبح الفقه الشيعي الجعفري من المواد التي تدرس بالأزهر الشريف .

هذا ودأب الشيعة وعلماءهم بالخصوص على التعريف بأئمة أهل البيت الطاهرين وبالمذهب الجعفري الذي يُمثل الإسلام بكل معانيه وكتبوا في ذلك المجلّدات والمقالات وعقدوا لذلك الندوات وخصوصاً بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران عُقدت مؤتمرات عديدة في طهران باسم الوحدة الإسلامية وباسم التقريب بين المذاهب ، وكلّها دعوات صادقة لنبد العداء والأحقاد ، وليت روح الأخوة الإسلامية واحترام المسلمين بعضهم لبعض .

وفي كلّ عام يدعو مؤتمر الوحدة الإسلامية علماء ومفكرين من الشيعة والسنة فيعيشون أسبوعاً كاملاً تحت ظلّ الأخوة الصادقة فيأكلون ويشربون ويصلّون ويدعون ويتبادلون الآراء والأفكار ويعطون ويأخذون .

ولو لم يكن لتلك المؤتمرات دورٌ إلّا تأليف القلوب وتقريب المسلمين بعضهم من بعض ليتعارفوا وتزول الأحقاد لكان فيها الخير الكثير والفضل العميم ، وسوف تؤتي أكلها بعد حين إن شاء الله ربّ العالمين .

وأنت إذا دخلت إلى أي بيت من بيوت الشيعة العاديين فضلاً عن بيوت العلماء والمثقفين ، فسوف تجد فيه مكتبة تضمّ إلى جانب مؤلفات الشيعة جانباً كبيراً من مؤلفات «أهل السنة والجماعة» على عكس «أهل السنة والجماعة» فقد لا تجد عند علمائهم كتاباً شيعياً واحداً إلّا نادراً .

ولذلك هم يجهلون حقائق الشيعة ولا يعرفون إلّا الأكاذيب التي يكتبها أعداؤهم .

كما أنّ الشيعي العادي تجده في أغلب الأحيان يعرف التاريخ الإسلامي بكل أدواره وقد يحتفل بإحياء بعض ذكرياته .

أما العالم السُّني تجده قليلاً ما يهتم بالتاريخ فهو يعتبره من المآسي التي لا يريد نبشها والاطّلاع عليها، بل يجب إهمالها وعدم النّظر فيها لأنها تسيء الظنّ بـ «السلف الصّالح».

وبما أنّه أقنع نفسه أو أوهمها بعدالة الصّحابة أجمعين ونزاهتهم، فلم يعد يتقبّل ما سجّله التاريخ عليهم.

لكلّ ذلك تراه لا يصمد للنّقاش البناء الذي يقوم على الدليل والبرهان، فتراه إمّا يتهرّب من البحث لعلمه مسبقاً بأنّه مغلوب وإمّا أن يتغلب على عواطفه وميوله ويقحم نفسه في البحث فيصبح ثائراً على كلّ معتقداته ويتشيع لأهل بيت المصطفى.

فالشيعة هم أهل السنة النبوية لأنّ إمامهم الأوّل بعد النبي هو علي بن أبي طالب الذي يعيش ويتنفّس بالسنة النبوية. أنظر إليه وقد جاؤوه لبيابعه بالخلافة على أن يحكم بسيرة الشيخين فقال: «لا أحكمُ إلّا بكتاب الله وسنة رسوله» فلا حاجة لعلي في الخلافة إن كانت علي حساب السنة النبوية، فهو القائل: «إنّ خلافتكم عندي كعقطة عنزٍ إلّا أن أقيم حدّاً من حدود الله»

وقال ابنه الإمام الحسين: قولته المشهورة التي بقيت ترنّ في مسمع الدّهر: «إن كان دين محمد لا يستقيم إلّا بقتلي فيا سيوف خذيني».

ولهذا فإنّ الشيعة ينظرون إلى أخوانهم من «أهل السنة والجماعة» بنظر العطف والحنان وكأنهم يريدون لهم الهداية والنّجاة لأنّ ثمن الهداية عندهم حسب ما جاءت به الروايات الصّحيحة خير من الدنيا وما فيها، فقد قال (ص) للإمام علي عندما بعثه لفتح خيبر: قاتلهم حتّى يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، فإن قالوها فقد عصم منك دماؤهم وأموالهم وحسابهم على الله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك ممّا طلعت عليه الشمس أو خير لك من أن يكون لك حمر النّعم⁽¹⁾.

(1) صحيح مسلم ج 7، ص 122 كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب.

وكما كان همّ علي بن أبي طالب الوحيد هو هداية الناس والرجوع بهم إلى كتاب الله وسنة رسوله (ص)، فكذلك شيعته اليوم همّهم أن يدفعوا عن أنفسهم كلّ التهم والأكاذيب وأن يعترفوا إخوانهم من «أهل السنة» بحقائق أهل البيت (عليهم السلام) وبالتالي يهدوهم إلى سواء السبيل .

﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾
(يوسف : 111) .

التعريف بأئمة الشيعة

لقد انقطع الشيعة للأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام)، أولهم علي بن أبي طالب ثم ابنه الحسن، ثم ابنه الحسين، ثم التسعة المعصومون من ذرية الحسين ومن نسله.

وقد نصّ رسول الله (ص) على هؤلاء الأئمة في العديد من المرات تصريحاً وتلميحاً وقد ذكرهم بأسمائهم في بعض الروايات التي أخرجها الشيعة والبعض من علماء «السنة».

وقد يعترض البعض من «أهل السنة» على هذه الروايات مُستغرباً كيف يتكلم الرسول (ص) عن أمور غيبية مازالت في طي العدم؟ وقد جاء في القرآن قوله: ﴿لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء﴾ (الأعراف: 188).

وإجابة على ذلك نقول بأن هذه الآية الكريمة لا تنفي عن الرسول علمه بالغيب مطلقاً، إنما جاءت ردّاً على المشركين الذين طلبوا منه أن يُعلمهم عن قيام الساعة، وموعد الساعة قد اختص الله سبحانه بعلمه.

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهرُ على غيبه أحداً﴾ إلا من ارتضى من رسول... ﴿(الجن: 26 - 27).

وفي هذا دلالة على أنه سبحانه يُطلع على غيبه رُسُلَه الذين اصطفاهم، ومن ذلك مثلاً قول يوسف (عليه السلام) لأصحابه في السجن: ﴿لا يأتیکما طعامٌ

نرزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتیکما ذلكما مما علمني ربي . ﴿ (يوسف : 37) .

وكقوله تعالى : ﴿ فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمةً من عندنا وعلمناه من مدنا علماً ﴾ (الكهف : 65) . حكاية عن الخضر الذي التقى بموسى وعلمه من علم الغيب ما لم يستطع عليه صبراً .

والمسلمون شيعة وسنة لم يختلفوا في أن رسول الله (ص) كان يعلم الغيب وقد سجلت سيرته الكثير من الأخبار بالغيب كقوله (ص) : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية » وقوله لعلي : « أشقى الآخرين الذي يضربك على رأسك فيخضب لحيتك » وقوله : « إن ابني الحسن يصلح الله به فنتين عظيمتين » وكقوله لأبي ذر بأنه سيموت وحيداً طريداً إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة ، ومنها حديثه المشهور الذي أخرجه البخاري ومسلم وكلّ المحدثين والذي جاء فيه : « الأئمة من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش » وفي بعض الروايات « كلهم من بني هاشم » .

وقد أثبتنا في الأبحاث السابقة من كتاب « مع الصادقين » وكتاب « فاسألوا أهل الذكر » بأن علماء السنة أنفسهم أشاروا في صحاحهم ومسانيدهم إلى تلك الأحاديث الدالة على إمامة الأئمة الاثني عشر وصححوها .

وإذا سأل سائل : لماذا تركوهم واقتدوا بغيرهم من أئمة المذاهب الأربعة ، إذا كانوا يعترفون بتلك الأحاديث ويصححونها؟؟

والجواب هو : إن « السلف الصالح » كلهم من أنصار الخلفاء الثلاثة الذين أولدتهم السقيفة أبو بكر وعمر وعثمان ، فكان نفورهم من أهل البيت وعداؤهم للإمام علي وأولاده لا بد منه ، فعملوا كما قدّمنا على محق السنة النبوية وإبداها باجتهاداتهم .

وسبب ذلك انقسام الأمة إلى فرقتين بعد وفاة الرسول مباشرة فكان « السلف الصالح » ومن تبعهم ورأى رأيهم يمثلون « أهل السنة والجماعة » وهم الأغلبية الساحقة في الأمة ، وكان الأقلية القليلة علي وشيعته الذين تخلفوا عن البيعة ولم

يقبلوا بها فأصبحوا من المنبوذين والمغضوب عليهم وأطلقوا عليهم اسم
الزوافض .

وبما أنّ «أهل السنة والجماعة» هم الذين تحكّموا بمصير الأمة عبر القرون
فحكّام بني أميّة كلّهم وحكّام بني العباس كلّهم هم أنصار وأتباع مدرسة
الخلافة التي أسسها أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية⁽¹⁾ ويزيد .

ولمّا فشل أمر الخلافة وذهبت هيئتها وأصبحت في أيدي المماليك والأعاجم
وسُمع بتدوين السنة النبوية ، عند ذلك ظهرت تلكم الأحاديث التي عمل
الأولون على طمسها وكتماها ولم يقدروا فيما بعد على محوها وتكذيبها ، وبقيت
تلك الأحاديث من الألغاز المحيرة عندهم لأنها تخالف الأمر الواقع الذي آمنوا
به .

وحاول بعضهم التوفيق بين تلك الأحاديث وما هم عليه من العقيدة
فتظاهروا بمحبة أهل البيت ومودّتهم فتراهم كلّما ذكروا الإمام علياً يقولون :
رضي الله عنه وكرّم الله وجهه ، حتى يتبين للناس بأنهم ليسوا بأعداء لأهل
البيت النبوي .

فلا يمكن لأي واحد من المسلمين حتى المنافقين منهم أن يظهر عداؤه
لأهل البيت النبوي ، لأنّ أعداء أهل البيت هم أعداء رسول الله (ص) وذلك
يخرجهم من الإسلام كما لا يخفى .

والمفهوم من كل هذا بأنهم في الحقيقة أعداء أهل البيت النبوي ونقصد بهؤلاء
«السلف الصالح» الذين تسموا أو سماهم أنصارهم بـ «أهل السنة والجماعة»
والدليل أنّك تجدهم كلّهم يُقلّدون المذاهب الأربعة الذين أوجدتهم السلطة
الحاكمة (كما سنبينه عما قريب) ، وليس عندهم في أحكام الدين شيء يرجعون
فيه لفقه أهل البيت أو لأحد الأئمة الاثني عشر .

(1) لقد أغفلنا ذكر خلافة علي بن أبي طالب قصداً ، لأنّ «أهل السنة والجماعة» لم يكونوا يعترفون بها كما
قدّمنا إلّا في زمن أحمد بن حنبل . راجع فصل «أهل السنة لا يعرفون السنة النبوية» ص 44 من هذا
الكتاب .

والحقيقة تفرض بأن الشيعة الإمامية هم أهل السنة المحمدية لأنهم تقيّدوا في كل أحكامهم الفقهية بأئمة أهل البيت الذين توارثوا السنة الصحيحة عن جدّهم رسول الله (ص) ولم يدخلوا فيها الآراء والاجتهادات وأقوال الخلفاء .

وبقي الشيعة على مر العصور يتعبّدون بالنصوص ويرفضون الاجتهاد في مقابل النص ، كما يؤمنون بخلافة علي وبنيه لأن النبي (ص) نصّ على ذلك ، فهم يسمّونهم خلفاء الرسول ولو لم يصل منهم إلى الخلافة الفعلية إلاّ علي ، ويرفضون ولا يعترفون بالحكام الذين تداولوا الخلافة من أولها إلى آخرها لأن أساسها كان فلتةً وقى الله شرّها ولأنها قامت رفضاً ورداً على الله ورسوله وكل الذين جاؤوا بعدها هم عيال عليها فلم يقيم خليفة إلا بتعيين السابق له ، أو بالقتال والتغلّب والقهر⁽¹⁾ .

ولذلك اضطر « أهل السنة والجماعة » للقول بإمامة البر والفاجر لأنهم قبلوا بخلافة كل الحكام حتى الفاسقين منهم .

وامتاز الشيعة الإمامية بالقول بوجوب عصمة الإمام فلا تصح الإمامة الكبرى وقيادة الأمة إلا للإمام المعصوم وليس في هذه الأمة بشر معصوم إلا الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

(1) يُستثنى من ذلك فقط خلافة علي بن أبي طالب ، فهو الوحيد الذي لم يتعيّن من قِبَل الذي سبقه ، ولم يتسلّط عليها بالقهر والقوة ، بل بايعة المسلمون بكل حزية وطوعية بل ودعوه إليها بإصرار .

التعريف بأئمة «أهل السنة والجماعة»

وقد انقطع «أهل السنة والجماعة» إلى الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المعروفة، وهم: أبو حنيفة ومالك، والشافعي وأحمد بن حنبل.

وهؤلاء الأئمة الأربعة لم يكونوا من صحابة الرسول (ص) ولا من التابعين فلا يعرفهم رسول الله ولا يعرفونه، ولم يرهم ولم يروونه، فأكبرهم سنّاً أبو حنيفة بينه وبين النبي (ص) أكثر من مائة عام لأن مولده كان في سنة ثمانين للهجرة ووفاته سنة خمسين ومائة، أما أصغرهم أحمد بن حنبل فكان مولده سنة خمس وستين ومائة وكانت وفاته سنة إحدى وأربعين ومائتين، هذا بالنسبة لفروع الدين.

أما بالنسبة لأصول الدين فـ «أهل السنة والجماعة» يرجعون للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي وُلد سنة سبعين ومائتين وتوفي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

فهؤلاء هم أئمة «أهل السنة والجماعة» والذين ينقطعون إليهم في أصول الدين وفروعه.

فهل ترى فيهم واحداً من أئمة أهل البيت، أو من أصحاب الرسول (ص) أو تكلم رسول الله عن واحدٍ منهم وأرشد الأمة إليه؟؟ كلا لا يوجد شيء من ذلك ودونه خبط القناد.

وإذا كان «أهل السنة والجماعة» يدعون التمسك بالسنة النبوية، فلماذا

تأخرت تلك المذاهب إلى ذلك العهد؟ وأين كان «أهل السنة والجماعة» قبل وجود تلك المذاهب؟ وبماذا كانوا يتعبّدون، وإلى من كانوا يرجعون؟

ثم كيف ينقطعون إلى رجال لم يعاصروا النبي (ص) ولا عرفوه، وإنما ولدوا بعدما وقعت الفتنة وبعدها تحارب الصحابة وقتل بعضهم بعضاً وكفر بعضهم بعضاً، وبعدها تصرف الخلفاء في القرآن والسنة واجتهدوا فيها بأرائهم.

وبعدما استولى يزيد بن معاوية على الخلافة فاستباح مدينة الرسول المنورة لجيشه يفعل فيها ما يشاء، فعاث جيشه فيها فساداً وقتل خيار الصحابة الذين لم يبايعوه واستباح الفروج وانتهكت المحارم وحبلت النساء من سفاح.

فكيف يركن العاقل إلى أولئك الأئمة الذين هم من تلك الطبقة البشرية التي تدنس بأحوال الفتنة وتغذّت بألبانها المتلونة، وشبّت وترعرعت على أساليبها الماكرة الخداعة، وقلدتها أوسمة العلم المزيفة. فلم يبرز للوجود منهم إلا الذين رضيت عنهم الدولة ورضوا عنها⁽¹⁾.

كيف يترك - من يدّعي التمسك بالسنة - الإمام علي باب مدينة العلم والإمام الحسن والإمام الحسين سداً شباب أهل الجنة والأئمة الطاهرين من عترة النبي الذين ورثوا علوم جدهم رسول الله (ص) ويتبع أئمة لا علم لهم بالسنة النبوية بل هم صنّعة السياسة الأموية؟

كيف يدّعي «أهل السنة والجماعة» بأنهم أتباع السنة النبوية وهم يحملون القيم عليها؟ بل كيف يتركون وصايا النبي وأوامره بالتمسك بالعترة الطاهرة، ثم يدّعون أنهم أهل السنة؟!

وهل يشك مسلم عرف التاريخ الإسلامي وعرف القرآن والسنة بأن «أهل السنة والجماعة» هم أتباع الأمويين والعباسيين؟

وهل يشك مسلم عرف القرآن والسنة وعرف التاريخ الإسلامي بأن الشيعة الذين يقلدون عترة النبي ويوالونهم هم أتباع السنة النبوية، وليس لأحد غيرهم أن يدّعيها؟

(1) سيأتي في الأبحاث القادمة بأنّ الحكّام الأمويين والعباسيين هم الذين أوجدوا تلك المذاهب وفرضوها.

أرأيت أيها القارئ العزيز كيف تقلب السياسة الأمور وتجعل من الباطل حقاً ومن الحق باطلاً! فإذا بالموالين للنبي وعترته تُسميهم بالروافض وبأهل البدع، وإذا بأهل البدع الذين نبذوا سنة النبي وعترته واتبعوا اجتهاد الحكام الجائرين تسميهم «أهل السنة والجماعة»! إنه حقاً أمر عجيب.

أما أنا فأعتقد جزمًا بأن قريش هي وراء هذه التسمية وهو سر من أسرارها ولغز من ألغازها.

وقد عرفنا في ما سبق بأن قريشاً هي التي نهت عبد الله بن عمرو عن كتابة السنة النبوية بدعوى أن النبي غير معصوم.

فقريش هي في الحقيقة أشخاص معينون لهم نفوذ وعصبية وقوة معنوية في أوساط القبائل العربية، وقد يُسميهم بعض المؤرخين بـ «دهاة العرب» لما اشتهروا به من المكر والدهاء والتفوق في إدارة الأمور، ويسميهم البعض بـ «أهل الحل والعقد».

ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعثمان وأبو سفيان ومعاوية ابنه وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومروان بن الحكم، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح وغيرهم⁽¹⁾.

وقد يجتمع هؤلاء للتشاور وتقرير أمر يتفقون عليه فيرمون أمرهم ويفشونه في الناس ليصبح فيما بعد أمراً واقعاً وحقيقة متبعة دون أن يعرف سائر الناس سر ذلك.

ومن هذا المكر الذي مكروه قولهم بأن محمداً غير معصوم وهو كسائر البشر يجوز عليه الخطأ فينتقصونه ويجادلونه في الحق وهم يعلمون.

ومنها شتمهم لعلي بن أبي طالب ولعنهم إياه باسم أبي تراب وتصويره للناس بأنه عدو لله ولرسوله.

(1) لقد استثنينا من هؤلاء الإمام علياً (عليه السلام) لأنه يُفرَّق بين دهاء الحكمة وحسن التدبير وبين دهاء الخداع والغش والنفاق، وقد قال غير مرة: «لولا الغش والنفاق لكنث أدهى العرب» كما جاء في القرآن قوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ فمكر الله هو الحكمة وحسن التدبير. أما مكر المشركين فهو غش ونفاق وخداع وزور وهتان.

ومنها شتمهم ولعنهم للصحابي الجليل عمار بن ياسر تحت اسم مستعار فسموه عبد الله بن سبأ أو ابن السوداء ، لأن عماراً كان ضد الخلفاء وكان يدعو الناس لإمامة علي بن أبي طالب⁽¹⁾.

ومنها تسمية الشيعة الذين والوا علياً — بالروافض — كي يموهوا على الناس بأن هؤلاء رفضوا محمداً واتبعوا علياً .

ومنها تسمية أنفسهم بـ «أهل السنة والجماعة» حتى يُموهوا على المؤمنين المخلصين بأنهم يتمسكون بسنة النبي مقابل الروافض الذين يرفضونها .

وفي الحقيقة هم يقصدون بـ «السنة» البدعة المشؤومة التي ابتدعوها في سب ولعن أمير المؤمنين وأهل بيت النبي على المنابر في كل مسجد من مساجد المسلمين وفي كل البلدان والمدن والقرى ، فدامت تلك البدعة ثمانين عاماً ، حتى كان خطيبهم إذا نزل للصلاة قبل أن يلعن علي بن أبي طالب ، صاح به من في المسجد «تركت السنة ، تركت السنة» .

ولما أراد الخليفة عمر بن عبد العزيز إبدال هذه السنة بقوله تعالى : ﴿إِنْ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى . . .﴾ (النحل : 90) تأمروا عليه وقتلوه لأنه أَمَات سَتِّهِمْ وَسَفَّهَ بِذَلِكَ أَقْوَالَ أَسْلَافِهِ الَّذِينَ أَوْصَلُوهُ لِلْخِلَافَةِ فَقَتَلُوهُ بِالسُّمِّ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَةِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَلَمْ تَطُلْ خِلَافَتُهُ غَيْرَ سِتِّينَ وَذَهَبَ ضَحِيَّةَ الْإِصْلَاحِ لِأَنَّ بَنِي عُمُوْمَتِهِ الْأُمَوِيْنَ لَمْ يَقْبَلُوْا أَنْ يُمَيِّتَ سَتِّهِمْ وَيَرْفَعَ بِذَلِكَ شَأْنَ أَبِي تَرَابٍ وَالْأَثْمَةِ مِنْ وَلَدِهِ .

وبعد سقوط الدولة الأموية جاء العباسيون فنكّلوا بدورهم بأئمة أهل البيت وشيعتهم إلى أن جاء دور الخليفة جعفر بن المعتصم الملقب «بالمُتَوَكِّل» فكان من أشدّ الناس عداوةً لعلي وأولاده ووصل به البغض والحقد إلى نبش قبر الحسين في

(1) يراجع في ذلك كتاب «الصلة بين التصوف والتشيع» للدكتور مصطفى كامل الشيبني المصري ، والذي بيّن فيه بعشرة أدلّة قوينة بأنّ عبد الله بن سبأ اليهودي أو ابن السوداء ليس إلا سيدنا عمار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه) .

كربلاء ومنع الناس من زيارته⁽¹⁾ وكان لا يعطي عطاء ولا يبذل مالاً إلا لمن شتم علياً وولده .

وقصة المتوكل مع ابن السكيت العالم النحوي المشهور معروفة وقد قتله شر قتلة ، فاستخرج لسانه من قفاه عندما اكتشف بأنه يتشيع لعلي وأهل بيته في حين أنه كان أستاذاً لولديه .

وبلغ حقد المتوكل ونصبه أن أمر بقتل كل مولود يُسمّيه أبواه باسم علي لأنه أبغض الأسماء إليه . حتى أن علي بن الجهم الشاعر لما تقابل مع المتوكل قال له : يا أمير المؤمنين إن أهلي عقوني ، قال المتوكل : لماذا؟ قال : لأنهم سموني علياً وأنا أكره هذا الاسم وأكره من يتسمّى به ، فضحك المتوكل وأمر له بجائزة .

وكان يقيم في مجلسه رجلاً يشبه بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فيضحك الناس عليه ويقولون : قد أقبل الأصلع البطين فيسخر منه أهل المجلس ويتسلّى بذلك الخليفة .

ولا يفوتنا هنا أن نلاحظ بأن المتوكل هذا ، والذي دلّ بغضه لعلي على نفاقه وفسقه يُحبّه أهل الحديث وقد لقبوه بـ «محيي السنة» .

وبما أن أهل الحديث هم أنفسهم «أهل السنة والجماعة» فثبت بالدليل الذي لا ريب فيه أن «السنة» المقصودة عندهم هي بغض علي بن أبي طالب ولعنه والبراءة منه فهي النصب .

ومما يزيدنا وضوحاً على ذلك أن الخوارزمي يقول في كتابه : «حتى أن هارون بن الخيزران وجعفر المتوكل على الشيطان لا على الرحمان ، كانا لا يُعطيان مالاً ولا يبذلان نوالاً ، إلّا لمن شتم آل أبي طالب ونصر مذهب النواصب»⁽²⁾ .

(1) وإذا كان الخليفة يصل إلى هذه الدرجة من الحسّة والانحطاط فينبش قبور الأنمة من أهل البيت وبالخصوص قبر سيّد شباب أهل الجنّة ، فلا تسأل بعدها عمّا فعلوه في الشيعة الذين كانوا يتركون زيارة قبره ، فقد وصل شيعة أهل البيت إلى أقصى المعاناة والمحن حتى يتمنّى المسلم أن يتهموه بأنّه يهودي ولا يتهموه بالنشيع فلا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .

(2) كتاب الخوارزمي ص 135 .

كما ذكر ابن حجر عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : لما حدث نصر بن علي بن صهبان بأن رسول الله (ص) أخذ بيد الحسن والحسين وقال : « من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان في درجتي يوم القيامة » ، أمر المتوكل بضربه ألف سوط ، فأشرف على الهلاك ، فكلمه فيه جعفر بن عبد الواحد وجعل يقول له : يا أمير المؤمنين هذا من أهل السنة ، فلم يزل به حتى تركه⁽¹⁾.

والعاقِلُ يفهم من قول جعفر بن عبد الواحد للمتوكل بأن نصراً هو من أهل السنة لينقذه من القتل دليل آخر بأن «أهل السنة» هم أعداء أهل البيت الذين يبغضهم المتوكل ويقتل كل من يذكر لهم فضيلة واحدة وإن لم يكن يتشيع لهم .

وهذا ابن حجر يذكر أيضاً في كتابه بأن عبد الله بن إدريس الأزدي كان صاحب «سنة وجماعة» وكان صلباً في السنة مرضياً وكان عثمانياً⁽²⁾.

كما قال في عبد الله بن عون البصري : إنه موثق وله عبادة وصلابة في السنة وشدة على أهل البدع ، قال ابن سعد : كان عثمانياً⁽³⁾.

وذكر أيضاً أن إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني كان حريزي المذهب ، (أي على مذهب حريز بن عثمان الدمشقي) المعروف بالنصب وقال ابن حيّان : إنه كان صلباً في السنة⁽⁴⁾.

وبهذا عرفنا بأن النصب والبغض لعلي وأولاده وشتم آل أبي طالب ولعن أهل البيت يُعد عندهم من الصلابة في «السنة» ، وعرفنا بأن العثمانيين هم أهل النصب والعداء لأهل البيت ، وهم أهل الشدة على من يتولّى علماً وذريته .

(2) تهذيب التهذيب لابن حجر ترجمة نصر بن علي بن صهبان .

(2) ابن حجر في تهذيب التهذيب ج5 ص145 . والمعروف أنّ العثمانيين كانوا يلعنون علماً ويتهمونهم بقتل عثمان بن عفان .

(3) ابن حجر في تهذيب التهذيب ج5 ، ص348 .

(4) ابن حجر في تهذيب التهذيب ج1 ، ص82 .

ويقصدون بأهل البدع «الشيعة الذين قالوا بإمامة علي» ، لأنها عندهم بدعة ، إذ خالفت ما عليه الصحابة والخلفاء الراشدين و «السلف الصالح» من إبعاده وعدم الاعتراف بإمامته ووصايته .

والشواهد التاريخية على إقامة هذا الدليل كثيرة جداً ولكن ما ذكرناه فيه الكفاية لمن أراد البحث والتحقيق وقد رُمنا الاختصار كالعادة ، وعلى الباحثين أن يُدركوا أضعاف ذلك إن شاؤوا .

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾
(العنكبوت : 69) .

النبي (ص) هو الذي عيّن أئمة الشيعة

لا يشكُّ باحثٌ درسَ السيرة النبوية وعرف التاريخ الإسلامي بأنَّ النبي (ص) هو الذي عيّن الأئمة الاثني عشر ونصَّ عليهم ليكونوا خلفاءه من بعده وأوصيائه على أمته .

وقد جاء ذكر عددهم في صحاح أهل السنة وأنهم اثنا عشر وكلهم من قريش وقد أخرج ذلك البخاري ومسلم وغيرهما .

كما جاء في بعض المصادر السنية ذكرهم بأسمائهم مُوضحاً (ص) بأنَّ أولهم علي بن أبي طالب وبعده ابنه الحسن ثم أخوه الحسين ثم تسعة من ذرية الحسين آخرهم المهدي .

أخرج صاحب ينابيع المودة في كتابه قال : قدم يهوديُّ يقال له : «الأعتل» فقال : يا محمد أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين فإن أجبتني عنها أسلمتُ على يدك . قال : سل يا أبا عمارة ، فسأله عن أشياء إلى أن قال : صدقت ، ثم قال : فأخبرني عن وصيتك من هو؟ فما من نبي إلا وله وصيٌّ وإنَّ نبيّنا موسى بن عمران أوصى يوشع بن نون .

فقال : إنَّ وصيّي علي بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوهُ تسعة أئمة من صلب الحسين .

قال : يا محمد فسمّهم لي .

قال : إذا مضى الحسين فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه محمد ، فإذا مضى

محمّد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي فهؤلاء اثنا عشر، قال: فأسلم اليهودي وحمد الله على الهداية⁽¹⁾. ولو أردنا تصفّح كتب الشيعة وما فيها من الحقائق بخصوص هذا الموضوع لوجدنا أضعاف ذلك.

ولكن يكفينا دليلاً أنّ علماء «أهل السنة والجماعة» يعترفون بعدد الأئمة الاثني عشر، ولا وجود لهؤلاء الأئمة غير علي وبنيه الطاهرين.

ومّا يزيدنا يقيناً أنّ الأئمة الاثني عشر من أهل البيت لم يتتلمذوا على أي واحد من علماء الأمة، فلم يَرَوْا لنا أصحاب التواريخ ولا المحدثون وأصحاب السير بأنّ أحد الأئمة من أهل البيت تلقّى علمه من بعض الصحابة أو التابعين، كما هو الحال بالنسبة لكلّ علماء الأمة وأئمتهم.

فأبو حنيفة تتلمذ على جعفر الصادق ومالك تتلمذ على أبي حنيفة، والشافعي تلقّى عن مالك وأخذ عنه وهكذا أحمد.

أمّا أئمة أهل البيت فعلمهم موهوب من الله سبحانه وتعالى يتوارثونه أباً عن جدّ، فهم الذين خصّهم الله بقوله:

﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ (فاطر: 32).

وقد عبّر الإمام جعفر الصادق عن هذه الحقيقة مرّة بقوله: عجباً للنّاس يقولون بأنّهم أخذوا علمهم كلّهم عن رسول الله (ص) فعملوا به واهتدوا! ويروون أنّ أهل البيت لم نأخذ علمه ولم نهتد به ونحن أهله وذريته، في منازلنا أنزل الوحي، ومن عندنا خرج العلم إلى النّاس، أفتراهم علموا واهتدوا، وجهلنا وضللنا؟!!

نعم، كيف لا يتعجّب الإمام الصادق من أولئك الذين يدّعون أنّهم أخذوا العلم من رسول الله، وهم يُعادون أهل بيته وباب علمه الذي منه يؤتّى،

(1) القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص 440. وفرائد السمطين للحموي بسنده عن مجاهد عن ابن عباس.

وكيف لا يتعجب من انتحالم اسم «أهل السنة» وهم يُخالفون هذه السنة؟؟!
وإذا كان الشيعة كما يشهد التاريخ قد اختصّوا بعليّ فناصروه ووقفوا ضدّ
عدوّه، وحاربوا حربه وسالموا سلمه وأخذوا كلّ علومهم منه .

فأهل السنة والجماعة لم يتشيّعوا له ولم ينصروه، بل حاربوه وأرادوا القضاء
عليه، وقد تتبّعوا أولاده من بعده قتلاً وسجناً وتشريداً، وخالفوه في أكثر
الأحكام باتباعهم أدعياء العلم الذين اختلفوا بآرائهم واجتهاداتهم في أحكام
الله فبدّلوها حسب أهوائهم وما اقتضته مصالحهم .

وكيف لا نعجب نحن اليوم من الذين يدّعون اتباع السنة النبوية ويشهدون
على أنفسهم أنّهم تركوا سنة النبي لأنها أصبحت شعاراً للشيعة⁽¹⁾ أليس ذلك
عجيباً؟!

كيف لا نعجب من الذين يزعمون بأنهم «أهل السنة والجماعة» وهم
جماعات متعدّدة مالكية وحنفية وشافعية وحنبلية يُخالفون بعضهم في الأحكام
الفقهية ويدّعون بأنّ ذلك الاختلاف هو رحمة لهم، فيصبح بذلك دين الله أهواء
وآراء وما تشتهي أنفسهم .

نعم إنهم جماعات متعدّدة تفرّقوا في أحكام الله ورسوله، ولكنهم اجتمعوا
واتفقوا على تصحيح خلافة السقيفة الجائرة وترك وإبعاد العترة الطاهرة .

كيف لا نعجب من هؤلاء الذين يتبجّحون بأنهم «أهل السنة» وقد تركوا أمر
رسول الله (ص) بالتمسك بالثقلين كتاب الله والعترة رغم إخراجهم هذا
الحديث وتصحيحه؟ فإنهم لم يتمسكوا بالقرآن ولا بالعترة، لأنهم بتركهم
للعترة الطاهرة فقد تركوا القرآن، لأنّ الحديث الشريف مفاده أنّ القرآن والعترة
لا يفترقان أبداً كما أخبر بذلك رسول الله بقوله : وقد أنبأني اللّطيف الخبير بأنّهما

(1) يراجع في ذلك كتاب «مع الصادقين» صفحة 159 - 160 ليعرف بأنّ ابن تيمية يقول بترك
السنة النبوية إذا أصبحت شعاراً للشيعة ومع ذلك يسمّونه بمجدد السنة .
منهاج السنة لابن تيمية ج 2، ص 143، وشرح المواهب للزرقاني ج 5، ص 13، وكتاب مصنف
الهداية .

(القرآن والعرة) لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض⁽¹⁾.

وكيف لا نعجب من قوم يدعون أنهم «أهل السنة» وهم يخالفون ما ثبت في صحاحهم من فعل النبي وأوامره ونواهيه⁽²⁾؟

أما إذا اعتقدنا وصححنا حديث: «تركْتُ فيكم كتاب الله وسنتي ما إن تمسكتُم بها لن تضلُّوا بعدي أبداً» كما يحلو لبعض «أهل السنة» أن يُثبتوه اليوم، فإنَّ العجب سيكون أكبر والفضيحة أظهر.

إذ أن كُبراءهم وأئمتهم هم الذين أحرقوا السنة التي تركها رسول الله فيهم، ومنعوا من نقلها وتدوينها كما عرفنا ذلك في ما تقدّم من أبحاث سابقة.

وقد قال عمر بن الخطاب بصريح اللفظ: «حسبنا كتاب الله يكفيننا». وهو ردّ صريح على رسول الله (ص) والرّاد على رسول الله رادُّ على الله كما لا يخفى.

وقول عمر بن الخطاب هذا أخرجه كلّ صحاح «أهل السنة» بما فيهم البخاري ومسلم، فإذا كان النبي قد قال: تركْتُ فيكم كتاب الله وسنتي، فعمر قال له: حسبنا كتاب الله ولا حاجة لنا بسنتك وإذا كان عمر قد قال بمحضر النبي حسبنا كتاب الله، فإنَّ أبا بكر أكّد على تنفيذ رأي صاحبه فقال عندما أصبح خليفة: «لا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلُّوا حلاله وحرموا حرامه»⁽³⁾.

كيف لا نعجب من قوم تركوا سنة نبيّهم ونبذوها وراء ظهورهم، وأحلُّوا محلّها بدعاً ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان، ثمَّ يُسمّون أنفسهم وأتباعهم «أهل السنة والجماعة»؟

(1) أخرجه الإمام أحمد ج 5 ص 189 من مسنده والمستدرك للحاكم ج 3 ص 148. وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصحّحه الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته على شرط الشيخين.

(2) أخرج البخاري في صحيحه بأنَّ النبي نهى عن صلاة التراويح في رمضان جماعة وقال: «صلُّوا أيّها النَّاسُ في بيوتكم، فإنَّ أفضل صلاة المرء في بيته ما عدا الصلّاة المكتوبة». ولكنَّ أهل السنة تركوا نهى الرسول وأتبعوا بدعة عمر بن الخطاب.

(3) تذكرة الحفاظ للذهبي ج 1 ص 3.

ولكنّ العجب يزول عندما نعرف بأنّ أبا بكر وعمر وعثمان ما كانوا يعرفون هذه التسمية أبداً، فهذا أبو بكر يقول: «لئن أخذتموني بسنة نبيكم لا أطيقها»⁽¹⁾.

كيف لا يطيق أبو بكر سنة النبي؟ فهل كانت سنته (ص) أمراً مستحيلاً حتى لا يطيقها أبو بكر؟

وكيف يدعي «أهل السنة» أنهم متمسكون بها إذا كان إمامهم الأول ومؤسس مذهبهم لا يطيقها؟؟!

ألم يقل الله سبحانه في حقها: ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: 21)؟ وقال في حقها أيضاً: ﴿لَا يَكُلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (الطلاق: 7) وقال أيضاً: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: 78). فهل يرى أبو بكر وصاحبه عمر أنّ رسول الله ابتدع ديناً غير الذي أنزل الله، فأمر المسلمين بما لا يُطاق وكلفهم عُسراً؟ حاشاه فقد كان كثيراً ما يقول: بشروا ولا تُنفروا، يسروا ولا تُعسروا، إنّ الله أتاكم رخصة فلا تشددوا على أنفسكم. ولكنّ اعتراف أبي بكر بأنّه لا يطيق سنة النبي يؤكد ما ذهبنا إليه من أنّه أحدث بدعة يطيقها حسب هواه وتماشى وسياسة الدولة التي ترأسها.

ولعلّ عمر بن الخطّاب كان يرى هو الآخر بأنّ أحكام القرآن والسنة لا تُطاق فعمد إلى ترك الصلاة إذا أجنب ولم يجد الماء وأفتى بذلك أيام خلافته وقد عرف ذلك الخاص والعام وأخرج ذلك عنه كلّ المحدثين.

وبما أنّ عمر كان مولعاً بكثرة الجماع وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: 187)، لأنّه لم يصبر على الجماع وقت الصيام، وبما أنّ الماء كان قليلاً رأى عمر أنّه من الأسهل أن يترك الصلاة ويرتاح إلى أن يتوفّر لديه الماء الكافي للغسل عند ذلك يعود إلى الصلاة.

أما عثمان فقد خالف السنة النبوية كما هو معروف حتى أخرجت عائشة قميص النبي وقالت: لقد أبلى عثمان سنة النبي قبل أن يبلى قميصه، وحتى

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 1 ص 4 وكنز العمال ج 3 ص 126.

عابه الصحابة بأنه خالف سنة النبي وسنة الشيخين وقتلوه من أجل ذلك .
أما معاوية فحدث ولا حرج فإنه عاند القرآن والسنة وتحداهما ، فبينما يقول
النبي (ص) : «علي مني وأنا من علي من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد
سب الله»⁽¹⁾ ، نجد معاوية قد أمعن في سبه ولعنه ولم يكتف بذلك حتى أمر
كل ولاته وعماله أن يسبوه ويلعنوه ومن امتنع منهم عزله وقتله .

وإذا عرفنا بأن معاوية هو الذي سمى نفسه وأتباعه بـ «أهل السنة
والجماعة» في مقابل تسمية الشيعة بأتباع الحق .

وينقل بعض المؤرخين بأن العام الذي استولى فيه معاوية على الخلافة
الإسلامية بعد صلح الحسن بن علي ، قد سُمي ذلك العام بعام الجماعة .
ويزول العجب عندما نفهم بأن كلمة «السنة» لا يقصد بها معاوية وجماعته
إلا لعن علي بن أبي طالب من فوق المنابر الإسلامية في أيام الجمعة والأعياد .
وإذا كانت «السنة والجماعة» من ابتكار معاوية بن أبي سفيان فنسأله
سبحانه أن يُميّتنا على بدعة الرّفص التي أسّسها علي بن أبي طالب وأهل البيت
(عليهم السلام)!! .

ولا تستغرب أيها القارئ العزيز أن يُصبح أهل البدعة والضلالة هم «أهل
السنة والجماعة» ويصبح الأئمة الطاهرون من أهل البيت هم أهل البدعة .
فها هو العلامة ابن خلدون من مشاهير علماء «أهل السنة والجماعة» يقولها
بكل وقاحة بعد أن عدّد مذاهب الجمهور قال : «وشدّ أهل البيت بمذاهب
ابتدعوها وفقه انفردوا به وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة
بالقدح»⁽²⁾ .

ألم أقل لك أيها القارئ من البداية : «لو عكست لأصبت» فإذا كان
الفساق من بني أمية هم «أهل السنة» وأهل البيت هم أهل البدعة كما يقول
ابن خلدون فعلى الإسلام السلام وعلى الدنيا العفا .

(1) مستدرك الحاكم ج 3 ص 121 مسند أحمد ج 6 ص 323 خصائص النسائي ص 17 .

(2) مقدّمة ابن خلدون ص 494 في فصل علم الفقه وما يتبعه من الفرائض .

حَكَامُ الْجَوْرِ هُمَ الَّذِينَ نَصَّبُوا أُمَّةَ «أَهْلِ السَّنَةِ»

ومما يدلُّنا على أنَّ أُمَّةَ المذاهب الأربعة من «أهل السَّنَةِ» هم أيضاً خالفوا كتاب الله وسنَّةَ النَّبِيِّ الذي أمرهم بالاعتداء بالعترة الطَّاهرة، فلم نجد واحداً منهم لوى عنقه وركب سفيتهم وعرف إمام زمانه .

فهذا أبو حنيفة الذي تتلمذ على الإمام الصادق والذي اشتهر عنه قوله : «لولا الستتان لهلك النعمان» نجده قد ابتدع مذهباً يقوم على القياس والعمل بالرأي مقابل النصوص الصريحة .

وهذا مالك الذي تلقى هو الآخر عن الإمام الصادق، ويُروى عنه قوله : ما رأيت عينٌ ولا سمعتُ أذن ولا خطر على قلب بشر أفقه وأعلم من جعفر الصادق، نجده قد ابتدع مذهباً في الإسلام وترك إمام زمانه الذي يشهد بنفسه أنَّه أعلم وأفقه البشر في عصره . فقد نفخ في روعه الحَكَامُ العباسيون وسمَّوه «إمام دار الهجرة» فأصبح مالك بعدها صاحب الجاه والسلطان والحول والطول .

وهذا الشافعي الذي يُتهم بأنَّه كان يتشيع لأهل البيت فقد قال في حقهم تلك الأبيات المشهورة :

يا أهل بيت رسول الله حبَّكم فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم الفضل أنكم مَنْ لم يصلِّ عليكم لا صلاة له

كما يُنسبُ إليه في مدح أهل البيت (ع) هذه الأبيات :

ولمّا رأيتُ النَّاسَ قد ذهبت بهم مذاهبهم في أبحر الغيِّ والجهل
ركبْتُ على اسم الله في سفن النجا وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرّسل
وأمسكْتُ جبل الله وهو ولاؤهم كما قد أمرنا بالتمسك بالجبل
ويشتهر عنه قوله :

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أنّي رافضي
وإذا يشهد الثقلان أنّه رافضي فلماذا لم يرفض المذاهب التي قامت ضد أهل
البيت بل ابتدع هو الآخر مذهباً يحملُ اسمه ، وترك أئمة أهل البيت الذين
عاصروهم ؟

وهذا أحمد بن حنبل الذي ربّع الخلافة بعلي وألقاه بالراشدين بعدما كان
منكوراً ، وألف فيه كتاب الفضائل ، واشتهر عنه قوله : « ما لأحدٍ من الصّحابة
من الفضائل بالأسانيد الصّحاح مثلما لعلي (رضي الله عنه) » .

إلا أنّه ابتدع له مذهباً في الإسلام اسمه المذهب الحنبلي ، رغم شهادة العلماء
من معاصريه بأنّه ليس فقيهاً ، قال الشيخ أبو زهرة : « إنّ كثيراً من الأقدمين لم
يعدّوا أحمد بن حنبل من الفقهاء ، كابن قتيبة وهو قريب من عصره جداً
وكذلك ابن جرير الطبري وغيرهما »⁽¹⁾ .

وجاء ابن تيمية فرفع لواء المذهب الحنبلي وأدخل عليه بعض النظريات
الجديدة التي تحرم زيارة القبور والبناء عليها ، والتوسّل بالنبي وأهل البيت فكلّ
ذلك عنده شركاً .

فهذه هي المذاهب الأربعة وهؤلاء هم أئمتّها وما ينسبُ إليهم من أقوال في
حقّ العترة الطاهرة من آل البيت .

فإمّا أنّهم يقولون ما لا يفعلون وهو مقتٌ كبيرٌ عند الله ، أو أنّهم لم يبتدعوا
تلك المذاهب ، ولكن أتباعهم من أذئاب الأمويّين والعبّاسيين هم الذين

(1) كتاب أحمد بن حنبل لأبي زهرة ص 170 .

أسسوا تلك المذاهب بإعانة الحكّام الجائرين ثم نسبوها إليهم بعد وفاتهم ، وهذا ما سنعرفه إن شاء الله في الأبحاث القادمة .

أفلا تعجبون من هؤلاء الأئمة الذين عاصروا أئمة الهدى من أهل البيت ، ثم تنكبوا صراطهم المستقيم ولم يهتدوا بهديهم ، ولا اقتبسوا من نورهم ، ولا قدّموا حديثهم عن جدّهم رسول الله (ص) بل قدّموا عليهم كعب الأخبار اليهودي ، وأبا هريرة الدوسي الذي قال في شأنه أمير المؤمنين علي (ع) : «إنّ أكذب الناس على رسول الله لأبو هريرة الدوسي» كما قانت فيه عائشة بنت أبي بكر نفس الكلام .

ويقدّمون عليهم عبد الله بن عمر الناصبي الذي اشتهر ببغضه للإمام علي وامتنع عن مبايعته وبايع إمام الضلالة الحجاج بن يوسف .

ويقدّمون عليهم عمرو بن العاص وزير معاوية على الغش والتفّاق .

أفلا تعجبون كيف أباح هؤلاء الأئمة لأنفسهم حقّ التشريع في دين الله بآرائهم واجتهاداتهم حتّى قضوا على السنّة النبوية بما أحدثوه من قياس واستصحاب وسدّ باب الذرائع والمصالح المرسلّة وغير ذلك من بدعهم التي ما أنزل الله بها من سلطان؟

وهلّ غفل الله ورسولُه عن إكمال الدين ، وأباح لهم أن يكملوه باجتهاداتهم فيحلّلوا ويحرّموا كما يحلو لهم؟!

أفلا تعجبون من المسلمين الذين يدعون التمسك بـ «السنّة» كيف يُقلّدون رجالاً لم يعرفوا النّبي (ص) ولم يعرفهم؟!

فهل عندهم دليل من كتاب الله ، أو من سنّة رسوله على اتّباع وتقليد أولئك الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب؟!

فأنا أتحدّى الثّقيلين من الإنس والجنّ أن يأتوا بدليل واحد على ذلك من كتاب الله أو من سنّة رسوله . فلا والله ، لا ولن يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

لا والله ، ليس هناك دليلٌ في كتاب الله وسنة رسوله إلا على اتباع وتقليد الأئمة الطاهرين من عترة النبي (صلى الله عليه وعليهم) . أما هذا فهناك أدلة كثيرة وحجج دامغة وحقائق ساطعة .

﴿فاعتبرُوا يا أولي الأبصار﴾ (الحشر: 2) .

﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾
(الحج: 46) .

السرف فف انتشار المذاهب السنية

إنّ المتتبع فف كتب التاريخ وما دونه الأسلاف ففد بها لا شك ففه بأنّ شفع المذاهب «السنية» الأربعة فف تلك العصور كان بإرادة السلطنة الحاكمة وإدارتها، ولذلك كثر أتباعها فالناس على دين ملوكهم .

كما ففد الباحث بأنّ هناك عشرات المذاهب التي انقرضت وذابت لأنّ الحاكم لم فكن راضف عليها، كمذهب الأوزاعي ومذهب حسن البصري، وأبو عينة وابن أفي ذؤيب، وسفيان الثوري، وابن أفي داود، وليث بن سعد وغيرهم كثير.

وعلى سبيل المثال، فإنّ ليث بن سعد كان صديق مالك بن أنس وكان أعلم منه وأفقه كما اعترف بذلك الشافعي⁽¹⁾.

ولكنّ مذهبه انقرض وفقهه ذاب واندرس لأنّ السلطنة لم تكن عنه راضية . وقال أحمد بن حنبل : كان ابن أفي ذؤيب أفضل من مالك بن أنس إلا أنّ مالكا أشدّ تنقية للرجال⁽²⁾.

وإذا راجعنا التاريخ، فإننا نجد مالكا صاحب المذهب قد تقرب إلى السلطنة والحكام وسالمهم ومشى فف ركا بهم، فأصبح بذلك الرجل المهاب والعالم المشهور، وانتشر مذهبه بوسائل الترهيب والترغيب خصوصا فف الأندلس حيث

(1) مناقب الشافعي ص 524 .

(2) تذكرة الحفاظ ج 1، ص 176 .

عمل تلميذه يحيى بن يحيى على موالاته حاكم الأندلس ، فأصبح من المقربين وأعطاه الحاكم مسؤولية تعيين القضاة فكان لا يولي على القضاء إلا أصحابه من المالكية فقط .

كذلك نجد أن سبب انتشار مذهب أبي حنيفة بعد موته هو أن أبا يوسف والشيباني وهما من أتباع أبي حنيفة ومن أخلص تلاميذه ، كانا في نفس الوقت من أقرب المقرّبين لهارون «الرّشيد» الخليفة العبّاسي ، وقد كان لهما الدور الكبير في تثبيت ملكه وتأييده ومناصرته ، فلم يسمح هارون «الجواري والمجون» لأحد أن يتولّى القضاء والفتيا إلا بعد موافقتها .

فلم يُنصّب قاضياً إلا إذا كان على مذهب أبي حنيفة ، فصار أبو حنيفة أعظم العلماء ومذهبه أعظم المذاهب الفقهيّة المتبعة ، رغم أن علماء عصره كفّروه واعتبروه زنديقاً ، ومن هؤلاء الإمام أحمد بن حنبل والإمام أبو الحسن الأشعري .

كما أن المذهب الشافعي انتشر وقويّ بعدما كاد يندرس ، وذلك عندما أيّدته السّلطة الغاشمة ، وبعدها كانت مصر كلّها شيعة فاطمية ، انقلبت إلى شافعية في عهد صلاح الدّين الأيوبي الذي قتل الشيعة وذبحهم ذبح النّعاج .

كما أن المذهب الحنبلي ما كان ليُعرف لولا تأييد السّلطات العبّاسية في عصر المعتصم عندما تراجع ابن حنبل عن قوله بخلق القرآن ولمع نجمه في عهد المتوكّل «النّاصبي» .

وقوي وانتشر عندما أيدت السّلطات الاستعماريّة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الماضي وتعامل هذا الأخير مع آل سعود فأيدوه فوراً وناصروه وعملوا على نشر مذهبه في الحجاز والجزيرة العربية .

وأصبح المذهب الحنبلي يعود إلى ثلاثة أئمة أولهم أحمد بن حنبل الذي لم يكن يدّعي بأنّه فقيهاً ، وإنّما كان من أهل الحديث ، ثم ابن تيمية الذي لقّبه بشيخ الإسلام ومجدّد «السنة» والذي كفّره علماء عصره لأنّه حكم على كلّ المسلمين بالشرك لأنهم يتبركون ويتوسّلون بالنبي (ص) ، ثم جاء في القرن الماضي محمد بن عبد الوهاب صنيعة الاستعمار البريطاني في الشرق الأوسط ،

فعمل هو الآخر على تجديد المذهب الحنبلي بما أخذه من فتاوى ابن تيمية، وأصبح أحمد بن حنبل في خبر كان إذ أن المذهب عندهم اليوم يُسمى المذهب الوهابي.

ومما لا شك فيه أن انتشار تلك المذاهب وشهرتها وعلو شأنها كان بتأييد ومباركة الحكام.

ومما لا شك فيه أيضاً بأن أولئك الحكام كلهم بدون استثناء كانوا يعادون الأئمة من أهل البيت لشعورهم الدائم بأن هؤلاء يهددون كيّانهم وزوال ملكهم، فكانوا يعملون دائماً على عزلهم عن الأمة وتصغير شأنهم وقتل من يتشيع لهم.

فبديهي أن يُنصب أولئك الحكام بعض العلماء المترلفين إليهم والذين يفتونهم بما يتلاءم مع حكمهم ووجودهم، وذلك لحاجة الناس المستمرة لوجود الحلول في المسائل الشرعية.

ولما كان الحكام في كل العصور لا يعرفون من الشريعة شيئاً ولا يفهمون الفقه، فكان لا بد أن يُنصبوا عالماً باسمهم يفتي، ويُمَوِّهون على الناس بأن السياسة شيء والدين شيء آخر.

فكان الخليفة الحاكم هو رجل السياسة والفقهاء رجل الدين كما يفعل ذلك اليوم رئيس الجمهورية في كل البلاد الإسلامية، فتراه يُعين أحد العلماء المقرّبين يُسمّيه مفتي الجمهورية أو أي عنوان آخر يعبر عن ذلك، ويكلفه بالنظر في مسائل الفتيا والعبادات والشعائر الدينية.

ولكنه في الحقيقة ليس لهذا الرجل أن يفتي أو يحكم إلا بما تُمليه عليه السلطة وما يُرضي الحاكم، أو على الأقل ما لا يتعارض وسياسة الحكومة وتنفيذ مشاريعها.

وهذه الظاهرة برزت في الحقيقة من عهد الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان، فهم وإن لم يُفرّقوا بين الدين والدولة إلا أنهم أعطوا أنفسهم حق التشريع بما يتماشى ومصالح الخلافة وضمان هيبتها واستمرارها.

ولما كان لهؤلاء الخلفاء الثلاثة حضورٌ مع النَّبي (ص) وصحبة فقد أخذوا عنه بعض السنن التي لا تتعارض مع سياستهم .

فإن معاوية لم يدخل الإسلام إلّا في السنة التاسعة للهجرة على أشهر الروايات الصحيحة ، فلم يصحب النَّبي إلّا قليلاً ولم يعرف من سنّته شيئاً يذكر ، فاضطرّ إلى تعيين أبي هريرة وعمر بن العاص وبعض الصحابة الذين كلّفهم بالإفتاء على ما يريده .

وأتبع بنو أمية وبنو العباس بعده هذه «السنة الحميدة» أو هذه البدعة الحسنة ، فكلّ حاكم جلس إلى جانبه قاضي القضاة المكلف بدوره بتعيين القضاة الذين يراهم صالحين للدولة ويعملون على دعمها وتأييدها .

وما عليك بعد ذلك إلّا أن تعرف ماهية أولئك القضاة الذين يُغضبون ربهم في إرضاء سيدهم وولي نعمتهم الذي نصبهم .

وتفهم بعد ذلك السر في إبعاد الأئمة المعصومين من العترة الطاهرة فلا تجد منهم أحداً وعلى مرّ العصور عيّنوه من قبلهم أو نصبوه قاضياً أو قلّدوه وسام الإفتاء .

وإذا أردنا مزيد التحقيق حول كيفية انتشار المذاهب «السنية» الأربعة بواسطة الحكّام ، فلنا أن نأخذ لذلك مثلاً واحداً من خلال كشف الستار عن مذهب الإمام مالك الذي يُعد من أكبر المذاهب وأعظمها قدراً وأوسعها فقهاً ، فقد اشتهر مالك بالخصوص بالموطأ الذي كتبه بنفسه ويقال عند أهل السنة بأنّه أصح الكتب بعد كتاب الله ، وهناك بعض العلماء الذين يقدّمونه ويفضّلونه على صحيح البخاري .

كما أن شهرة مالك فاقت كل الحدود ، حتى قيل : «أُفتى ومالك في المدينة»؟ ولقبوه بإمام دار الهجرة .

ولا يفوتنا أن نذكر بأن مالكاً أفتى بحرمة بيعة الإكراد فضر به جعفر بن سليمان وإلى المدينة سبعين سوطاً .

وهذا ما يحتج به المالكية دائماً على معاداة مالك للسلطة وهو غير صحيح إذ

أَنَّ الذين رَووا هذه القصة، هم أنفسهم الذين رَووا ما بعدها، فإليك البيان والتفصيل.

قال ابن قتيبة: «وذكروا أنه لما بلغ أبا جعفر المنصور ضرب مالك بن أنس وما أنزل به جعفر بن سليمان، أعظم ذلك إعظماً شديداً وأنكره ولم يرضه، وكتب بعزل جعفر بن سليمان عن المدينة وأمر أن يؤتى به إلى بغداد على قتب.

ثم كتب إلى مالك بن أنس ليستقدمه إلى نفسه ببغداد، فأبى مالك، وكتب إلى أبي جعفر يستعفيه من ذلك ويعتذر له بعض العذر إليه، فكتب أبو جعفر إليه أن وافني بالموسم العام القابل إن شاء الله فإني خارج إلى الموسم»⁽¹⁾.

فإذا كان أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي يعزل ابن عمه جعفر بن سليمان بن العباس عن ولاية المدينة من أجل ضرب مالك فهذا يبعث على الشك والتأمل.

إذ أن ضرب جعفر بن سليمان لمالك لم يكن إلا لتأييد خلافة ابن عمه وتدعيم ملكه وسلطانه، فكان الواجب على أبي جعفر المنصور إكرام الوالي وترقيته، لا عزله وإهانته بتلك الطريقة، فقد عزله وأمر بإقدامه على شر حال مكبلاً بالأغلال على قتب، ثم يبعث الخليفة بنفسه اعتذاره إلى مالك لكي يسترضيه! إنه أمر عجيب!

ويفهم من ذلك بأن والي المدينة جعفر بن سليمان تصرف تصرف الحمقى الذين لا يعرفون من السياسة ودهائها شيئاً، ولم يفهم بأن مالكا هو عمدة الخليفة وركيزته في الحرمين الشريفين، وإلا ما كان ليعزل ابن عمه من الولاية لأنه ضرب مالكا الذي استحق ذلك من أجل فتواه بحرمة بيعة الإكراه.

وهذا ما يقع اليوم أيضاً بين ظهرانينا وأمام أعيننا عندما يُحاول بعض الولاة إهانة شخص ما وسجنه لتدعيم هيبة الدولة وسلامة أمنها، فإذا بذلك الشخص يكشف عن هويته وإذا به من أقارب السيد الوزير أو من معارف

(1) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج 2، ص 149.

زوجة الرئيس فإذا بالوالي قد أعفني من منصبه ودُعِيَ لمهام أخرى قد لا يعرفها حتى الوالي نفسه .

وهذا يذكرني بحادثة وقعت زمن الاحتلال الفرنسي للبلاد التونسية، فكان شيخ الطريقة العيساوية وجماعته يضربون البنادير ويرفعون أصواتهم بالمدائح في الليل مروراً ببعض الشوارع وحتى يصلوا إلى محلّ الحضرة كما هي عادتهم .

وبمرورهم أمام مسكن ضابط الشرطة الفرنسي، خرج إليهم هذا الأخير مُغضباً فكسر بناديرهم وفرّق جمعهم، لأنهم لم يعملوا بقانون احترام الجار والتزام الهدوء بعد العاشرة ليلاً .

ولما علم المراقب المدني بالحادثة وهو بمثابة الوالي عندنا، غضب غضباً شديداً على ضابط الشرطة فعزله من منصبه وأعطاه ثلاثة أيام لمغادرة مدينة قفصة، ثم استدعى شيخ الطريقة العيساوية واعتذر إليه باسم الحكومة الفرنسية، واسترضاه بأموال كثيرة كي يشتري بها بنادير وأثاثاً جديداً ويعوّض كل ما كُسر لهم .

وعندما سأله أحد المقرّبين إليه لماذا فعل كل ذلك؟ أجابه بأن الأفضل لنا أن يتلهّى هؤلاء الوحوش بضرب البنادير وينشغلوا بالشطحات وأكل العقارب وإلاّ سوف يتفرّغوا لنا ويأكلونا نحن لأننا غاصيين حقوقهم .

ونعود إلى الإمام مالك لنستمع إليه يروي بنفسه كيف كان لقاءه بالخليفة أبي جعفر المنصور .

لقاء مالك مع أبي جعفر المنصور

هذه الرواية التي يرويها ابن قتيبة المؤرخ الكبير في كتابه تاريخ الخلفاء منقولة عن مالك نفسه، فلا بد من هذه الملاحظة وأخذها بعين الاعتبار.

قال مالك: لما صرْتُ بمنى أتيتُ السراقات، فأذنتُ بنفسِي، فأذن لي، ثم خرج إليّ الأذن من عنده فأدخلني، فقلتُ للأذن: إذا انتهيتُ بي إلى القبة التي يكون فيها أمير المؤمنين فأعلمني، فمرّ بي من سرادق إلى سرادق، ومن قبة إلى أخرى، في كلّها أصناف من الرجال بأيديهم السيوف المشهورة والأجزاء المرفوعة، حتّى قال لي الأذن: هو في تلك القبة، ثم تركني الأذن وتأخر عني.

فمشيتُ حتّى انتهيتُ إلى القبة التي هو فيها، فإذا هو قد نزل عن مجلسه الذي يكون فيه إلى البساط الذي دونه، وإذا هو قد لبس ثياباً قصدة لا تُشبه ثياب مثله تواضعاً لدخولي عليه، وليس معه في القبة إلّا قائم على رأسه بسيف صليت.

فلما دنوتُ منه، رَحَّب بي وقَرَّب، ثم قال: ها هنا إليّ فأوميتُ للجلوس، فقال: ها هنا، فلم يزل يُدنيني حتّى أجلسني إليه ولصقتُ ركبتي بركبته.

ثم كان أوّل ما تكلم به أن قال: والله الذي لا إله إلّا هو يا أبا عبد الله ما أمرتُ بالذي كان ولا علمتُه قبل أن يكون، ولا رضيتهُ إذ بلغني (يعني الضرب).

قال مالك: فحمدتُ الله تعالى على كل حال وصليتُ على الرسول (ص)،

ثم نَزَّهته عن الأمر بذلك والرضا به . ثم قال : يا أبا عبد الله ، لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين أظهرهم ، وإني أخالك أماناً لهم من عذاب الله وسطوته ولقد دفع الله بك عنهم وقعة عظيمة ، فإتهم ما علمت أسرع الناس إلى الفتن وأضعفهم عنها ، قاتلهم الله أتى يؤفكون .

وفد أمرت أن يُؤتى بعدو الله⁽¹⁾ من المدينة على قتبٍ ، وأمرت بضيق بجلسه والمبالغة في امتهانه ، ولا بدّ أن أنزل به من العقوبة أضعاف ما نالك منه .

فقلتُ له : عاقى الله أمير المؤمنين ، وأكرم مثواه ، قد عفوت عنه لقربته من رسول الله (ص) ثم منك .

قال أبو جعفر : وأنت فعفى الله عنك ووصلك .

قال مالك : ثم فاتحني فيمن مضى من السلف والعلماء ، فوجدته أعلم الناس بالناس ، ثم فاتحني في العلم والفقه ، فوجدته أعلم الناس بما اجتمعوا عليه ، وأعرفهم بما اختلفوا فيه ، حافظاً لما رُويَ وإعياً لما سُمع .

ثم قال لي : يا أبا عبد الله ضع هذا العلم ودونهُ ، ودون منه كُتباً ، وتجنّب شدائد عبد الله بن عمر ورخص عبد الله بن عباس ، وشواذ عبد الله بن مسعود ، واقصد إلى أواسط الأمور ، وما اجتمع عليه الأئمة والصّحابة (رضي الله عنهم) ، لنحمل الناس إن شاء الله على علمك وكُتُبك ونبتّها في الأمصار ، ونعهد إليهم أن لا يُخالفوها ولا يقضوا بسواها .

فقلتُ له : أصلح الله الأمير ، إنّ أهل العراق لا يرضون علمنا ولا يرون في عملهم رأيناً .

فقال أبو جعفر : يُحملون عليه ونضرب عليه هاماتهم بالسيف ونقطع طي ظهورهم بالسيّاط ، فتعجّل بذلك وضعها فسيأتيك محمد المهدي ابني العام القابل إن شاء الله إلى المدينة ليسمعها منك ، فيجدك وقد فرغت من ذلك إن شاء الله .

(1) يقصد ابن عمّه جعفر بن سليمان بن العباس واليه على المدينة .

قال مالك : فبينما نحن قعود إذ طلع بُني له صغير من قبةٍ بظهر القبة التي كنّا فيها ، فلما نظر إلى الصبي فزع ثم تفهقر فلم يتقدّم ، فقال له أبو جعفر : تقدّم يا حبيبي إنّما هو أبو عبدالله فقيه أهل الحجاز ، ثم التفت إلى فقال : يا أبا عبدالله أتدري لم فزع الصبي ولم يتقدّم ؟ فقلت : لا ! فقال : والله استنكر قرب مجلسك مني إذ لم ير به أحداً غيرك قطّ ، فلذلك تفهقر .

قال مالك : ثم أمر لي بألف دينار عيناً ذهباً ، وكسوة عظيمة ، وأمر لابني بألف دينار ، ثم استأذنته فأذن لي ، فقمْتُ فودّعني ودعالي ، ثم مشيتُ مُنطلقاً ، فلحقني الخصي بالكسوة فوضعها على منكبي وكذلك يفعلون بمن كسوه وإن عَظُم قدره ، فيخرج بالكسوة على الناس فيحملها ثم يُسلمها إلى غلامه .

فلما وضع الخصي الكسوة على منكبي انحنيتُ عنها بمنكبي كراهة احتمالها ، وتبرّأ من ذلك .

فناداه أبو جعفر : بلغها رَحَلَ أبي عبدالله . . . إنتهى⁽¹⁾ .

(1) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة الجزء الثاني ص 150 .

تعليق لا بد منه لفائدة البحث والتحقيق

يُلاحظُ المتتبع لهذه المقابلة الودّية التي جمعت بين الإمام مالك والخليفة الجائر أبي جعفر المنصور، ومن خلال المحاورة التي دارت بينهما نستنتجُ الأمور التالية :

*** أولاً:** نلاحظ بأن الخليفة العباسي عزلَ واليه على المدينة وهوابن عمّه وأقرب الناس إليه، وأهانته أشدّ الإهانة بعد عزله، ثم يعتذر للإمام مالك عمّا صدر عنه ويُقسّم بالله أنّه لم يكن بأمره ولا بعلمه ولم يرضه عندما بلغه .

كلّ ذلك يدلّ على الوفاق التام الذي كان بين الرجلين، والمكانة التي كان يحظى بها الإمام مالك عند أبي جعفر المنصور، إلى درجة أنّه يستقبله على انفراد بلباس داخلي، ويجلسه مجلساً لم يجلس فيه أحدٌ قطّ حتّى أنّ ابن الخليفة فزع وتقهقر عندما رأى ركبتَي مالك لاصقة بركبتَي أبيه .

*** ثانياً:** نستفيد من قول المنصور لمالك : لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنتَ بين أظهرهم، وإنّك أمان لهم من عذاب الله وإنّ الله دفع بكّ عنهم وقعة عظيمة، بأنّ أهل الحرمين أرادوا الثورة على الخليفة وحكمه الظالم فهذّأهم الإمام مالك وأخمد ثورتهم ببعض الفتاوى كالقول بوجوب الطاعة لله ورسوله وأولي الأمر (وهو الحاكم) وبذلك استكان الناس

وهذا ما فلم يُقاتلهم الخليفة، ودفع الله بتلك الفتوى مجزرة الخليفة⁽¹⁾.
ولذلك قال المنصور لمالك: إنّ أهل الحرمين أسرع الناس إلى الفتن
وأضعفهم عنها قاتلهم الله أتى يؤفكون.

* ثالثاً: إنّ الخليفة كان يرشح مالكا ليكون هو العالم المنظور إليه في كلّ الأقطار
الإسلامية، ثم يفرض مذهبه على الناس ويحملهم على أتباعه بوسائل
الترهيب والترغيب.

فمن وسائل الترغيب قوله: ونعهد إلى أهل الأمصار أن لا يُخالفوها ولا
يقضوا بسواها، وأن يوفدوا إليه وفودهم ويرسلوا إليه رسلهم في أيام حجّهم.
ومن وسائل الترهيب قوله: أما أهل العراق فيُحملون عليه ونضرب عليه
هاماتهم بالسيف ونقطع طي ظهورهم بالسّياط.

ونفهم من هذه الفقرة ماذا كان يُلاقيه الشيعة المساكين من حكام الجور من
اضطهاد وقتل لحملهم على ترك الأئمة من أهل البيت وأتباع مالك وأمثاله.

* رابعاً: نلاحظ بأن الإمام مالكا وجعفر المنصور كانا يحملان نفس العقائد
ونفس المفاضلة بخصوص الصحابة والخلفاء الذين استولوا على
الخلافة بالقوة والقهر.

قال مالك في ذلك: ثم فاتحني في العلم والفقّه فوجدته أعلم الناس، ثم
فاتحني فيمن مضى من السلف والعلماء فوجدته أعلم الناس بالناس.

ولا شك بأنّ أبا جعفر المنصور بادل الإمام مالكا نفس الشعور وأطراه بنفس
الإطراء، إذ قال له مرّة في لقاء قبل هذا: وأيم الله ما أجدُّ بعد أمير المؤمنين أعلم
منك ولا أفقه⁽²⁾ ويقصد بأمير المؤمنين (نفسه، طبعاً).

(1) ولا تناقض بين فتواه بفساد بيعة الإكراه وفتواه بوجوب طاعة السلطان وقد رواوا في ذلك
أحاديث كثيرة أذكر منها على سبيل المثال: «من خرج على طاعة السلطان فإت على ذلك
مات ميتة جاهلية» وكقولهم: «عليك بالسمع والطاعة ولو أخذ الأمير مالك وضرب ظهرك».

(2) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج 2، ص 142.

ومما سبق نفهم بأن الإمام مالكا كان من النواصب، إذ أنه لم يكن يعترف بخلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أبداً وقد أثبتنا في ما تقدم بأنهم أنكروا على أحمد بن حنبل الذي رتب الخلافة بعلي وأوجب له ما يجب للخلفاء قبله، وغني عن البيان بأن مالكا هلك قبل مولد ابن حنبل بكثير.

أضف إلى ذلك أن مالكا اعتمد في نقل الحديث على عبدالله بن عمر الناصبي الذي كان يحدث بأنهم لا يعدلون في زمن النبي بأبي بكر أحداً ثم عمر، ثم عثمان، ثم الناس بعد ذلك سواسية.

وعبدالله بن عمر هو أشهر رجال مالك وأغلب أحاديث الموطأ تعود إليه وكذلك فقه مالك.

* خامساً: نلاحظ بأن السياسة التي قامت على الظلم والجور تريد أن تقترب إلى الناس بما يرضيهم من الفتاوى التي ألفوها ولا تكلفهم الالتزام بالنصوص القرآنية أو النبوية.

فقد جاء في كلام المنصور لمالك قوله: ضغ هذا العلم ودون منه كُتباً وتجنّب شدائد عبدالله بن عمر ورخص ابن عباس وشواذ ابن مسعود، واقصد إلى أواسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة لنحمل الناس على علمك وكُتبتك.

ومن هذا يتبين لنا بوضوح بأن مذهب «أهل السنة والجماعة» هو خليط من شدائد ابن عمر ورخص ابن عباس وشواذ ابن مسعود وما استحسنته مالك من أواسط الأمور التي كان عليها الأئمة والمقصود بهم «أبو بكر وعمر وعثمان» وما اجتمع عليه الصحابة الذين رضي عنهم الخليفة أبو جعفر المنصور.

وليس فيه شيء من سنة النبي (ص) التي تُروى عن الأئمة الطاهرين من عترته، والذين عاصر المنصور ومالك البعض منهم، وعمل الخليفة على عزهم وخنق أنفاسهم.

* سادساً: يلاحظ أن أول كتاب كُتب في تدوين السنة من أحاديث الصحابة والتابعين هو كتاب الموطأ للإمام مالك. وكان بطلب من السلطة

على لسان الخليفة نفسه لكي يحمل الناس عليه قهراً بضرب
السيف إن لزم ذلك كما صرح المنصور.

فلا بد أن تكون تلك الأحاديث من وضع الأمويين والعباسيين والتي تخدم
مصالحهم وتُقوي نفوذهم وسلطانهم، وتبعد الناس عن حقائق الإسلام التي
صدع بها نبي الرحمة (ص).

* سابعاً: نلاحظ بأن الإمام مالكا ما كان يخشى إلا من أهل العراق لأنهم كانوا
شيعة لعلي بن أبي طالب، وقد تشبّعوا بعلمه وفقهه وانقطعوا في
تقليدهم للأئمة الطاهرين من ولده فلم يُقيموا وزناً لمالك ولا لأمثاله
لعلمهم بأن هؤلاء نواصب يتزلفون للحكام ويبيعون دينهم بالدرهم
والدينار.

ولذلك قال مالك للخليفة: أصلح الله الأمير إن أهل العراق لا يرضون
علمنا، ولا يرون في عملهم رأينا.

فيجيبه المنصور بكل غطرسة: يحملون عليه ونضرب عليه هاماتهم
بالسيف، ونقطع طي ظهورهم بالسياط.

وبهذا نفهم كيف انتشرت المذاهب التي ابتدعتها السلطات الحاكمة وسمتها
بمذاهب «أهل السنة والجماعة».

والأمر العجيب في كل ذلك أنك ترى أبا حنيفة يخالف مالكا، ومالكا
يخالفه، والاثني يخالفان الشافعي والحنبلي، وهذان يختلفان ويخالفان الاثني،
وليس هناك مسألة فيها اتفاق الأربعة إلا نادراً، ومع ذلك فكلهم «أهل سنة
وجماعة». أي جماعة هذه؟ مالكية، أم حنفية، أم شافعية، أم حنبلية؟؟ فلا
هذا ولا ذاك، وإنما هي جماعة معاوية بن أبي سفيان وهم الذين وافقوه على لعن
علي بن أبي طالب وجعلوها سنة متبعة ثمانين عاماً.

ولماذا يُسمح بالخلاف وتعدّد الآراء والفتيا في المسألة الواحدة ويُصبح
خلافهم رحمة مادام مقصوداً على المذاهب الأربعة، فإذا خالفهم مجتهد آخر
كفروه وأخرجوه عن الإسلام؟

ولماذا لا يَحْمَلُ خلاف الشيعة لهم كالحلاف فيما بينهم لو كانوا مُنصفين وعاقلين؟

ولكنّ ذنب الشيعة لا يغتفر لأنهم لا يقدّمون على علي أمير المؤمنين أحداً من الصحابة، وهذا هو جوهر الخلاف الذي لا يتحمّله «أهل السنّة والجماعة» الذين اتّفقوا على شيء واحد ألا وهو إقصاء علي عن الخلافة وطمس فضله وحقائقه .

*ثامناً: نلاحظ بأنّ الحكّام الذين استولوا على أموال المسلمين بالقهر والقوّة، نراهم يوزّعون هذه الأموال بسخاء على علماء السوء والمتزلفين إليهم لاستمالتهم وشراء ضمائرهم ودينهم بدنياهم .

قال مالك : ثمّ أمر لي بألف دينار عيناً ذهباً وكسوة عظيمة وأمر لابني بألف دينار.

فهذا ما اعترف به مالك على نفسه وقد يكون ما لم يحدث به أكثر من ذلك بكثير، لأنّ مالكا كان يشعر بالخرج من العطايا الظاهرة فكان لا يحبّ أن يراها الناس ، نفهم ذلك من قوله :

فلما وضع الخصيّ الكسوة على منكبي انحنيتُ عنها كراهة احتماها وتبرؤاً من ذلك .

ولمّا عرف المنصور منه ذلك أمر الخصيّ أن يبلغها رجل أبي عبدالله مالك حتّى لا يعرف الناس عنه ذلك .

إختبار الحاكم العباسي لعلماء عصره

كان الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور من الذّهاء الكبار وقد عرف كيف يستولي على عقول النّاس ويشتري ضمائرهم ، وقد عمل على بسط نفوذه وتوسيع دائرة ملكه بوسائل التّربّيع والتّرهيب .

كما عرفنا مكره ودهاءه من خلال تعامله مع مالك بعدما ضربه إلى المدينة ، ممّا يدلّنا على الصّلة الوثيقة التي تربطه بالإمام مالك قبل تلك الواقعة بزمن طويل .

فقد كان للمالك لقاء مع المنصور قبل هذا اللّقاء الذي ذكرناه بخمسة عشر عاماً وذلك إبان استيلاء المنصور على الخلافة⁽¹⁾ . وقال المنصور للمالك فيما قال :

« يا أبا عبدالله إنّي رأيتُ رؤيا ! » فقال مالك : يوفّق الله أمير المؤمنين إلى الصواب من الرّأي ويُلهمه الرّشاد من القول ، فما رأى أمير المؤمنين ؟

فقال أبو جعفر: رأيتُ أنّي أُجلسك في هذا البيت ، فتكون من عمار بيت الله الحرام ، وأحمل النّاس على علمك ، وأعهد إلى أهل الأمصار يوفدون إليك وفودهم ، ويرسلون إليك رُسُلهم في أيّام حجّهم لتحملهم من أمر دينهم على

(1) يذكر ابن قتيبة في تاريخ الخلفاء ج2 ، ص 150 بأنّ اللّقاء الأوّل كان في سنة 148 للهجرة أمّا اللّقاء الثّاني الذي كان في موسم الحجّ فهو في سنة 163 للهجرة .

ونحن نقول بأنّ مالكاً كان دائم اللّقاء بالخليفة وإنّما ذكر ابن قتيبة هذين اللّقاءين لأنّ مالكاً رواهما بنفسه ولأنّ فيهما أموراً مهمّة ، فليس من المعقول أن يجتمع الخليفة مع مفتي الدّولة مرّة كلّ خمسة عشر عاماً !

الصَّواب والحق إن شاء الله ، وإِنَّمَا العلم علم أهل المدينة ، وأنت أعلمهم . . . (1).

يقول ابن قتيبة لما ولي أبو جعفر المنصور الخلافة جمع مالك بن أنس وابن أبي ذؤيب وابن سمعان في مجلس واحد وسألهم : أيُّ الرجال أنا عندكم ؟ أمن أئمة العدل أم من أئمة الجور ؟

قال مالك ، فقلت : يا أمير المؤمنين أنا متوسِّل إليك بالله تعالى وأتشقَّ إليك بمحمد (ص) وقربتك منه ، إلَّا ما أعفيتني من الكلام في هذا . قال : قد أعفاك أمير المؤمنين .

أما ابن سمعان فقال له : أنت والله خير الرجال يا أمير المؤمنين ، تحج بيت الله الحرام ، وتجاهد العدو ، وتؤمن السبيل ، ويأمن الضعيف بك أن يأكله القويُّ ، وبك قوام الدين ، فأنت خير الرجال وأعدل الأئمة .

أما ابن أبي ذؤيب فقال له : أنت والله عندي شر الرجال استأثرت بهال الله ورسوله ، وسهم ذوي القُربى واليتامى والمساكين ، وأهلكت الضعيف ، وأتعبت القوي ، وأمسكت أموالهم ، فما حُجَّتكَ غداً بين يدي الله ؟

فقال له أبو جعفر : ويحك ما تقول ؟ أتعقل ؟ أنظر ما أمامك ؟

قال : نعم قد رأيت أسيفاً ، وإِنَّمَا هو الموتُ ، ولا بدَّ منه عاجله خير من آجله .

وبعد هذه المحاورة طرد المنصور ابن أبي ذؤيب وابن سمعان ، واختل بمالك وحده وأمنه وقال له :

يا أبا عبدالله انصرف إلى مصر كراشداً مهدياً ، وإن أحببت ما عندنا ، فنحن لا نُؤثر عليك أحداً ولا نعدُّ بك مخلوقاً . . .

قال : ثم بعث أبو جعفر المنصور من الغد لكل واحدٍ منهم صرة فيها خمسة آلاف دينار مع أحد شرطته وقال له :

(1) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج 2 ، ص 142 .

تدفع لكل رجل منهم صُرة، أما مالك بن أنس إن أخذها فبسييله، وإن ردها فلا جناح عليه فيما فعل.

وأما ابن أبي ذؤيب فائتني برأسه إن أخذها، وإن ردها عليك، فبسييله لا جناح عليه.

وإن يكن ابن سمعان ردها فائت برأسه، وإن أخذها فهي عافيته.

قال مالك: فنهض بها إلى القوم، فأما ابن سمعان فأخذها فسلم، وأما ابن أبي ذؤيب فردّها فسلم، وأما أنا فكنْتُ والله محتاجاً إليها فأخذتها⁽¹⁾.

ونلاحظ من هذه القصة بأنّ مالكا يعرف جور الخليفة وظلمه، ولكنه وللعلاقة الودية التي كانت بينه وبين المنصور فقد ناشده بمحمد وقرابته منه.

وهذا ما كان يُعجبُ الحُكّام العباسيين ويهتمهم في ذلك العصر، وهو أن يعظّمهم النَّاس ويمجدونهم بقرابتهم من رسول الله (ص) ولذلك فهم الخليفة قصد مالك فأعجبه ذلك وأعفاه من الكلام.

أما الثاني وهو ابن سمعان فقد أطراه بها ليس فيه مخافة القتل إذ كان السيف واقفاً ينتظر إشارة الخليفة.

أما الثالث وهو ابن أبي ذؤيب فكان شجاعاً، لا يخشى في الله لومة لائم وكان مؤمناً مخلصاً وصادقاً ناصحاً لله ولرسوله ولعامة المسلمين، فجاهبه بحقيقة أمره وكشف عن زيفه ومغالطته، وعندما هدّده بالقتل رحّب به ولم يخفّ منه.

ولذلك نرى أنّ الخليفة امتحنَ الرّجلين بالأموال الطائلة، وأعفى الإمام مالكا من ذلك الامتحان، فهو سالم في الحالتين إن أخذها أو ردها.

أما ابن أبي ذؤيب فيقطع رأسه إن أخذها وكذلك ابن سمعان يقطع رأسه إن ردها.

ولما كان أبو جعفر المنصور داهيةً عظّمي تراه عمل على رفع مكانة مالك

(1) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج 2، ص 144.

وفرض مذهبه ، وقضى على مذهب ابن أبي ذؤيب بالرغم من أن ابن أبي ذؤيب كان أعلم من مالك وأفضل منه كما اعترف بذلك الإمام أحمد بن حنبل (1).

كما أن ليث بن سعد كان أفقه من مالك ، كما اعترف بذلك الإمام الشافعي (2).

والحقيقة في ذلك العصر أن الإمام جعفر الصادق كان أفضل وأعلم وأفقه منهم جميعاً وقد اعترفوا كلهم بذلك (3) ، وهل يتجرأ أحدٌ من الأمة أن يُباريه في علم أو في عمل ، في فضل أو في شرف ، وجدّه علي بن أبي طالب هو أفضل وأعلم وأفقه من الخلق كلهم بعد رسول الله (ص)؟

ولكن السياسة هي التي ترفعُ قوماً وتضعُ آخرين والمال هو الذي يقدمُ قوماً ويُؤخرُ آخرين .

والذي يهتمنا في هذا البحث هو أن نُبين بالأدلة الواضحة والحجج الدامغة بأن المذاهب الأربعة لـ «أهل السنة والجماعة» هي مذاهب ابتدعتها السياسة وفرضتها على الناس بوسائل الترهيب والترغيب والدعاية ، فالتأس على دين ملوكهم .

ومن أراد مزيداً من البيان والتحقيق فعليه بقراءة كتاب «الإمام الصادق والمذاهب الأربعة» للشيخ أسد حيدر (رحمه الله) وهناك سيعرف ما حضي به الإمام مالك من الجاه والسلطان حتى أن الإمام الشافعي كان يتوسل بوالي المدينة كي يدخل على مالك فيقول له الوالي : «أفضل المشي راجلاً من المدينة إلى مكة أهون عليّ من الوقوف على باب مالك ، لأنني لا أشعر بالذلة إلا عند الوقوف على بابه» .

(1) تذكرة الحفاظ ج 1 ، ص 176 .

(2) مناقب الشافعي ص 524 .

(3) قد مرّ عليك قول مالك : ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفقه من جعفر بن محمد الصادق .

وهذا أحمد أمين المصري يقول في كتابه ظهر الإسلام: «كان للحكومات دخلٌ كبير في نصره مذهب أهل السنة، والحكومات عادة إذا كانت قوية وأيدت مذهباً من المذاهب تبعه الناس بالتقليد، وظلّ سنداً إلى أن تدول الدولة»⁽¹⁾.

ونحن نقول بأنّ مذهب الإمام جعفر الصادق وهو مذهب أهل البيت إذا جاز لنا تسميته بالمذهب جرياً على عادة المسلمين وإلاّ فإنّه الإسلام الصحيح الذي جاء به رسول الله (ص)، لم يؤيده أي حاكم ولم تعترف به أية سلطة، بل عمل كلّ الحكّام على إسقاطه والقضاء عليه وتغيير الناس منه بشتى الوسائل.

فإذا شقّ تلك الظلمات الحالكة وكان له أتباع وأنصارٌ عبر القرون الظّامة فذلك من فضل الله تعالى على المسلمين، لأنّ نور الله لا تُطفئهُ الأفواه، ولا تقضي عليه السيوف ولا تُبطله الدعايات الكاذبة والإشاعات المغرضة لئلاّ يكون للناس على الله حجة أو يقولوا إنّنا كنّا عن هذا غافلين.

والذين اقتدوا بأئمة الهدى من العترة الطاهرة، كانوا ثلّة قليلة يُعدّون على الأصابع بعد وفاة النّبي (ص)، وتكاثروا على مرّ التاريخ والعصور لأنّ الشجرة الطّيبة أصلها ثابتٌ وفرعها في السّماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها، وما كان لله دامن واتّصل.

وقد حاولت قريش القضاء على محمّد في بداية الدّعوة، ولما عجزت عن ذلك بفضل الله وبفضل أبي طالب وعليّ اللذين كانا يفديانه بنفسيهما سلّت قريش نفسها بأنّ محمداً أبتر ليس له عقب إذا مات انقطع نسله وانتهى أمره، فصبروا على مضض.

ولكنّ ربّ العالمين أعطاه الكوثر وأصبح محمّد جدّ الحسين وبشر المؤمنين بأنّها إمامان إن قاما وإن قعدا، وبأنّ الأئمة كلّهم من ذرية الحسين، وهذا كله يهدّد مصالح قريش ومستقبلها.

وهذا لم يُعجب قريش فنارت نائرتها بعد وفاة محمّد (ص) وحاولت القضاء

(1) كتاب ظهر الإسلام ج 4، ص 96.

على عترته كلها فأحاطوا بيت فاطمة بالحطب ولولا استسلام علي وتضحيته بحقه في الخلافة ومسالته لهم ، لُقضي عليهم ، وانتهى أمر الإسلام من ذلك اليوم .

وسكنت قريش وهذا روعها مادامت هي الحاكمة وليس في نسل محمد من يهدّد مصالحها ، وبمجرد ما رجعت الخلافة لعلي أشعلت قريش ضدّه الحروب الطّاحنة ولم تهدأ حتّى قضت عليه وأرجعت الخلافة إلى أخبث بطن من بطونها فأصبحت ملكية قصيرة يعهد بها الآباء إلى أبنائهم ، وعندما رفض الحسين مبايعة يزيد قريش هبت قريش عند ذلك وثارَت ثورتها العارمة للقضاء نهائياً على العترة النبوية وكلّ شيء اسمه نسلُ محمد بن عبد الله .

فكانت مذبحه كربلاء والتي قتلوا فيها ذرية النبي (ص) بما في ذلك الصبيان والرضع وأرادوا اجتثاث شجرة النبوة بكل فروعها ، ولكنّ الله سبحانه وتعالى أنجز وعده لمحمد فأنقذ علي بن الحسين وأخرج من صلبه بقية الأئمة ومثلت الأرض بنسله شرقاً ومغرباً ، وكان الكوثر .

فما من بلد ولا قرية ولا بقعة من الأرض إلّا لنسل رسول الله (ص) فيها وجود وأثر وعند الناس لهم فيها احترام ومودة .

وها نحن اليوم وبعد كلّ المحاولات التي باءت بالفشل ، أصبح عدد نفوس الشيعة الجعفرية وحدهم يبلغ 250 مليون مسلم في العالم كلّهم يقلّدون الأئمة الاثني عشر من عترة النبي ويتقربون إلى الله بمودتهم وموالاتهم ويرجون شفاعته جدّهم .

ولن تجد مثل هذا العدد في أي مذهب من المذاهب الأخرى إذا أخذنا كلّ مذهب على انفراد رغم تأييد الحكّام وقرضهم .

﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (الانفال : 30) .

ألم يأمر فرعون بذبح كلّ مولود من الذكور في بني إسرائيل عندما أخبره المنجمون بأنّ مولوداً في الإسرائيليين يهدّد بزوال ملكه؟ ولكنّ خير الماكرين أنقذ

موسى من مكر فرعون وأوصله حتى تربى في حجر فرعون نفسه وقوّض ملكه وأهلك حزبه وكان أمرُ الله مفعولاً.

ألم يعمل معاوية (فرعون زمانه) على لعن علي وقتله وقتل أولاده وشيعته؟ ألم يحرم أن يذكره ذاكر بفضيلة؟ ألم يحاول بكلّ مكره على إطفاء نور الله وإرجاع الأمر إلى الجاهلية؟ ولكنّ خير الماكرين رفع ذكر علي رغم أنف معاوية وحزبه وأصبح ذكر علي يلهجّ به المسلمون سنّة وشيعة بل حتى النصارى واليهود، وأصبح قبر علي مزاراً بعد قبر الرسول (ص) يطوف حول ضريحه ملايين المسلمين يذرفون الدموع ويتقربون إلى الله به وتعلو مقامه قبةً وماذن ذهبية شاحخة في السماء تأخذ بالأبصار.

بينما خمد ذكر معاوية الأمبراطور الذي ملك الأرض وعاث فيها فساداً فهل تجد له ركزاً؟ أم تجد له مزاراً يُذكر غير مقبرة مظلمة ومهملة؟ فإن للباطل جولة وللحق دولة فاعتبروا يا أولي الأبواب .

والحمد لله على هدايته ، الحمد لله الذي عرفنا بأن الشيعة هم على سنّة الرسول فهم أهل السنّة النبوية لأنهم اقتدوا بأهل البيت ، وأهل البيت أدرى بما فيه ، وهم الذين اصطفاهم الله وأورثهم علم الكتاب .

كما عرفنا بأن «أهل السنّة والجماعة» قد اتبعوا بدع الحكّام من السلف والخلف كما أنّهم لا حجة لهم فيما يدّعون .

حديث الثقلين عند الشيعة

ومما يدلّ على أنّ الشيعة هم أتباع السنّة النبوية الصحيحة هو ما يروى عن رسول الله (ص) من حديث الثقلين وقوله : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، فلا تتقدموهم فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم⁽¹⁾ وفي بعض الروايات : وإن اللطيف الخبير أنبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض .

وحديث الثقلين هذا أخرجه «أهل السنّة والجماعة» في أكثر من عشرين مصدراً من صحاحهم ومسانيدهم ، كما أخرجه الشيعة في كل كتب الحديث . وهو كما ترى صريح صراحة لا مزيد عليها بأن «أهل السنّة والجماعة» ضلّوا لأنهم لم يتمسكوا بهما معاً وهلكوا لأنهم تقدموا على أهل البيت وظنوا بأن أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وابن حنبل أعلم من العترة الطاهرة فقلدوهم وتركوا العترة الطاهرة .

على أنّ قول بعضهم بأنهم تمسكوا بالقرآن لا دليل عليه لأنّ القرآن كلّه عمومات وليس فيه تفاصيل الأحكام ، وهو حمّال أوجه ولا بدّ له من مبيّن ومفسّر كما هو الحال بالنسبة للسنّة النبوية التي تتطلب رواة ثقات ومفسرين عالمين .

(1) صحيح الترمذي وصحيح مسلم ومستدرك الحاكم ومسنّد أحمد بن حنبل وكنز العمال وخصائص النسائي وطبقات ابن سعد والطبراني والسيوطي وابن حجر وابن الأثير . ولمعرفة عدد الأجزاء والصفحات يراجع كتاب المراجعات ص 82 وما بعدها .

وليس هناك حلّ لهذا المشكل إلا بالرجوع لأهل البيت أعني الأئمة من العترة الطاهرة الذين أوصى بهم رسول الله (ص).

وإذا أضفنا إلى حديث الثقلين المتقدم أحاديث أخرى لها نفس المعنى وترمي إلى نفس الهدف كقوله (ص): «علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»⁽¹⁾ وقوله أيضاً:

«علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة»⁽²⁾ تأكّد لدينا ولدى كلّ باحث بأن من ترك علياً فقد ترك التفسير الحقيقي لكتاب الله تعالى، ومن ترك علياً فقد نبذ الحق وراء ظهره واتبع الباطل فليس بعد الحق إلا الضلال.

وتأكّد لدينا أيضاً بأن «أهل السنة والجماعة» تركوا القرآن والسنة النبوية بتركهم الحق وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام)، كما تأكّدت نبوة محمد (ص) بقوله بأن أمته ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في الضلالة إلا فرقة واحدة.

وهذه الفرقة الناجية هي التي اتبعت الحق والهدى باتباعها للإمام علي (عليه السلام)، فحاربوا حربه وسالموا سلمه واقتدوا به في علمه وتمسكوا بالأئمة الميامين من ولده.

﴿أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك لمن خشي ربه﴾
(البينة: 7-8).

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک ج 3، ص 124 والذهبي في تلخيصه.
(2) منتخب كنز العمال ج 5، ص 30. تاريخ ابن عساکر ج 3، ص 119.
تاريخ بغداد ج 14، ص 321. تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج 1، ص 73.

حديث الثقلين عند «أهل السنة»

كما قدّمنا فإن نفس الحديث الذي ذكرناه في الفصل السابق ، هو الذي أخرجه علماء «أهل السنّة والجماعة» واعترفوا بصحته في أكثر من عشرين مصدراً من مصادرهم المشهورة .

وإذا اعترفوا بصحة الحديث فقد شهدوا على أنفسهم بالضلالة ضمناً ، لأنهم لم يتمسكوا بالعترة الطاهرة واعتنقوا مذاهب واهية ما أنزل الله بها من سلطان ولا وجود لها في السنة النبوية .

والعجيب من علماء «أهل السنّة» اليوم وبعد انقراض بني أميّة وهلاكهم ، وفي عصر كثر فيه الاتصال المباشر وتوفرت فيه وسائل البحوث العلمية ، فكيف لا يتوبون ويرجعون إلى الله من قريب كي يشملهم قوله سبحانه وتعالى : ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ (طه : 82) .

وإذا كان الناس في القرون الخالية زمن الخلافة مُكرهين على اتباع السلطان بالقهر والقوة ، فما هو عذرهم اليوم ، والسلطان في كلّ البلاد لا يهمه من أمر الدين شيئاً مادام عرشه مضموناً وهو يتبجح بالديمقراطية وبحقوق الإنسان التي من ضمنها حرية الفكر والعقيدة؟

بقي هناك من علماء «أهل السنة» المعترضون على حديث الثقلين المذكور،

بحديث «تركتم فيكم كتاب الله وسنتي»⁽¹⁾.

وأقلّ ما يُقال في هؤلاء : إنهم بعيدون عن مقاييس العلم وأصول البحث والمعرفة ، وإثبات الحجّة والدليل .

(1) قلنا في ما سبق من الأبحاث بأنّ حديث «كتاب الله وسنتي» هو حديث مرسل غير مسند ولم يخرجهُ الصّحاح ، بينما حديث «كتاب الله وعترتي» هو حديث صحيح ومتواتر أخرجه كل الصّحاح عند السّنة والشيعة .

كتاب الله وعترتي، أو كتاب الله وسنتي؟

قد وافينا البحث في هذا الموضوع في كتاب «مع الصادقين» وقلنا باختصار بأنّ الحديثين لا يتناقضان لأنّ السنة النبوية الصحيحة محفوظة عند العترة الطاهرة من أهل البيت (عليهم السلام)، وأهل البيت أدري بما فيه وعليّ بن أبي طالب هو باب السنة النبوية وهو أولى أن يكون راوية الإسلام من أبي هريرة ومن كعب الأحبار ووهب بن منبه.

ومع ذلك لا بد من مزيد البيان والتوضيح، ولو أدى ذلك إلى التكرار فإن في الإعادة إفادة، ولعل بعضهم لم يقرأوه هناك فإنهم سيطلعون عليه هنا بمزيد من التفصيل والإيضاح.

ولعلّ القراء الكرام يجدون في هذا البحث ما يقنعهم بأنّ حديث «كتاب الله وعترتي» هو الأصل، وإنها عمد الخلفاء على إبداله بحديث «كتاب الله وسنتي» ليبعدوا بذلك أهل البيت عن مسرح الحياة.

ولا بدّ من الملاحظة بأنّ حديث «كتاب الله وسنتي» لا يصحّ حتى عند «أهل السنّة والجماعة» لأنهم رَوَوْا في صحاحهم بأنّ النبي (ص) نهاهم عن كتابتها، فإذا كان حديث النهي صحيحاً، فكيف يجوز للنبي (ص) أن يقول: تركت فيكم سنتي وهي غير مكتوبة ولا معلومة؟؟؟!

ثم لو كان حديث «كتاب الله وسنتي» صحيحاً، فكيف جاز لعمر بن الخطاب أن يرد على رسول الله (ص) ويقول: حسبنا كتاب الله؟؟!

وإذا كان الرسول (ص) ترك سنة مكتوبة ، فكيف جاز لأبي بكر وعمر حرقها ومنعها من الناس؟!

وإذا كان حديث «كتاب الله وسنتي» صحيحاً ، فلماذا يخطبُ أبو بكر بعد وفاة النبي (ص) ويقول : لا تحدثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه⁽¹⁾؟!

وإذا كان حديث «كتاب الله وسنتي» صحيحاً ، فلماذا خالفها أبو بكر في قتال مانعي الزكاة وقد قال رسول الله (ص) : من قال لا إله إلا الله عصم مني دمه وماله وحسابه على الله؟!

وإذا كان حديث «كتاب الله وسنتي» صحيحاً ، فكيف جاز لأبي بكر وعمر ومن وافقهما من الصحابة أن يستبيحوا حرمة الزهراء ويهجموا على بيتها مهتدين بحرقها بمن فيها ، ألم يسمعو قول النبي فيها : «فاطمة بضعة مني من أغضبها فقد أغضبني ومن أذاها فقد أذاني؟» بلى والله لقد سمعوها ووعوها ، ألم يسمعو قول الله تعالى : ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ (الشورى : 23) التي نزلت فيها وفي بعلمها وولديها؟ فهل كانت مودة أهل البيت هي ترويعهم وتهديدهم بالحرق ، وضغط الباب على بطن فاطمة حتى أسقطت جنيها بأبي هي وأمي؟؟!

وإذا كان حديث «كتاب الله وسنتي» صحيحاً ، فكيف استحل معاوية والصحابة الذين بايعوه وساروا في ركابه أن يلعنوا علياً ويسبوه على المنابر طيلة حكم بني أمية ، ألم يسمعو أمر الله لهم بأن يصلوا عليه كما يصلون على النبي؟ ألم يسمعو قول النبي (ص) : «من سب علياً فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله»⁽²⁾؟!

وإذا كان حديث «كتاب الله وسنتي» صحيحاً ، فلماذا غابت هذه السنة على

(1) تذكرة الحفاظ للذهبي ج 1 ، ص 3 .

(2) مستدرک الحاكم ج 3 ، ص 121 قال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .
- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 73 خصائص النسائي ص 24 . المناقب للخوارزمي ص 82 .

أكثر الصحابة فجهلوا وأفتوا في الأحكام بآرائهم، وكذلك فعل أئمة المذاهب الأربعة الذين التجأوا للقياس والاجتهاد، والإجماع وسدّ باب الذرائع، والمصالح المرسلة والاستصحاب وصوفاي الأمراء وأخفّ الضررين وغير ذلك⁽¹⁾!

فإذا كان الرسول (ص) قد ترك «كتاب الله وسنة نبيه» ليعصيان الناس من الضلالة، فلا داعي لكلّ هذه الأمور التي ابتدعتها «أهل السنة والجماعة» فكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار كما جاء في الحديث الشريف . . !

ثم إن العقلاء وأهل المعرفة، يلقون باللوم على النبي (ص) الذي أهمل سنته ولم يعتن بها ولم يأمر بتدوينها وحفظها ومن ثم صيانتها من التحريف والاختلاف والوضع والاختلاق، ثم يقول للناس: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، كتاب الله وسنتي»!

أما إذا قيل لهؤلاء العقلاء بأنه نهاهم عن كتابتها فيكون عند ذلك هزواً، لأن ذلك ليس من أفعال الحكماء، إذ كيف ينهى المسلمين عن كتابة سنته، ثم يقول لهم: تركت فيكم سنتي؟؟!

أضف إلى كل ما تقدم بأن كتاب الله المجيد، إذا أضفنا إليه السنة النبوية التي كتبها المسلمون عبر القرون، فإنّ فيها التأسخُ والمنسوخ وفيها الخاص والعام وفيها المحكم والمتشابه، فهي شقيقة القرآن، غير أن القرآن كله صحيح لأن الله سبحانه تكفل بحفظه ولأنه مكتوب، أما السنة ففيها المكذوب أكثر من الصحيح، فالسنة النبوية هي قبل كلّ شيء محتاجة إلى المعصوم الذي يدلّ على صحيحها وي طرح كل ما وضع فيها، وغير المعصوم لا يقدر على شيء من ذلك ولو كان عالماً علامة.

كما أن «القرآن والسنة» معاً يفتقران إلى عالم متبحر عارف بكلّ أحكامهما مطلع على أسرارهما، لكي يبين للناس من بعد النبي ما اختلفوا فيه وما جهلوه.

(1) جامع بيان العلم ج2، ص 174.

ألم تر أن الله سبحانه أشار إلى أن القرآن الكريم يفتقر إلى مبين، فقال جلّ وعلا: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ (النحل: 44)؟ فلو لم يكن النبي يبين للناس ما نزل إليهم، لم يكونوا ليعرفوا أحكام الله ولو نزل القرآن بلغتهم!

وهذا أمر بديهي يعرفه كل الناس، ورغم نزول القرآن بفرائض الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، فالمسلمون في حاجة لبيان النبي (ص) فهو الذي أوضح كيفية أداء الصلاة، ومقدار نصاب الزكاة، وأحكام الصوم، و مناسك الحج، ولولاه لما عرف الناس من ذلك شيئاً.

وإذا كان القرآن الذي لا اختلاف فيه، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بحاجة إلى مبين، فإن السنة النبوية أحوج من القرآن إلى من يبينها، وذلك لكثرة الاختلاف الذي حصل فيها ولكثرة الدس والكذب الذي طرأ عليها. وإنه من الطبيعي جداً، بل من الضروريات العقلية أن يعتني كل رسول بالرسالة التي بعث بها، فيقيم عليها وصياً وقيماً بوحي من ربه حتى لا تضيع الرسالة بموته، ولأجل ذلك كان لكل نبي وصي.

ولكل ذلك أعد رسول الله (ص) خليفته ووصيه على أمته علي بن أبي طالب ورباه منذ صغره بأخلاق النبوة، وعلمه في كبره علم الأولين والآخرين، وخصّه بأسرار لا يعرفها غيره، ودل الأمة عليه مراراً وأرشدهم إليه تكراراً، فقال لهم: إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي عليكم، وقال: أنا خير الأنبياء وعلي خير الأوصياء وخير من أترك بعدي، وقال: علي مع الحق والحق معه، وعلي مع القرآن والقرآن معه، وقال: أنا قاتلت على تنزيل القرآن وعلي يقاتل على تأويله، وهو الذي يبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي، وقال: لا يؤدي عني إلا علي وهو ولي كل مؤمن بعدي وقال: علي مني بمنزلة هارون من موسى، علي مني وأنا منه وهو باب علمي⁽¹⁾.

(1) كل هذه الأحاديث صحيحة عند «أهل السنة والجماعة» أخرجها علماءهم وصحّحوها وقد ذكرناها في الكتب السابقة ومن أراد المصادر فعليه بكتاب المراجعات بتحقيق حسين الراضي.

وقد ثبت بالدليل العلمي وبالتاريخ وما كتبه أصحاب السير بأن علياً كان المرجع الوحيد لكل الصحابة عالمهم وجاهلهم ، ويكفي أن يعترف «أهل السنة» بأن عبد الله بن عباس والذي لقبوه بحبر الأمة تلميذه وخريجه كما يكفي دليلاً أن كل العلوم التي عرفها المسلمون تنسب إليه (عليه السلام)⁽¹⁾.

وعلى سبيل الافتراض لو تعارض حديث «كتاب الله وسنتي» مع حديث «كتاب الله وعترتي» لوجب تقديم الثاني على الأول أعني تقديم «عترتي» على «سنتي» ، ليتسنى للمسلم العاقل الرجوع إلى أئمة أهل البيت الطاهرين كي يبينوا له مفاهيم القرآن والسنة .

أما لو أخذ بحديث «كتاب الله وسنتي» فسوف يبقى مختاراً في كل من القرآن والسنة ولا يجد المرجع الموثوق الذي يبين له الأحكام التي لم يفهمها ، أو الأحكام التي اختلف فيها العلماء اختلافاً كبيراً وقال فيها أئمة المذاهب أقوالاً متعددة أو متناقضة .

ولا شك بأنه لو أخذ بقول هذا العالم أو ذاك ، أو اتبع رأي هذا المذهب أو ذاك ، فإنما يتبعه ويأخذ منه بدون دليل على صحة هذا وبطلان ذاك ، وإن قبول هذا المذهب ورفض ذاك هو تعصب أعمى وتقليد بدون حجة ، قال الله تعالى في هذا المعنى : ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ (يونس : 36) . وأضرب لذلك مثلاً واحداً حتى يعرف القارئ الكريم صدق الحديث ويتبين له الحق من الباطل .

لو أخذنا القرآن الكريم وقرأنا فيه آية الوضوء وقول الله تعالى : ﴿وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ (المائدة : 6) ، فهمنا منها لأول وهلة مسح الأرجل كمسح الرؤوس ، وإذا نظرنا إلى فعل المسلمين نجدهم مختلفين في ذلك . «فأهل السنة والجماعة» كلهم يغسلون ، والشيعه كلهم يمسحون .

فنصاب عند ذلك بالخير والشك ، أيها الصحيح ؟

(1) راجع في ذلك مقدمة ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه للنهج .

ونرجع إلى العلماء من «أهل السنة والجماعة» ومفسريهم، فنجدهم مختلفين في هذا الحكم على حسب ما يروونه من أن هناك قراءتين «أرجلكم بالنصب» و«أرجلكم بالجر»

ثم يُصححون القراءتين ويقولون: من قرأ بالنصب فقد أوجب الغسل ومن قرأ بالجر فقد أوجب المسح.

ثم يطلع علينا عالم ثالث متبحر في اللغة العربية من علماء السنة⁽¹⁾ فيقول: إن قراءة النصب وقراءة الجر توجبان المسح، لأن الأرجل إما تكون منصوبة على المحل أو تكون مجرورة بالجر، ثم يقول بأن القرآن جاء بالمسح وجاءت السنة بالغسل.

وأنت كما ترى أيها القارئ بأن علماء «أهل السنة والجماعة» لم يزيلوا حيرتنا باضطراب أقوالهم، بل قد ضاعفوا شكنا لقولهم بأن السنة خالفت القرآن، وحاشا للنبي أن يخالف القرآن ويغسل رجله في الوضوء، ولو غسل النبي رجله في الوضوء لما جاز لكبار الصحابة مخالفته وهم من هم في العلم والمعرفة والقرب منه أمثال علي بن أبي طالب وابن عباس والحسن والحسين وحذيفة بن اليمان وأنس بن مالك وكل الصحابة الذين قرأوا بالجر وهم أغلب القراء الذين أوجبوا المسح وكل الشيعة الذين اقتدوا بالأئمة من العترة الطاهرة قالوا بوجوب المسح.

فما هو الحل؟!

ألم تر أيها القارئ العزيز بأن المسلم سيبقى محتاراً في شكه وبدون الرجوع إلى من يعتمد عليه فسوف لا يعرف وجه الصواب ولا يدري ما هو حكم الله الصحيح من المكذوب عليه؟

وقد تعمدت أن أضرب لك هذا المثال من القرآن الكريم أيها القارئ العزيز حتى تعرف مدى الاختلاف والتناقض الذي يتخبط فيه علماء المسلمين من

(1) هو الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ج 11، ص 161.

«أهل السنة والجماعة» في أمر كان يفعله النبي عدة مرات في كل يوم وطيلة ثلاثة وعشرين عاماً.

وكان من المفروض أن يعرفه الخاص والعام من أصحاب النبي (ص) وإذا بالعلماء عند «أهل السنة» يختلفون في القراءات فينصبون، ويجرون ويرتبون على ذلك أحكاماً متضاربة!

وللعلماء في تفسير كتاب الله وترتيب الأحكام على حسب القراءات المتعددة اختلافات كثيرة لا تخفى على الباحثين.

وإذا كان اختلافهم في كتاب الله ظاهراً فهو في السنة النبوية أظهر وأكثر.
فما هو الحل إذن؟

إذا قلت بوجوب الرجوع إلى من يعتمد عليه في شرح وبيان الأحكام الصحيحة من القرآن والسنة، فسوف نطالبك بالشخص العاقل المتكلم، لأن القرآن والسنة لا يعصمان من الضلالة، فهما صامتان لا يتكلمان ويحملان عدة وجوه كما قدمنا في آية الوضوء، ولقد اتفقنا عزيزي القارئ على وجوب تقليد العلماء العارفين بحقائق القرآن والسنة، وبقي الخلاف بيننا فقط في معرفة هؤلاء العلماء العارفين بحقائق القرآن والسنة.

فإذا قلت بأنهم علماء الأمة وعلى رأسهم الصحابة الكرام، فقد عرفنا اختلافهم في آية الوضوء وفي غيرها من المسائل، كما عرفنا بأنهم تقاتلوا وكفر بعضهم بعضاً، فلا يمكن الاعتماد عليهم جميعاً، وإنما يعتمد على المحقين منهم دون المبطلين ويبقى المشكل قائماً.

وإذا قلت بالرجوع إلى أئمة المذاهب الأربعة، فقد عرفت بأنهم اختلفوا أيضاً في أكثر المسائل حتى قال بعضهم بكراهة البسملة في الصلاة وقال بعضهم ببطان الصلاة بدونها، وقد عرفت أحوال هذه المذاهب وأنها من صنائع الحكام الظالمين، وعرفت أيضاً بأنهم بعيدون عن عهد الرسالة ولم يعرفوا الصحابة فضلاً عن النبي نفسه.

فلم يبقَ أمامنا إلا حل واحد لا ثاني له، ألا وهو الرجوع إلى أئمة العترة من

أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، العالمين، العاملين الذين لم يلحقهم أحد في علمهم وورعهم وحفظهم وتقواهم فهم المعصومون عن الكذب والخطأ بنص القرآن الكريم⁽¹⁾ وعلى لسان النبي العظيم⁽²⁾.

فقد أورثهم الله علم الكتاب بعد أن اصطفاهم، وعلمهم رسول الله (ص) كل ما يحتاجه الناس، ودل الأمة عليهم بقوله: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» وقد قال ابن حجر وهو من علماء «أهل السنة والجماعة» في شرح هذا الحديث بعد أن صحّحه:

«وجه تشبيههم بالسفينة أن من أحبهم وعظمهم شكراً لنعمة مشرفهم، وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في مفاوز الطغيان»⁽³⁾.

أضف إلى ذلك أنك لا تجد عالماً في الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً من عهد الصحابة إلى اليوم، من ادعى لنفسه أنه أعلم أو أفضل من أئمة العترة النبوية الطاهرة، كما أنك لا تجد في الأمة قاطبة أحداً ادعى بأنه أعلم واحداً من أئمة أهل البيت أو أرشدهم لأمر ما.

وإذا أردت أيها القارئ مزيداً من البيان والتفصيل فعليك بقراءة «المراجعات» و«الغدير».

وما قدمته أنا إليك فيه الكفاية إن كنت من المنصفين فحديث «تركت فيكم كتاب الله وعترتي» هو الحق الذي يسلم به العقل والوجدان وتثبتته السنة والقرآن.

(1) قوله تعالى: «إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

(2) قول النبي (ص): «كتاب الله وعترتي إن تمسكتن بهما لن تضلوا بعدي أبداً، فكما أن كتاب الله معصوم عن الخطأ فكذلك العترة الطاهرة، فغير المعصوم لا يضمن الهداية والذي يجوز عليه الخطأ هو في حاجة إلى الهداية».

(1) الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص 151.

وبكل هذا يتبين لنا مرة أخرى بالأدلة الواضحة التي لا تدفع بأن الشيعة الإمامية هم أهل السنة النبوية الحقيقية ، وأن «أهل السنة والجماعة» قد أطاعوا ساداتهم وكبراءهم فأضلّوهم السبيل وتركوهم في ظلمات يعمهون ، وأغرقوهم في بحر كفر النعم وأهلكوهم في مفاوز الطغيان على حد تعبير ابن حجر الشافعي .

«والحمد لله رب العالمين على هدايته لعباده المخلصين» .

مصادر التشريع عند الشيعة

المتتبع لفقه الشيعة الإمامية يجدهم ينقطعون في كل الأحكام الفقهية - إلا المستحدثة - ⁽¹⁾ إلى النبي (ص) عن طريق الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام).

وهؤلاء عندهم مصادر التشريع اثنان لا ثالث لهما :

الكتاب والسنة ، أعني المصدر الأول هو القرآن الكريم ، والمصدر الثاني هي السنة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام .

وهذه هي أقوال الشيعة قديماً وحديثاً ، بل هي أقوال الأئمة من أهل البيت الذين لم يدّع واحد منهم أنه اجتهد برأيه أو حكم حكماً من عنده .

فهذا الإمام الأول علي بن أبي طالب عندما اختاروه للخلافة واشترطوا عليه أن يحكم فيهم بسنة الشيخين أبي بكر وعمر ، قال : لا أحكم إلا بكتاب الله وسنة رسوله ⁽²⁾ .

(1) ونقصد بها اجتهاد العلماء في ما لا نصّ فيه والذي حدث بعد غيبة الإمام الثاني عشر .
(2) وفي بعض الروايات قال : «وما عداهما فأجتهد رأيي» ، وهي زيادة مكذوبة من أصحاب الاجتهاد وأنصاره ، لأن الإمام عليّاً لم يدّع يوماً بأنه اجتهد برأيه ، بل كان دائماً يستنبط الأحكام من كتاب الله وسنة رسوله أو كان يقول : عندنا الجامعة وفيها كل ما يحتاجه الناس حتى أرش الخدش ، وهذه الصحيفة هي من إملاء رسول الله وخطّ علي ، وقد مرّ الكلام عن الصحيفة الجامعة في فصل «أهل السنة ومحقّ السنة» من هذا الكتاب .

وسنوضح في أبحاث لاحقة بأنه (عليه السلام) كان دائماً يتقيد بسنة النبي ولا يجيد عنها أبداً، ويحاول بكل جهوده إرجاع الناس إليها حتى سبب له ذلك غضب الخلفاء، ونفور الناس منه لشدة في ذات الله وتشبّهه بسنة النبي (ص).

كما أنّ الإمام الباقر (عليه السلام) كان يقول دائماً:

لو حدثناكم برأينا ضللنا كما ضل من كان قبلنا، ولكننا نحدثكم بينة من ربنا بينها لنبيه فبينها نبيه لنا .

وقال مرة أخرى : يا جابر، إنّنا لو كنا نحدثكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكننا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله (ص) كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم .

وهذا الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) يقول :

والله ما نقول بأهوائنا ولا نقول برأينا، ولا نقول إلّا ما قال ربنا، فمهما أجبناك فيه بشيء فهو عن رسول الله لسنا نقول برأينا من شيء .

وأهل العلم والمحققون يعرفون ذلك من أئمة أهل البيت فلم يسجلوا عن أحدهم القول بالرأي ولا بالقياس ولا بالاستحسان أو بشيء غير القرآن والسنة .

وحتى إذا رجعنا للمرجع الكبير المعاصر الشهيد آية الله محمد باقر الصدر (رضوان الله عليه) نجده يقول في رسالته العملية لفقه العبادات والمعاملات - في الفتاوى الواضحة - يقول حرفياً: «ونرى من الضروري أن نشير أخيراً بصورة موجزة إلى المصادر التي اعتمدناها بصورة رئيسية في استنباط هذه الفتاوى الواضحة وهي كما ذكرنا في مستهل الحديث عبارة عن الكتاب الكريم والسنة

(1) أنظر إلى علماء الشيعة كيف يأخذون عن الثقات المتورعين مهما كان مذهبهم، وهو ردّ على القائلين بأن الشيعة لا يثقون في الصحابة، وإنّما يرفض الشيعة حديث الصحابي إذا تعارض مع ما يرويه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) .

الشريعة المنقولة عن طريق الثقافات المتورعين في النقل مهما كان مذهبهم⁽¹⁾. أما القياس والاستحسان ونحوهما فلا نرى مسوغاً شرعياً للاعتداد عليهما.

وأما ما يسمى بالدليل العقلي الذي اختلف المجتهدون والمحدثون في أنه هل يسوغ العمل به أولاً، فنحن وإن كنا نؤمن بأنه يسوغ العمل به، ولكننا لم نجد حكماً واحداً يتوقف إثباته على الدليل العقلي بهذا المعنى، بل كل ما يثبت بالدليل العقلي فهو ثابت في نفس الوقت بكتاب أو سنة.

وأما ما يسمى بالإجماع فهو ليس مصدراً إلى جانب الكتاب والسنة، وإنما لا يعتمد عليه إلا من أجل كونه وسيلة لإثبات في بعض الحالات.

وهكذا كان المصدران الوحيدان هما الكتاب والسنة ونبتهل إلى الله أن يجعلنا من المتمسكين بهما. «ومن استمسك بهما فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم»⁽¹⁾.

نعم، ونجد هذه الظاهرة هي السائدة عند الشيعة قديماً وحديثاً ولا يعتمد عندهم إلا على الكتاب والسنة ولا نجد لأحدهم فتوى واحدة ناتجة عن القياس أو الاستحسان، وقصة الإمام الصادق مع أبي حنيفة معروفة، وكيف أنه نهاه عن القياس وقال له فيما قال: لا تقس في دين الله فإن الشريعة إذا قيست محقت، وإن أول من قاس إبليس عندما قال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين.

هذه هي مصادر التشريع عند الشيعة من عهد علي بن أبي طالب وإلى يومنا هذا. فما هي مصادر التشريع عند «أهل السنة والجماعة»؟

(1) الفتاوى الواضحة للشهيد باقر الصدر ص 98.

مصادر التشريع عند «أهل السنة والجماعة»

وإذا تتبعنا مصادر التشريع عند «أهل السنة والجماعة» وجدناها كثيرة تتعدى حدود الكتاب والسنة التي رسمها الله ورسوله .

فالمصادر عندهم - بالإضافة إلى الكتاب والسنة - هي سنة الخلفاء الراشدين ، وسنة الصحابة ، وسنة التابعين وهم علماء الأثر وسنة الحكام ويسمونها صوافي الأمراء ، ثم القياس ، والاستحسان ، والإجماع ، وسد باب الذرائع .

وهي كما ترى عشرة مصادر عندهم كلها تتحكم في دين الله . وحتى لا نتكلم بدون دليل ونُلقي الكلام على عواهنه ، أو يتهمنا البعض بالمبالغة ، لابد من إعطاء بعض الأدلة من أقوالهم وكتبهم كي يتبين للقارئ الكريم ذلك واضحاً .

ونحن لا نناقش «أهل السنة والجماعة» في المصدرين الأولين المتمثلين في الكتاب والسنة ، فهو أمرٌ لا خلاف فيه ، بل هو الواجب الذي جاء به النقل والعقل والإجماع ، وهو من باب قوله تعالى : ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (الحشر: 7) وقوله : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ (المائدة 92) وقوله : ﴿ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ (الأحزاب : 36) وغيرها من الآيات البيّنات الدالة على وجوب تشريع الأحكام من كتاب الله وسنة رسوله فقط ، ولكن نقاشنا معهم في المصادر الأخرى التي أضافوها من عندهم .

أولاً - سنة الخلفاء الراشدين

فقد احتجّوا بحديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»⁽¹⁾.

وقد بيّنا في كتاب «مع الصادقين» بأنّ المقصود من الخلفاء الراشدين في هذا الحديث هم أئمة أهل البيت، وأضيف هنا بعض الأدلة الأخرى لمن فاتته ذلك البحث.

أخرج البخاري ومسلم وكل المحدثين بأنّ رسول الله حصر خلفاءه في اثني عشر، فقال: الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش. فدلّ هذا الحديث الصحيح على أنّ المقصود هم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وليسوا الخلفاء «الحكام» الذين اغتصبوا الخلافة.

ولقائل أن يقول: سواء أكان المقصود بالخلفاء أئمة أهل البيت الاثني عشر كما يقول الشيعة، أم الخلفاء الراشدين الأربعة كما يقول «أهل السنة» فإنّ مصادر التشريع ثلاثة: القرآن والسنة وسنة الخلفاء؟

وهذا صحيح على رأي «أهل السنة» ولكنّه لا يصحّ على رأي الشيعة لأنّ أئمة أهل البيت كما قدّمنا لم يكونوا يشرّعوا باجتهادهم وأرائهم بل كلّ ما قالوه هو سنة جدّهم رسول الله تعلّموها منه واحتفظوا بها كي يظهرها للناس إذا اقتضت الحاجة ذلك.

أمّا «أهل السنة والجماعة» فقد حفلت كتبهم بالاستدلال بسنة أبي بكر وسنة عمر كمصدر للتشريع الإسلامي ولو خالفت الكتاب والسنة.

ومما يزيدنا يقيناً بأنّ أبا بكر وعمر غير مقصودين بحديث النبي، أنّ عليّاً رفض أن يحكم بسنتهم عندما اشترط عليه الصحابة ذلك.

فلو كان الرسول يقصد بالخلفاء الراشدين أبا بكر وعمر لما جاز لعلي أن يردّ على رسول الله ويرفض سنتهم، فدلّ الحديث على أنّ الخلفاء الراشدين ليس منهم أبو بكر ولا عمر.

(1) أخرجه الترمذي وابن ماجه والبيهقي وأحمد بن حنبل.

على أن «أهل السنة والجماعة» يقصدون بالخلفاء الراشدين أبا بكر وعمر وعثمان دون سواهم . لأنّ علياً لم يكن معدوداً عندهم من الخلفاء وإنّما ألحق في زمن متأخّر كما قدّمنا ، ولأنّه كان يُلعنُ على المنابر فكيف يتبعون سنّته؟؟!

وإذا قرأنا ما رواه جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء تحقّق لدينا صحّة ما ذهبنا إليه .

قال السيوطي نقلاً عن حاجب بن خليفة : شهدتُ عمر بن عبد العزيز يخطب وهو خليفة ، فقال في خطبته :

«ألا إنّ ما سنّ رسول الله (ص) وصاحبه فهو دينٌ نأخذ به وننتهي إليه ، وما سنّ سواهما فإنّا نرجئه»⁽¹⁾.

والحقيقة أنّ جلّ الصحابة والحكّام الأمويّين والعبّاسيين كانوا يرون أنّ ما سنّ أبو بكر وعمر وعثمان هو دينٌ يأخذون به وينتهون إليه .

وإذا عمل هؤلاء الخلفاء الثلاثة على منع سنّة الرّسول (ص) كما عرفنا ذلك في ما سبق ، فلا يبقى بعد ذلك من السنّة إلّا ما سنّوه ومن الأحكام إلّا ما أحكموه .

ثانياً - سنّة الصحابة عموماً

إنّنا نجد أدلّة كثيرة وشواهد عديدة على اقتداء «أهل السنّة والجماعة» بسنّة الصحابة عموماً بدون استثناء .

فهم يحتجّون بحديث مكذوب وافينا البحث فيه في كتاب «مع الصادقين» والحديث يقول : «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» ، وقد احتجّ ابن القيم الجوزية بهذا الحديث على حجّة رأي الصحابي⁽²⁾.

وقد اعترف بهذه الحقيقة أيضاً الشيخ أبو زهرة إذ قال : «لقد وجدناهم

(1) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 160 .

(2) أعلام الموقعين ج 4 ص 122 .

(يعني فقهاء أهل السنة) جميعاً يأخذون بفتوى الصحابي «ثم يُضيف في مقطع آخر قوله :

«والاحتجاج بأقوال الصحابة وفتاويهم هو مسلك جماهير الفقهاء وخالفهم الشيعة⁽¹⁾ ولكن ابن القيم الجوزية أيد الجمهور بنحو ستة وأربعين وجهاً وكلها حُجج قوية . . . » .

ونحن نقول للشيخ أبي زهرة : كيف تكون الحجة - التي تخالف كتاب الله وسنة رسوله - قوية ؟ !

فكل الحجج التي جاء بها ابن القيم واهية كبيت العنكبوت وأنت بنفسك قد نسفتها عندما قلت :

«ولكننا وجدنا الشوكاني يقول : والحق أن قول الصحابي ليس بحجة فإن الله سبحانه وتعالى لم يبعث إلى هذه الأمة إلا نبيّاً محمّداً (ص) وليس لنا إلا رسول واحد ، والصحابة ومن بعدهم مكلفون على السواء باتباع شرعه في الكتاب والسنة ، فمن قال بأنه تقوم الحجة في دين الله بغيرهما ، فقد قال في دين الله بما لا يُثبت وأثبت شرعاً لم يأمر الله به»⁽²⁾ .

فتحية إلى الشوكاني الذي قال حقاً ونطق صدقاً ، ولم يتأثر بالمذهب فكان قوله موافقاً لأئمة الهدى من العترة الطاهرة ورضي الله عنه وأرضاه إن كانت أعماله مطابقة لأقواله .

ثالثاً - سنة التابعين «علماء الأثر»

كذلك نجد «أهل السنة والجماعة» يأخذون بآراء التابعين ويسمّونهم «علماء الأثر» كالأوزاعي وسفيان الثوري وحسن البصري وابن عيينة وغيرهم كثير، كما أنهم متفقون على الأخذ باجتهادات أئمة المذاهب الأربعة وتقليدهم رغم أنهم من تابعي التابعين .

(1) وهذه شهادة أخرى من الشيخ أبي زهرة تؤيد ما قلناه بأن الشيعة لا يقبلون في شرع الله إلا الكتاب الكريم والسنة النبوية .

(2) كتاب الشيخ أبي زهرة ص 102 .

وإذا كان الصحابة أنفسهم يعترفون بخطأهم في عديد من المرات وأنهم يقولون ما لا يعلمون .

فهذا أبو بكر يقول عندما يُسأل عن مسألة : سأقول فيها برأيي فإن أصبْتُ فمن الله ، وإن أخطأتُ فمَنِّي أو من الشيطان . وهذا عمر يقول لأصحابه : لعلِّي أمركم بالأشياء التي لا تصلح لكم وأناكم عن أشياء تصلح لكم⁽¹⁾ .

وإذا كان هذا هو مبلغهم من العلم وأنهم يتبعون الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً ، فكيف يحق لمسلم عرف الإسلام أن يجعل أفعال هؤلاء وأقوالهم سنة متبعة ومصدراً من مصادر التشريع ؟ وهل يبقى بعد هذا الحديث «أصحابي كالنجوم» من أثر؟

وإذا كان هؤلاء هم الصحابة الذين حضروا مجالس النبي وتعلموا منه يقولون مثل هذه الأقوال ، فكيف تكون حال من جاء بعدهم وأخذ عنهم وشارك في الفتنة؟

وإذا كان أئمة المذاهب الأربعة يقولون في دين الله بأرائهم مصرّحين ومعتزين بإمكانية الخطأ ، فيقول الواحد منهم : هذا ما أعتقد أنه صحيح وقد يكون رأي غيري هو الصحيح ، فلماذا ألزم المسلمون أنفسهم بتقليدهم؟!

رابعاً - سنة الحكماء

ويستقى عند «أهل السنة والجماعة» : صوافي الأمراء ، وقد استدلوا عليه بقوله تعالى : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ (النساء: 59)⁽²⁾ .

فأولي الأمر عندهم الحكماء وإن كانوا متسلطين بالقوة والقهر ، وهم يعتقدون بأن الحكماء أمّهم الله على رقاب العباد فيجبُ لذلك طاعتهم والأخذ بسنتهم .

(1) تاريخ بغداد ج 14 ص 81 .

ونحن نقول لهؤلاء : إن كان هذا هو مبلغكم من العلم ، فلماذا تقدّمتم على من عنده علم الأولين والآخرين وحرمت الأمة من هديه ونوره وتركتموها تتخبط في الفتنة والجهالة والضلالة؟!

(2) لقد أوضحنا بالأدلة في كتاب «مع الصادقين» بأن أولي الأمر هم أئمة الهدى من العترة الطاهرة وليس المقصود بهم الحكماء الغاصبين ، ومن المستحيل أن يأمر الله سبحانه بطاعة الظالمين والفاسقين والكافرين .

وردّ ابن حزم الظاهري على «أهل السنّة والجماعة» ردّاً عنيفاً بقوله : «بناءً على ما تقولون فللأمرء أن يُبطلوا ما شاؤوا من الشرائع التي أمر الله ورسوله بها ، كما لهم أن يزيدوا فيها ، ولا فرق بين الزيادة والنقص في ذلك ، وهذا كفرٌ ممّن أجازهُ بلا خلاف»⁽¹⁾.

وردّ الذهبي على ابن حزم بقوله :

«هذا تقرير فاسد وخطأ فاحش ، فإنّ الأمة أجمعتُ إلّا داود بن علي ومن مشى خلفه ، على أنّ أولي الأمر لهم الحكم بالرأي والاجتهاد إذا لم يكن في النازلة نصٌّ ، ويقولون : لا يحلّ لهم الحكم بالرأي والاجتهاد مع علمهم بالنص في النازلة ، فظهر بهذا أنّ لهم أن يزيدوا في الشرع زيادة ساغت في الشرع وليس لهم أن يُبطلوا ما شاؤوا من الشرع» .

ونحن نقول للذهبي : كيف تدّعي إجماع الأمة وأنت نفسك استثنيت داود بن علي ومن مشى خلفه؟! ولماذا لم تُسمّ من مشى خلفه؟ ثمّ لماذا لم تستثن الشيعة وأئمة أهل البيت ، لأنهم عندك ليسوا من الأمة الإسلامية؟! أم أنّ ترلفك للحكّام هو الذي جعلك تُبيحُ لهم أن يزيدوا في الشرع ، لكي يزيدوا في عطائك وشهرتك؟

وهل كان الحكّام الذين حكموا المسلمين باسم الإسلام يعرفون النصوص القرآنية والنصوص النبوية حتّى يقفوا عند حدودها؟

وإذا كان الخليفان أبو بكر وعمر تعمّداً مخالفة النصوص القرآنية والنبوية كما قدّمنا في أبحاث سابقة ، فكيف يلتزم من جاء بعدهما بتلك النصوص التي بُدلت وغيّرت وأُغفيت آثارها؟

وإذا كان فقهاء «أهل السنّة والجماعة» يفتونّ للأمرء بأن يقولوا في دين الله ما يشاؤون ، فليس غريباً على الذهبي أن يُقلّدهم .

فقد جاء في طبقات الفقهاء عن سعيد بن جبّير قال : سألتُ عبداً لله بن عمر عن الإيلاء؟ فقال : أتريد أن تقول : قال ابن عمر قال ابن عمر؟!

(1) ابن حزم في ملخص إبطال القياس ص 37 .

قال: قلت: نعم، ونرضى بقولك ونقنع. فقال ابن عمر: يقول في ذلك الأمراء، بل يقول في ذلك الله ورسوله ومن يقول عنهما.

وعن سعيد بن جبير قال: كان رجاء بن حيوة يُعدُّ في أفقه فقهاء الشام، ولكن كنتُ إذا حرَّكته وجدته شامياً يقول: قضى عبد الملك بن مروان فيها بكذا وكذا⁽¹⁾.

كما جاء في طبقات ابن سعد عن المسيب بن رافع قال: كان إذا جاء الشيء من القضاء وليس في الكتاب ولا في السنة سُمِّيَ «صوافي الأمراء» فدفع إليهم فجمع له أهل العلم، فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحق⁽²⁾.

ونحن نقول: «ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض. بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون».

خامساً - بقية مصادر التشريع عند «أهل السنة»

ونذكر منها القياس والاستحسان والاستصحاب وسد باب الذرائع، والإجماع فمشهورة جداً ومعروفة عندهم.

وقد اشتهر الإمام أبو حنيفة بالعمل بالقياس ورد الأحاديث كما اشتهر الإمام مالك بالرجوع لعمل أهل المدينة وسد باب الذرائع واشتهر الإمام الشافعي بالرجوع إلى فتاوى الصحابة وقد رتبهم على أقسام ودرجات فقال بأولوية العشرة المبشرين بالجنة، ثم المهاجرين الأولين، ثم الأنصار، ثم مسلمة الفتح ويقصد بهم الطلقاء والذين أسلموا بعد فتح مكة⁽³⁾.

كما اشتهر الإمام أحمد بن حنبل بعدم الاجتهاد والابتعاد عن الفتوى وأخذه برأي أي صحابي كان.

فقد نقل عنه الخطيب البغدادي أن رجلاً سأله عن مسألة في الحلال

(1) طبقات الفقهاء ترجمة سعيد بن جبير.

(2) طبقات ابن سعد ج 6 ص 179.

(3) مناقب الإمام الشافعي ج 1 ص 443.

والحرام، فقال له أحمد: سَل عافاك الله غيرنا، قال: إنَّما نريد جوابك يا أبا عبد الله، قال: سَل عافاك الله غيرنا، سَل الفقهاء سَل أبا ثور⁽¹⁾.

كما نقل عنه المروزي قوله: أمَّا الحديث فقد استرحنا منه وأمَّا المسائل فقد عزمْتُ إن سألني أحدٌ عن شيء فلا أجيبُهُ⁽²⁾.

ولا شكَّ بأنَّ أحمد بن حنبل هو الذي أوحى بفكرة عدالة الصحابة كلَّهم بدون استثناء فأثر مذهبه في «أهل السنَّة والجماعة».

فقد ذكر الخطيب في تاريخ بغداد في جزئه الثاني بالإسناد عن محمَّد بن عبد الرحمن الصيرفي قال: قلت لأحمد بن حنبل: إذا اختلف أصحاب رسول الله (ص) في مسألة، هل يجوز لنا أن ننظر في أقوالهم، لنعلم مع مَنْ الصواب منهم، فتنبعه؟

فقال لي: لا يجوز النَّظر بين أصحاب رسول الله (ص)، فقلتُ: كيف الوجهُ في ذلك؟

قال: تُقلِّدُ أيَّهم أحبَّبتُ.

ونحن نقول: وهل يجوز تقليد مَنْ لا يعرف الحقَّ من الباطل؟ وغريبٌ أن يفتيَ أحمد وهو الذي يتهرَّب من الفتوى، بتقليد أيِّ صحابي أحبَّ وبدون النَّظر في أقوالهم لمعرفة الصواب!

وبعد هذا العرض الوجيز لمصادر التشريع الإسلامي عند الشيعة وعند «أهل السنَّة والجماعة»، يتبيَّن لنا بوضوح لا يُبس فيه بأنَّ الشيعة هم الذين يتقيَّدون بسنَّة النَّبي (ص) ولا ييغون عنها حولاً حتَّى كانت سنَّة النَّبي هي شعارهم كما شهد بذلك أعداؤهم.

أمَّا «أهل السنَّة والجماعة» فهم يتبعون سنَّة أيِّ صحابي وأي تابعي وأي حاكم.

(1) تاريخ بغداد ج 2 ص 66.

(2) مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص 57.

وهذه كتبهم وأقوالهم تشهد عليهم وكفى بها شهيداً وسوف نبحث في فصل
قادم إن شاء الله تعالى أفعالهم لنعرف بأنها ليست من سنة النبي في شيء .
وأترك للقارىء نفسه أن يستتج من هم أهل السنة ، ومن هم أهل البدعة؟

تعليق لا بدّ منه لإكمال البحث

وتجدر الإشارة إلى أنّ الشيعة تقيّدوا بمصادر التشريع من الكتاب والسنة ولم يزدوا عليها شيئاً وذلك لوجود النصوص الكافية عند أئمتهم لكلّ مسألة من المسائل التي يحتاجها الناس .

وقد يستغرب ذلك بعض الناس ويستبعدون أن يكون لأئمة أهل البيت نصوص كافية لكلّ ما يحتاجه الناس لمواكبة كلّ العصور حتّى تقوم الساعة .

ولتقريب هذا الواقع لذهن القارئ لا بدّ من الإشارة إلى الأمور التالية :

إذا اعتقد المسلم بأنّ الله سبحانه بعث محمّداً بشريعة مُكمّلة لكل الشرائع السابقة ومهيمنة عليها لتكمّل مسيرة الإنسانية فوق هذه الأرض لتعود بعدها إلى الحياة الأبدية .

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه﴾
(التوبة : 33) .

وإذا اعتقد المسلم بأنّ الله سبحانه أراد من الإنسان أن يكون خاضعاً لأحكامه في كلّ أقواله وأفعاله ويسلّم إليه مقاليد أموره .

﴿إنّ الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران : 19) ، ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ (آل عمران : 85) .

وإذا كان الأمر كذلك فلا بدّ أن تكون أحكام الله كاملة وشاملة لتغطية كل

ما يحتاجه الإنسان في مسيرته الشاقة للتغلب على كل العقبات والصمود أمام التحديات والوصول إلى الهدف المنشود .

ولكل ذلك عبر سبحانه وتعالى عن هذه الحقيقة بقوله :

﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ (الأنعام : 38) .

وعلى هذا الأساس فليس هناك من شيء إلا وهو مذكور في كتاب الله تعالى ، ولكن الإنسان بعقله المحدود لا يدرك كل الأشياء التي ذكرها الله سبحانه وتعالى لحكمة بالغة لا تخفى على أهل المعرفة . وذلك كقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ (الإسراء : 44) .

و«إن من شيء» بدون استثناء تدلّ على الإنسان والحيوان والجماد يسبح وقد يقبل الإنسان تسبيح الحيوان والكائنات الحية من النباتات ولكن عقله لا يفقه تسبيح الحجارة مثلاً . قال تعالى :

﴿ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق ﴾ (ص : 18) .

وإذا سلمنا بذلك وأماناً به ، فلا بدّ من التسليم والإيمان بأنّ كتاب الله فيه كلّ الأحكام التي يحتاجها الناس إلى يوم القيامة ، ولكننا لا ندركها إلا إذا رجعنا لمن أنزل عليه وفهم كلّ معانيه ، وهو رسول الله (ص) قال تعالى :

﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾ (النحل : 89) .

وإذا سلمنا بأنّ الله سبحانه بيّن كلّ شيء إلى رسوله ليُبين للناس ما نُزل إليهم ، فلا بدّ أن نُسلم بأنّ رسول الله (ص) قد بيّن كلّ شيء ولم يترك شيئاً يحتاجه الناس إلى يوم القيامة إلا وأعطى فيه حكماً .

وإذا لم يصلنا ذلك البيان أو لم نعرفه نحن اليوم فذلك ناتج عن قصورنا وتقصيرنا وجهلنا ، أو هو ناتج عن خيانة الواسطة التي بيننا وبينه أو هو ناتج عن جهل الصحابة وعدم وعيهم لما بيّنه (ص) .

ولكن الله سبحانه وتعالى جلّت حكمته يعلم أنّ كل هذه الاحتمالات ممكنة أو واقعة فلا يترك شريعته تضع ، فاصطفى من عباده أئمةً أورثهم علم الكتاب وتبيناه ، لكي لا يكون للناس على الله حجة ، قال تعالى : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ (فاطر: 32) .

ورسول الله (ص) بين للناس ما يحتاجون إليه واختص وصيته علياً بكل ما يحتاجه الناس بعده إلى قيام الساعة وذلك للمزايا التي كان يتمتع بها علي من بين الأصحاب جميعاً من ذكاء مفرط وفهم حادّ وحفظ قوي ووعي لكل ما يسمع ، فعلمه النبي كلّ ما يعلم وأرشد الأمة إليه على أنّه باب الذي منه يؤتى .

وإذا قال قائل بأن رسول الله بعثه الله للناس كافة فليس من حقه أن يختص بالعلم أحدهم ويحرم الآخرين ، قلنا : ليس لرسول الله في ذلك الأمر شيء إنما هو عبدٌ مأمورٌ ينفذ ما يوحى إليه من ربه ، فالله هو الذي أمره بذلك ، لأنّ الإسلام هو دين التوحيد ومبنيّ على الوحدة في كلّ شيء فلا بدّ لتوحيد الناس وجمعهم من قيادة واحدة ، فهذا أمرٌ بديهيّ قرره كتاب الله وحكم به العقل والوجدان قال تعالى :

﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ (الأنبياء : 22) وقال أيضاً : ﴿وما كان معه من إله إذا لذهب كلّ إله بما خلق ولعلّا بعضهم على بعض﴾ (المؤمنون : 81) .

كذلك لو أرسل الله رسولين في زمن واحد ، لانقسم الناس إلى أمتين وتفرّق أمرهم إلى حزبين متعارضين . قال تعالى : ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ (فاطر: 24) .

كذلك كان لكلّ نبيّ وصيّ يخلفه في قومه وأمته ، كي لا يتشتّت أمرهم ويتفرّق جمعهم .

وهذا للعمري أمرٌ طبيعيّ يعرفه الناس كافة سواء كانوا علماء أو جاهلين مؤمنين أو كافرين ، ألا ترى أنّ كلّ قبيلة وكلّ حزب وكلّ دولة لا بدّ لها من رئيس واحد يتزعمها ويقودها ، ولا يمكن أن يخضعوا للرئيسين في نفس الوقت .

لكل هذا اصطفى الله سبحانه من الملائكة رُسُلًا ومن الناس ، وشرقهم بمهمة القيادة لعباده وجعلهم أئمة يهدون بأمره . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران : 33) . والأئمة الذين اصطفاهم الله سبحانه لختم الرسالة المحمدية ، هم أئمة الهدى من عترة النبي وكلهم من آل إبراهيم ذرية بعضها من بعض وهؤلاء هم الذين أشار إليهم رسول الله (ص) بقوله : « الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش »⁽¹⁾ .

ولكل زمان إمامٌ معلوم ، فمن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية .
والله سبحانه وتعالى إذا اصطفى إماماً طهره وعصمه وعلمه فلا يؤتي الحكمة إلا لأهلها ومستحقها .

وإذا رجعنا إلى أصل الموضوع وهو معرفة الإمام كل ما يحتاج إليه الناس من أحكام الشريعة من خلال النصوص التي جاءت في الكتاب والسنة والتي تُواكب مسيرة البشرية إلى قيام الساعة ، فإننا لا نجد في الأمة الإسلامية من ادعى ذلك غير أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين صرحوا عديد المرات بأنّ عندهم الجامعة وهي من إمام رسول الله وخطّ علي بن أبي طالب وفيها كل ما يحتاجه الناس إلى يوم القيامة حتى أرض الخدش .

وقد أشرنا إلى هذه الصحيفة الجامعة التي كان يحملها عليّ معه وقد أشار إليها البخاري ومسلم في صحيحيهما ولا يمكن لأي واحد من المسلمين تكذيب ذلك .

وعلى هذا الأساس فإن الشيعة الذين انقطعوا لأئمة أهل البيت حكموا في الشريعة بنصوص القرآن والسنة ولم يضطروا لغيرها وذلك على الأقل طيلة ثلاثة قرون حياة الأئمة الاثني عشر .

(1) أخرج الحديث البخاري في صحيحه ج 8 ص 127 وصحيح مسلم ج 6 ص 3 . وفي بعض الروايات كلهم من بني هاشم بدلاً من قريش ، وسواء أكان من بني هاشم أم من قريش فكلهم من آل إبراهيم كما هو معلوم .

أما «أهل السنة والجماعة» فقد اضطروا للاجتهاد والقياس وغير ذلك لفقدان النصوص وجهل أئمتهم بها ، من أيام الخلافة الأولى .

وإذا كان الخلفاء عندهم قد عمدوا لحرق النصوص النبوية والعمل على منعها وكتبتها .

وإذا كان كبيرهم يقول : حسبنا كتاب الله ، ضارباً بالسنة النبوية عرض الجدار ، فمن الطبيعي جداً أن يفتقروا إلى النصوص المبيّنة لأحكام القرآن نفسه .

فكلنا يعلم بأن أحكام القرآن الظاهرية قليلة جداً وهي في عمومها تفتقر إلى بيان النبي ، ولذلك قال تعالى : ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ (النحل : 44) .

وإذا كان القرآن يفتقر للسنة النبوية لتبين أحكامه ومقاصده .

وإذا كان أقطاب «أهل السنة والجماعة» قد أحرقوا السنة المبيّنة للقرآن ، فلم يبقَ عندهم بعدها نصوص لا لبيان القرآن ولا لبيان السنة نفسها .

فلا بدّ والحال هذه أن يعتمدوا للاجتهاد والقياس واستشارة العلماء عندهم فيأخذوا بالاستحسان وبما يرون فيه مصلحتهم الوقتية .

ومن الطبيعي جداً أن يحتاجوا إلى كل ذلك لفقد النصوص ويضطروا إليه اضطراراً .

التقليد والمرجعية عند الشيعة

لا بد لكل مكلف من المسلمين، إذا لم يكن مجتهداً — بمعنى أنه قادرٌ على استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة — أن يُقلد مرجعاً جامعاً للشرائط من العلم والعدل والورع والزهد والتقوى وذلك لقوله تعالى: ﴿نَسْأَلُكَ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: 43).

وإذا بحثنا هذا الموضوع نجد الشيعة الإمامية قد واكبوا الأحداث فلم تنقطع عندهم سلسلة المرجعية أبداً من وفاة النبي (ص) وإلى يوم الناس هذا.

وقد واصل الشيعة تقليد الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام)، وقد استمر وجود هؤلاء الأئمة أكثر من ثلاثة قرون على نسق واحد فلم يُخالف واحدٌ منهم قول الثاني لأنّ النصوص الشرعية من الكتاب والسنة كانت هي المتبعة عندهم جميعاً ولم يعملوا بقياس ولا باجتهاد ولو فعلوا لكان الاختلاف عندهم شائعاً، كما وقع لأتباع «أهل السنة والجماعة».

ويُستنتج من هذا أنّ مذهب «أهل السنة والجماعة» سواء كان حنفياً أم مالكيّاً أم شافعيّاً أم حنبليّاً، فهو مبنيٌّ على رأي رجل واحد بعيد عن عصر الرسالة ولا تربطه بالنبي آية صلة.

أمّا مذهب الشيعة الإمامية فهو متواتر عن اثني عشر إماماً من ذرية النبي (ص) ينقل الابن عن أبيه فيقول أحدهم: حديثي هو حديث أبي وحديث أبي هو حديث جدّي وحديث جدّي هو حديث أمير المؤمنين علي وحديث علي

هو حديث رسول الله (ص) وحديث رسول الله هو حديث جبريل (عليه السلام) وهو كلام الله تعالى .

﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ (النساء : 82).

ثم جاءت مرحلة ما بعد غيبة الإمام المعصوم الذي أرجع الناس إلى تقليد العالم الفقيه الجامع للشرائط .

وبدأت سلسلة الفقهاء المجتهدين منذ ذلك العهد إلى اليوم تتوالى بدون انقطاع ، وفي كلِّ عهدٍ يبرز في الأمة مرجعٌ واحدٌ أو عدّة مراجعٍ للشيعة يقلّدونهم في أعمالهم حسب الرسائل العمليّة التي يستنبطها كلُّ مرجع من الكتاب والسنة . ولا يجتهد إلا في الأمور المستحدثة التي عرفها هذا القرن بسبب التقدّم العلمي والتكنولوجي ، كعملية زرع القلب أو أي عضو جسدي من شخص لآخر، أو الحمل الاصطناعي ، أو المعاملات البنكية وغير ذلك .

وقد يبرز من بين المجتهدين أعلمهم فيُستَمَى المرجع الأعلى للشيعة أو زعيم الطائفة والحوزة العلمية ، والذي يحظى بتقدير واحترام كل المراجع الآخرين .

ويقلّد الشيعة على مرّ العصور الفقيه الحي الذي يعيش مشاكل الناس ويهتم بهمومهم فيسألونه ويحييهم .

وبهذا بقي الشيعة في كلّ العصور يحافظون على المصدرين الأساسيين للشريعة الإسلامية من الكتاب والسنة والنصوص المنقولة عبر الأئمة الاثني عشر من العترة الطاهرة جعلت علماءهم يستغنون عن القياس والقول بالرأي ، لأنّ الشيعة اعتنوا بتدوين السنة النبوية من زمن علي بن أبي طالب الذي كان يحتفظ بالصحيفة الجامعة التي جمعت كلّ ما يحتاجه الناس إلى يوم القيامة وكان الأئمة من ولده يتوارثونها كابراً عن كابر ويكتنزونها كما يكتز الناس الذهب والفضّة .

وقد نقلنا قول الشهيد آية الله الصّدر في رسالته العملية والتي ذكر فيها أنّه لم يعتمد إلا على القرآن والسنة .

وليس ذكرنا للشهيد الصدر إلا مثلاً، وإلا فإن كل مراجع الشيعة بدون استثناء يقولون نفس القول .

وبهذا البحث الوجيز في مسألة التقليد الشرعي والمرجعية الدينية يتبين لنا بأن الشيعة الإمامية هم أهل القرآن والسنة النبوية المنقولة مباشرة عن علي «باب مدينة العلم» العالم الرباني والمرشد الثاني للأمة بعد نبيها من كان في القرآن كنفس النبي⁽¹⁾.

فمن جاء للمدينة ودخلها من بابها فقد وصل إلى المعين الصافي وأخذ بالكيل الوافي والعلاج الشافي، وقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها لقوله تعالى: ﴿وَاتَّوَا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ (البقرة: 189).

ومن أتى البيوت من غير أبوابها سارقاً فلم يتمكن من الدخول ولم يعرف سنة النبي (ص) وسيعاقبه الله على عصيانه .

(1) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾، فدعا علي بن أبي طالب: أخرجهم مسلم في صحيحه في باب فضائل علي (عليه السلام).

التقليد والمرجعية عند أهل السنة والجماعة

وإذا بحثنا موضوع التقليد والمرجعية عند «أهل السنة والجماعة» فإننا نتحير لإيجاد علاقة تربط هؤلاء بالرسول (ص) فكلنا يعلم بأن «أهل السنة والجماعة» يرجعون في التقليد إلى أئمة المذاهب الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل، وكل هؤلاء لا يعرفون رسول الله (ص) ولا صاحبه.

وفي وقت كان الشيعة يقلّدون علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي لم يفارق النبي طيلة حياته ومن بعده يقلّدون سيدي شباب أهل الجنة الإمام الحسن والإمام الحسين سبطي النبي والإمام علي بن الحسين زين العابدين، وابنه الإمام الباقر وحفيده الإمام الصادق (عليهم السلام)، لم يكن «لأهل السنة والجماعة» وجود في ذلك العصر ولم يحدثنا التاريخ عنهم أين كانوا ومن هو إمامهم الذي يقلّدونه ويرجعون إليه في الأحكام الشرعية من الحلال والحرام، من يوم وفاة النبي (ص) إلى ظهور المذاهب الأربعة؟

ويظهر بعد ذلك على مسرح الحياة أئمة المذاهب الأربعة واحداً بعد واحد وعلى فترات متفاوتة حسب رغبة الحكام العباسيين كما قدمنا في بحث سابق.

ثم يظهر بعد ذلك تكتل يجمع المذاهب الأربعة تحت شعار برّاق يأخذ بالألباب ويتسمى بـ «أهل السنة والجماعة» ويلتف حوله كل من عادى علياً والعترة الطاهرة وكان من أنصار الخلفاء الثلاثة وكل الحكام من بني أمية وبني العباس، فاعتنق الناس تلك المذاهب طوعاً وكرهاً، لأن الحكام عملوا على تأييدها بوسائل الترغيب والترهيب والناس على دين ملوكهم.

ثم نجد «أهل السنة والجماعة» وبعد موت الأئمة الأربعة يغلقون باب الاجتهاد في وجه علمائهم فلا يسمحون لهم إلا بالتقليد لأولئك الأئمة الميتين . ولعل الحكام والأمراء هم الذين أغلقوا عليهم باب الاجتهاد ولم يسمحوا لهم بالنقد والنظر في شؤون الدين خوفاً من التحرر الفكري الذي قد يسبب لهم قلاقل وفتناً قد تهدد مصالحهم وكيانهم .

وأصبح «أهل السنة والجماعة» مقيدين لتقليد رجل ميت لم يشاهدوه ولم يعرفوه حتى يطمئنوا لعدالته وورعه وعلمه ، وإنما كل ما هنالك أنهم أحسنوا الظن بأسلافهم الذين يروي كل فريق منهم مناقب خيالية في الإمام الذي يتبعه فجاء أغلبها فضائل منامية لا تتعدى أضغاث أحلام أو طيف منام ، أو ظناً وأوهاماً ، فكل حزب بما لديهم فرحون .

ولو نظر المثقفون من «أهل السنة والجماعة» اليوم إلى المشالب التي رواها أسلافهم أيضاً وتضارب الأقوال في بعضهم حتى وصل بهم الأمر إلى الحروب والتكفير في ما بينهم ، لراجعوا موقفهم من أولئك الأئمة ولكانوا من المهتدين .

ثم كيف يقلد المسلم العاقل في هذا الزمان رجلاً لا يعرف من مستحدثات العصر شيئاً ، ولا يجيبه إذا سألته عن حل لبعض مشاكله ، ومن المؤكد بأن مالكا وأبا حنيفة وغيرهم سيتبرأون من «أهل السنة والجماعة» يوم القيامة ويقولون : ربنا لا تؤاخذنا بما فعل هؤلاء الذين لم نعرفهم ولم يعرفونا ، وما قلنا لهم يوماً بوجوب تقليدنا .

ولا أدري ماذا سيكون جواب «أهل السنة والجماعة» عندما يسألهم رب العالمين عن الثقلين؟ ثم يأتي عليهم بالرسول شهيداً ، وسوف لن يقدرُوا على دفع شهادته ، ولو تذرَعُوا بطاعة ساداتهم وكبرائهم .

وإذا سألهم : هل وجدتم في كتابي أو في سنة رسولي عهداً أو ميثاقاً أو حجة على اتباع المذاهب الأربعة؟؟

والجواب على هذا معروف ولا يتطلب مزيداً من العلم ، فليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله شيء من ذلك ، وإنما في كتاب الله وسنة رسوله أمر صريح بالتمسك بالعترة الطاهرة وعدم التخلف عنهم .

ولعلمهم سيقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (السجدة: 12) وسيكون الرد: كلا، تلك كلمة أنتم قائلوها.

وسيقول الرسول (ص): يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً، إنني أوصيتهم بعترتي وبلغتهم ما أمرتني به من مودة قرابتي، فنكثوا بيعتي وقطعوا رحمي، وذبحوا ولدي وأباحوا حرمي، فلا ترزقهم يا رب شفاعتي.

ومرة أخرى يتبين لنا بأن «أهل السنة والجماعة» لا تربطهم بالرسول صلة ولا مودة، فمن قارق العترة فقد فارق القرآن ومن فارق القرآن فلن تجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾ يا ويلتي ليتني لم أنخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾ (الفرقان: 27-29).

الخلفاء الراشدون عند الشيعة

هم الأئمة الاثنا عشر من العترة النبوية الطاهرة، أولهم :

* أمير المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وسيد المسلمين ويعسوب الدين أسد الله الغالب علي بن أبي طالب (عليه السلام) باب مدينة العلم الذي حَيَّرَ العقول وبهر النفوس وأثار القلوب ولولاه - بعد رسول الله (ص) - لما قام للدين عمود .

* والثاني هو الإمام أبو محمد الحسن بن علي (عليه السلام) سيد شباب أهل الجنة ربحانة النبي في هذه الأمة، العابد الزاهد الناصح الأمين .

* والثالث هو الإمام أبو عبدالله الحسين بن علي (عليه السلام) سيد شباب أهل الجنة وربحانة النبي في هذه الأمة، سيد الشهداء وذبيح كربلاء الذي بذل مهجته لإصلاح أمة جده .

* والرابع هو الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) وسيد الساجدين .

* والخامس هو الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) الذي بقر علوم الأولين والآخرين .

* والسادس هو الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) الذي ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفقه منه علماً وعملاً .

* والسابع هو الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) سليل النبوة ومعدن العلم .

* والثامن هو الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) الذي أوتي الحكمة في حال صباه .

* والتاسع هو الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام) إمام الجود والكرم والأخلاق .

* والعاشر هو الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) صاحب الفضل والهدى .

* والحادي عشر هو الإمام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) إمام الزهد والتقوى .

* والثاني عشر هو الإمام محمد بن الحسن المهدي (عليه السلام) الذي سيملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويصلي خلفه ابن مريم (عليه السلام) ويتم الله به نوره ويفرح به المؤمنون .

فهؤلاء هم أئمة الشيعة وعددهم اثنا عشر إماماً فإذا قيل : الشيعة الإمامية ، أو الاثنا عشرية ، أو الجعفرية كانوا هم المقصودين دون سواهم . فلم يقل أحد من الفرق الإسلامية بإمامتهم غيرهم .

وإذا تتبعنا الآيات القرآنية النازلة بخصوصهم والتي تبين فضلهم وشرف منزلتهم وطيب عنصرهم وطهارة نفوسهم وعظيم شأنهم ، كآية المودة وآية إذهاب الرجس والتطهير ، وآية المباهلة ، وآية الأبرار ، وآية الصلاة والتسليم ، وغيرها كثير .

وإذا تتبعنا الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في فضلهم وتقدمهم على الأمة وأعلميتهم وعصمتهم فإننا سنسلم قطعاً بإمامتهم وأنهم أمان الأمة من الضلالة وسبيلها الوحيد إلى الهداية .

وسيتبين لنا جلياً بأن الشيعة هم الفائزون لأنهم تمسكوا بحبل الله المتين وهو ولاؤهم واستمسكوا بالعروة الوثقى لا انفصام لها وهي مودتهم ، وركبوا سفينة النجاة وأمنوا من الغرق والهلاك .

ولذلك نحكم ونجزم بمزيد اليقين والمعرفة بأن الشيعة الإمامية هم أهل السنة المحمدية . ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ (ق : 22) .

صدق الله العلي العظيم

الخلفاء الراشدون عند أهل السنة والجماعة

هم الخلفاء الأربعة الذين اعتلوا منصة الخلافة بعد وفاة الرسول (ص) فأهل «السنة والجماعة» يقولون بأفضليتهم على حسب ترتيب خلافتهم وعلى سائر الخلق بعد النبي . هذا ما نسمعه اليوم ، وقد عرفنا في ما سبق من أبحاث بأن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم يكن معدوداً عندهم من الخلفاء العاديين فضلاً عن الراشدين ، وإنما ألحقه في ركب الخلفاء الإمام أحمد بن حنبل في زمن متأخر جداً ، وكان قبلها يُلعن على منابرهم في كل البلاد الإسلامية والإمبراطورية الأموية .

ولمزيد التحقيق وليطمنن القارئ إلى هذه الحقيقة المؤسفة لا بد من لفت نظره إلى ما يأتي :

قد قدمنا أن عبدالله بن عمر هو من أكابر فقهاء «أهل السنة والجماعة» وقد اعتمده مالك في موطأه ، والبخاري ومسلم في صحيحيهما ، وباقي المحدثين عن بكرة أبيهم .

فهذا الرجل كان من النواصب الكبار الذين عرفوا ب بغضهم الصريح لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ويحدثنا التاريخ أنه رفض البيعة لولي المؤمنين وأسرع يبايع الحجاج اللعين عدو الله ورسوله⁽¹⁾ .

(1) الحجاج بن يوسف الثقفي المعروف بفسقه وكفره وجرائمه واستهتاره بالدين ، أخرج الحاكم في المستدرک ج 3 ص 556 وابن عساکر ج 4 ص 69 أنّ الحجاج كان يقول : يزعم ابن مسعود أنّه يقرأ قرآنًا من عند الله ، والله ما هو إلا رجز من رجز الأعراب . وكان يقول : إتقوا الله ما استطعتم فليس فيها مشوبة ، =

وقد كشف عبدالله بن عمر عن مكنون قلبه وأباح بخالص سره، عندما حدّث بأنه لا يعد لعلي (عليه السلام) فضلاً ولا فضيلة ولا منقبة واحدة تجعله على الأقل في المرتبة الرابعة بعد عثمان بن عفان.

وقد عرفنا بأنه يفضل أبا بكر وعمر وعثمان فقط، أما عليّ (عليه السلام) فهو بالنسبة إليه من سوقة الناس إن لم يكن أقلهم عنده، وإليك حقيقة أخرى أخرجها المحدثون والمؤرّخون تعرب بصراحة عن نفسية ابن عمر الحاقدة والمبغضة لعلي ولكل الأئمة (عليهم السلام) من عترة النبي (ص) الطاهرة.

قال عبد الله بن عمر وهو يفسر حديث النبي (ص) في قوله: «الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش»، قال عبد الله بن عمر: يكون على هذه الأمة اثنا عشر خليفة وهم:

أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين، معاوية وابنه ملكا الأرض المقدسة، والسفاح، وسلام، ومنصور، وجابر، والمهدي، والأمين، وأمير العصب، كلهم من بني كعب بن لؤي، كلهم صالح لا يوجد مثله⁽¹⁾.

اقرأ واعجب أيها القارئ العزيز من هذا الفقيه المعظم عند «أهل السنة والجماعة» كيف يحرف الحقائق ويقلبها فيجعل معاوية وابنه يزيد، والسفاح من أفضل العباد، إذ يقول صراحة: كلهم صالح ولا يوجد مثله!

وقد أعمى بصره الحقد والجهل، كما أعمى بصيرته الحسد والبغض⁽²⁾ فلم يرَ لأُمير المؤمنين علي (عليه السلام) فضلاً ولا فضيلة فيقدم عليه معاوية الطليق وابنه يزيد الزنديق والمجرم السفاح، وما عشت أراك الدهر عجباً!

= واسمعوا وأطيعوا لأُمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فإتّها المثوبة.

كما أخرج ابن عقيل في كتاب النصائح الكافية ص 81 أنّ الحجاج خطب بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر النبي (ص) بالمدينة قال: تَبَّأَ لهم إِنّهم يطوفون بأعواد ورمّة بالية، هَلَّا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك؟ أَلَا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله.

(1) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 140 كنز العمال ج 6 ص 67 تاريخ ابن عساكر والذهبي.

(2) اقرأ ولا تنس قول الرسول (ص) الذي أخرجه البخاري ومسلم بأن حبّ علي بن أبي طالب إيمانٌ وبغضه نفاقٌ وأنّ المنافقين كانوا لا يُعرفون زمن النبي إلا ببغضهم لعلي.

فعبدا لله بن عمر هو ابن أبيه حقاً والشيء من مآتاه لا يستغرب وكل إناء بالذي فيه ينضح ، فأبوه عمل بكل جهوده لإبعاد عليّ (عليه السلام) عن الخلافة واحتقاره وانتقاصه في أعين الناس .

وهذا ابنه الحاقد البغيض ، ورغم وصول عليّ (عليه السلام) إلى الخلافة بعد مقتل عثمان إذ بايعه المهاجرون والأنصار ، نراه امتنع عن مبايعته وعمل بكل جهوده على إطفاء نوره وتأليب الناس عليه لإسقاطه فجعل يحدث ويوهم المسلمين بأن علياً (عليه السلام) لا فضل له وهو كسائر الناس العاديين .

وقد خدم عبدا لله بن عمر الدولة الأموية وتوج معاوية وابنه يزيد بتاج الخلافة كذباً وافتراءً على النبي (ص) واعترف بخلافة السفاح والمنصور وكل فساق بني أمية وقدّمهم على سيد المسلمين وولي المؤمنين بنص القرآن والسنة ولم يعترف بخلافته رغم وقوعها ، إن هذا الشيء عجيب !

ولنا مع ابن عمر لقاء آخر في بحث لاحق لنكشف الستار عنه أكثر . مع أن فيما قدمناه كفاية لإسقاطه من الاعتبار وتجريده من العدالة ، وعده في زمرة النواصب الذين أسسوا مذهب «أهل السنة والجماعة» وأصبح عندهم من أكبر الفقهاء والمحدثين .

وأنت إذا جبت الأرض شرقاً وغرباً وصلّيت في مساجد «أهل السنة والجماعة» قاطبة وتحدثت مع علمائهم فسوف يملأ سمعك قول أئمتهم في كل مناسبة : «عن عبدا لله بن عمر رضي الله عنهما» .

النبي (ص) لا يقبل تشريع «أهل السنة والجماعة»

عرفنا مما سبق بأن الشيعة اقتداءً بأئمة أهل البيت (عليهم السلام) لم يعملوا بالرأي ولا بالقياس بل حرّموا، وذلك لأن النصوص النبوية كانت هي القضائية والحاكمة عندهم، وقد توارثوها كابراً عن كابر، وقد جاء ذكر الصحيفة الجامعة وطولها سبعون ذراعاً وفيها كل ما يحتاجه المسلمون إلى قيام الساعة.

كما عرفنا أيضاً بأن «أهل السنة والجماعة» اضطروا للعمل بالرأي وبالقياس وذلك لعدم وجود النصوص النبوية عندهم وافتقارهم إليها، لأن كبراءهم وساداتهم رفضوها وأحرقوها ومنعوا من تدوينها وكتابتها.

وقد عمد أنصار الاجتهاد والقول بالرأي إلى وضع حديث على لسان رسول الله (ص) لتأييد مذهبهم وتلبيس الحق بالباطل، فقالوا بأن رسول الله (ص) بعث معاذ بن جبل إلى اليمن وسأله: كيف تقضي إذا عرض لك القضاء؟ فقال معاذ: أقضي بكتاب الله، فقال له النبي (ص): إن لم تجد في كتاب الله؟ قال: أقضي بسنة رسول الله (ص)، قال: إن لم تجد في سنة رسوله؟ فقال معاذ عند ذلك: إن لم أجد أجتهد برأيي.

فقال النبي (ص) عند ذلك: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله.

وهذا الحديث باطل ولا يمكن أن يصدر عن رسول الله (ص) فكيف يقول النبي لمعاذ: إن لم تجد في كتاب الله وسنة رسوله؟ والله يقول لرسوله: ﴿وَنَزَّلْنَا

عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴿ (النحل 89) . ويقول : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ (الأنعام : 38) وكذلك قوله : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (الحشر : 7) .

وقال أيضاً لرسوله : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾ (النساء : 105) .

فكيف يقول النبي (ص) بعد هذا لمعاذ : إن لم تجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ؟! وهل هذا إلا اعتراف بأن كتاب الله وسنة رسوله ناقصان ولم يبيّنا كل الأحكام القضائية !

ولقائل أن يقول : ربما كان هذا الحديث لمعاذ بن جبل في بداية الدعوة ولم يكمل بعد نزول القرآن .

قلنا : لا يصحُّ ذلك ، أولاً : لقول معاذ : أحكم بكتاب الله . فدلّ على أن كتاب الله كاملٌ عندهم .

وإذا أضفنا إليه قوله : أقضي بسنة رسوله ، علمنا بما لا شك فيه بأن الحديث وُضع في زمن متأخر جداً عندما كُثِرَ القول بالاجتهاد مقابل النصوص ، لأن مصطلح كتاب الله وسنة رسوله كان يستعمل دائماً فيما بعد النبي (ص) .

ولا يصح ثانياً لأنه يصبح حجة لكل من جهل أحكام الله ورسوله (ص) بأن يقضي برأيه بما شاء ولا يكلف نفسه معرفة النصوص .

ولا يصح ثالثاً لقول الله سبحانه : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ (المائدة : 44 - 45 - 47) .

ولا يصح رابعاً لأن الذي يجهل الأحكام لا يحق له القضاء ولا الإفتاء حتى يعرف حكم الله ورسوله في ذلك .

وإذا كان النبي نفسه وهو رسول الله وقد أعطاه الله سبحانه حق التشريع للأمة فقال : ﴿ ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ (الأحزاب : 36) ، ومع ذلك فإنه لم يعمل طيلة حياته ولم

يحكم في قضية واحدة برأي ولا بقياس ، ولا باجتهاد ، بل كان دائماً يتبع النصوص الإلهية التي ينزل بها جبريل (عليه السلام) كلما دعت الحاجة لذلك ، والروايات التي تخالف هذا الواقع كلها موضوعة .

ولزيد الاطمئنان بما قدمناه ، إليك الدليل من صحاح «أهل السنة» أخرج البخاري في صحيحه قوله :

«ما كان النبي (ص) يُسأل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول : لا أدري أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي ، ولم يقل برأي ولا قياس لقوله تعالى : ﴿بما أراك الله﴾ (النساء : 501)⁽¹⁾ .

نعم هذا هو رب العالمين وأحكم الحاكمين يقول لرسوله : ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله . . .﴾ (المائدة : 48) .

نعم هذا هو القرآن يقول لمحمد (ص) : ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله . . .﴾ (النساء : 105) .

وإذا كان النبي (ص) لا يعمل برأي ولا بقياس بشهادتهم في صحاحهم ، فكيف تسنى لهم أن يعملوا بذلك؟! وكيف يخالفون أحكام الله وسنة رسوله ثم يقولون بأنهم «أهل السنة» إنه حقاً أمر عجيب وغريب .

(1) صحيح البخاري ج 8 ص 148 من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (النساء / 105) .

تنبيه لا بد منه

إذا تكلمنا في الفصول القادمة عن «أهل السنة والجماعة» فإننا لا نقصد بهم المسلمين المعاصرين فقد لاحظنا في عديد الفقرات بأن هؤلاء أبرياء وليس لهم في ما اقترفه السلف من ذنب ولا إثم وقلنا بأنهم ضحايا الدس والتعتيم التاريخي الذي صاغه الأمويون والعباسيون وأذناهم لمحق السنة النبوية وإرجاع الأمر إلى الجاهلية.

ولقد كنا منهم نسير في ركبهم ونهتدي بهديهم فمن الله علينا وهدانا إلى سفينة النجاة، وليس لنا إلا التضرع والابتهاال إليه سبحانه أن يهدي لذلك كل الأمة الإسلامية حتى لا يبقى إلا الحق.

ولقائل أن يقول: إن تناول الصحابة بهذا النقد والتجريح يخدش شعور الأغلبية من المسلمين الذين يعتقدون بعدالتهم جميعاً ويعتبرونهم أفضل الخلق بعد النبي (ص) فنقول بأن المسلمين مُطالبون بالاعتقاد في الله وفي رسوله والعمل بما افترضاه والوقوف عند الحدود التي رسماها، ويتوقف نجات المسلمين بما فيهم الصحابة على ذلك، فمن خرج عن ذلك مصيره إلى النار ولو كان عم النبي (ص) أو ولده.

وإن تناول البعض من الصحابة بالنقد والتجريح فرضته الأحداث التاريخية التي تفاعلوا معها واختلفوا وكانوا سبب اختلاف الأمة ورزيتها.

عداوة «أهل السنة» لأهل البيت تكشف عن هويتهم

إن الباحث يقف مبهوراً عندما تصدمه حقيقة «أهل السنة والجماعة» ويعرف بأنهم كانوا أعداء العترة الطاهرة، يقتدون بمن حاربهم ولعنهم وعمل على قتلهم ومحو آثارهم.

ولذلك تجد «أهل السنة والجماعة» يوثقون المحدثين إذا كانوا من الخوارج أو من النواصب العثمانية، ويتهمون ويوهنون المحدثين إذا كانوا من شيعة أهل البيت.

وإنك تجد ذلك مذكوراً في كتبهم بصراحة عندما يحاولون تكذيب الأحاديث الصحيحة التي وردت في فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) ويوهنون راويها بقولهم: وفي سنده فلان وهو رافضي⁽¹⁾.

ويصححون الأحاديث المكذوبة التي وُضعت لتفضيل وتمجيد الخلفاء الآخرين، وإن كان راويها من النواصب، لأن النصب عندهم هو شدة وصلابة في السنة.

فهذا ابن حجر يقول عن عبدالله بن إدريس الأزدي المعروف بالنصب: يقول: إنه صاحب سنة وجماعة وكان صلباً في السنة وكان عثمانياً⁽²⁾.

ويقول في عبدالله بن عون البصري: إنه موثق وله عبادة وصلابة في السنة،

(1) رافضي بمعنى يشيع لعلي ويرفض خلافة الذين تقدموه.

(2) تهذيب التهذيب لابن حجر ج 5 ص 145 وكذلك ج 1 ص 82.

وشدة على أهل البدع ، قال ابن سعد : وكان عبد الله بن عون البصري
عثمانياً⁽¹⁾.

كما يقول في إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني المعروف ببغضه لعلي (عليه
السلام) : إنه كان حريزي المذهب أي على مذهب حريز بن عثمان الدمشقي
المعروف بالنصب⁽²⁾.

قال ابن حيان : إنه كان صلياً في السنة حافظاً للحديث .

وتجدر الإشارة هنا بأن هذا الناصبي الذي يمدحونه بالصلابة في السنة
وبحفظ الحديث ، كان يغتنم اجتماع المحدثين على بابهِ ، فيبعث بجارية له
ومعها دجاجة في يدها ، فتطوف في المدينة ، ثم تعود لتقول لسيدها الجوزجاني
بأنها لم تجد من يذبح لها الدجاجة ، فيصبح عند ذلك قائلاً : سبحان الله !!
فروجة لا يوجد من يذبحها وعليّ يذبح في صحوة من نهار نيفاً وعشرين ألف
مسلم !!

وبمثل هذا المكر والدهاء يحاول النواصب أعداء أهل البيت تحريف الناس
عن الحق وإضلالهم بمثل هذه الأراجيف الكاذبة حتى يملأوا قلوب المسلمين
وخصوصاً المحدثين منهم ، حقداً وبغضاً لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)
ويستبيحوا بذلك سبّه وشتمه ولعنه .

وإنك لتجد هذه الظاهرة موجودة إلى يوم الناس هذا فرغم ادعاء «أهل السنة
والجماعة» في زماننا بأنهم يحبون أهل البيت ويطرّضون عن سيدنا علي (كرم الله
وجهه) كما يقولون ، إلا أنك عندما تروي حديثاً فيه فضيلة لعلي (عليه السلام)
تراهم يغمزون ويهزأون ، ويرمونك بالتشيع وقول البدع والغلو في الدين .

(1) المعروف أنّ العثمانيين هم النواصب الذين يكرّون عليّاً ويّتهمونه بقتل عثمان وعلى رأسهم معاوية بن

أبي سفيان ابن عمّ عثمان ، فهو رئيسهم وزعيمهم .

(2) النواصب هم أعداء علي وأهل بيته من الخوارج والقاسطين والنّاكثين والذين ناصبوا له العداء
وحاربوه ، وبعد استشهاده عملوا على سبّه ولعنه .

وعندما تحدّث عن الخلفاء أبي بكر وعمر وكل الصحابة بدون استثناء وتقول في فضلهم ما شئت وتغالي في ذلك ، فإنهم يطمنون إليك ويستأنسون بحديثك ويقدموك على أنك كثير العلم واسع الاطلاع .

إنها بالضبط عقيدة سلفهم «الصالح» ، فقد نقل المؤرّخون بأن الإمام أحمد ابن حنبل كان يضعّف من أهل الحديث كل من يتقصّ أبا بكر أو عمر أو عثمان ، بينما كان يكرم إبراهيم الجوزجاني الناصبي المتقدم ذكره إكراماً شديداً ، ويراسله ويقراً كتبه على المنبر ويحتج بها .

وإذا كان هذا حال أحمد بن حنبل الذي فرض على معاصريه القول بخلافة عليّ (عليه السلام) وربّع بها ، فلا تسأل عن الآخرين الذين لم يعترفوا له بفضيلة واحدة أو الذين سبّوه ولعنوه على المنابر في الجمعة والأعياد .

وهذا الدارقطني يقول : كان ابن قتيبة متكلم أهل السنة يميل إلى التشبيه ، منحرف عن العترة⁽¹⁾ .

وبهذا يتبين بأن أغلب «أهل السنة والجماعة» كانوا منحرفين عن عترة الرسول (ص) .

وهذا المتوكل الذي لقّبه أهل الحديث بـ «محيي السنة» والذي كان يكرم أحمد ابن حنبل ويعظّمه ويطيع أوامره في تنصيب القضاة ، كان من أكبر النواصب لعلي ولأهل البيت (عليهم السلام) حتى وصل به الحقد إلى نبش قبر الحسين بن علي ومنع من زيارته ، وقتل من يتسمّى بعلي . وذكره الخوارزمي في رسائله وقال بأنه كان لا يعطي مالاً ولا يبذل نوالاً إلا لمن شتم آل أبي طالب (عليهم السلام) ونصر مذهب النواصب⁽²⁾ .

وغني عن التعريف بأن مذهب النواصب هو مذهب «أهل السنة والجماعة» فناصر مذهب النواصب المتوكل هو نفسه «محيي السنة» فافهم .

(1) لسان الميزان للذهبي ج 3 ص 357 .

(2) رسائل الخوارزمي ص 135 .

وهذا ابن كثير يحدثنا في البداية والنهاية بأن «أهل السنة والجماعة» عندما سمعوا الأعمش يروي حديث الطير المشوي الذي فيه فضيلة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أخرجوه من المسجد وغسلوا مكانه⁽¹⁾.

كما أنهم حاولوا منع دفن الإمام محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير الكبير والمؤرخ العظيم لا شيء إلا لأنه صحَّح حديث غدير خم «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» وجمع رواياته من طرق متعددة، بلغت حد التواتر.

قال ابن كثير: وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلدين ضخمين، وكتاباً جمع فيه حديث الطير المشوي⁽²⁾، وذكره أيضاً ابن حجر في لسان الميزان فقال: هو الإمام الجليل والمفسر، ثقة، صادق، فيه تشيع يسير وموالة لا تضر⁽³⁾.

وهذا المحدث الكبير الإمام النسائي وهو صاحب أحد الصحاح الست عند «أهل السنة»، عندما كتب كتاب الفضائل في أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)، سألوه عن فضائل معاوية، فقال: لا أعرف له فضيلة إلا لا أشبع الله بطنه، فضربوه على مذاكيره حتى غشي عليه ونُقل ومات من ذلك.

كما يحدثنا ابن كثير في تاريخه عن حوادث سنة 363 التي وقعت في بغداد بين الشيعة و«أهل السنة والجماعة» بمناسبة يوم عاشوراء، قال:

إن جماعة من «أهل السنة» أركبوا امرأة سموها عائشة وتسمى بعضهم بطلحة، وبعضهم بالزبير، وقالوا: نقاتل أصحاب عليّ (عليه السلام)، فقتل بسبب ذلك خلق كثير⁽⁴⁾.

وهذا بالضبط ما يقع اليوم في الهند فإن «أهل السنة والجماعة» يهجمون على الشيعة في يوم عاشوراء ليمنعوا من موكب التعزية فيُقتل بسبب ذلك خلق كثير من المسلمين الأبرياء.

(1) ابن كثير في كتاب البداية والنهاية ج 11 ص 147.

(2) البداية والنهاية لابن كثير ج 11 ص 147.

(3) لسان الميزان لابن حجر في ترجمة ابن جرير الطبري.

(4) البداية والنهاية لابن كثير ج 11 ص 275.

وبعد هذا العرض يتبين لنا بوضوح بأن النواصب الذين عادوا علياً (عليه السلام) وحاربوا أهل البيت (عليهم السلام)، هم الذين سمو أنفسهم بـ«أهل السنة والجماعة»، وقد عرفنا ماذا يقصدون بالسنة وماذا يقصدون بالجماعة.

ومن البديهي أن من كان عدواً لعتره الرسول (ص) فهو عدو لجدهم رسول الله، ومن كان عدواً لرسول الله (ص) فهو عدو لله.

ومن البديهي أيضاً أن عدو الله ورسوله وأهل بيته ليس هو من عباد الرحمن وليس هو من أهل السنة، إلا أن تكون سنة الشيطان هي المقصودة.

أما سنة الرحمان فهي مودة الله ورسوله وأهل البيت وموالاتهم والسير على هديهم، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: 23).

فأين معاوية من عليّ وأين أئمة الضلال من أئمة الهدى، وأين «أهل السنة والجماعة» من الشيعة الأبرار؟

﴿هذا بيانٌ للناسٍ وهدىٌ وموعظةٌ للمتقين﴾ (آل عمران: 138).

صدق الله العلي العظيم

تحريف أهل السنة والجماعة كيفية الصلاة على محمد وآله

تمنَّ - رعاك الله- في هذا الفصل فإنك ستعرف خفايا «أهل السنة والجماعة» إلى أي مدى وصل بهم الحقد على عترة النبي (ص) فلم يتركوا شيئاً من فضائل أهل البيت (عليهم السلام) إلا وحرّفوه .

من ذلك ، الصلاة على محمد وآل محمد التي نزل بها القرآن الكريم ، فقد أخرج البخاري ومسلم وكل المحدثين من «أهل السنة والجماعة» بأن الصحابة جاؤوا إلى النبي (ص) عندما نزل قول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب : 56) . فقالوا : يا رسول الله ، عرفنا كيف نسلم عليك ، ولم نعرف كيف نصلي عليك ؟!

فقال النبي (ص) : قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد . . (1) .

وزاد بعضهم قوله (ص) : ولا تصلوا على الصلاة البتراء ، قالوا : وما الصلاة البتراء يا رسول الله ؟ قال : «أن تقولوا اللهم صل على محمد وتسكتوا ، وإن الله كامل لا يقبل إلا الكامل» .

مما حدا بالإمام الشافعي أن يقول ويصرّح بأن الذي لا يصلي على أهل البيت ، لا يقبل الله صلاته .

وفي سنن الدارقطني بسنده عن أبي مسعود الأنصاري قال : قال رسول الله

(1) صحيح البخاري ج 4 ص 118 .

(ص): من صلى صلاة لم يصل فيها عليّ ولا على أهل بيتي لم تقبل صلاته⁽¹⁾.

وأخرج ابن حجر في صواعقه قال: أخرج الديلمي أن النبي (ص) قال: الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد وأهل بيته⁽²⁾.

كما أخرج الطبراني في الأوسط عن عليّ (عليه السلام) قال: كل دعاء محجوب حتى يُصلى على محمد وآل محمد⁽³⁾.

وبعدما عرفنا من صحاح «أهل السنّة والجماعة» كيفية الصلاة على محمد وآل محمد وعرفنا أيضاً بأن الله لا يقبل صلاة عبد إذا لم يصل فيها على محمد وآل محمد، كما وأن دعاء المسلم محجوب حتى يصلي على محمد وآل محمد.

وإنها لعمري فضيلة عظيمة ومنقبة جليّة فضّلت أهل البيت على سائر البشر فيهم يتقرّب المسلم إلى ربه.

ولكن «أهل السنّة والجماعة» غاظهم أن يتركوا هذه الفضيلة لأهل البيت وأحسوا بخطورتها، إذ أن أبا بكر وعمر وعثمان وكل الصحابة مهما قيل فيهم من فضائل مكذوبة ومناقب مزعومة، فإنهم لا يبلغون هذه المنزلة ولا يطاولون هذه المنقبة لأنهم وبأجمعهم لا يقبل الله صلاتهم إذا لم يتقربوا إلى الله بالصلاة على عليّ بن أبي طالب بعد محمد لأنه سيد العترة كما لا يخفى.

فعمدوا إلى تحريفها بإضافة جزء من عندهم لم يأمر به رسول الله (ص) ليرفعوا بذلك مكانة أسيادهم من الصحابة، كما عمدوا على بترها من القرن الأول، فإذا ما كتبوا كتاباً تراه خالٍ من الصلاة الكاملة، وعند ذكرهم لاسم محمد أو النبي أو رسول الله يكتبون فقط، صلى الله عليه وسلم بدون ذكر آل محمد.

وإذا تكلمت اليوم مع أحدهم وقلت له: صل على محمد، فسيجيبك:

(1) سنن الدارقطني ص 136.

(2) الصواعق المحرقة لابن حجر ص 88.

(3) فيض القدير ج 5 ص 19 كنز العمال ج 1 ص 173.

صلى الله عليه وسلم بدون ذكر الآل حتى أن بعضهم يفلفلها لفاً ، فلا تسمع منه إلا (صلّ وسلم).

أما إذا سألت أي شيوعي عربي كان أو فارسي أن يصلي على محمد فسيقول : اللهم صلّ على محمد وآل محمد.

وقد جاء في كتب «أهل السنّة والجماعة» قول النبي (ص) : قولوا : اللهم صلّ على محمد وآل محمد بصيغة الحاضر والمستقبل وبصيغة الدعاء والطلب منه سبحانه .

ولكنهم مع ذلك يكتفون بعبارة صلى الله عليه وسلم بصيغة الماضي الإخباري وبدون ذكر الآل .

وقد حاول زعيم «أهل السنّة والجماعة» معاوية بن أبي سفيان أن يمحّو ذكر محمد من الأذان⁽¹⁾.

فلا غرابة أن يعمد أتباعه ومقلّدوه على بتر الصلاة وتحريفها ، ولو قدروا على حذفها لفعلوا ولكن هيهات هيهات .

وقد تسمع اليوم في كل منبر من منابرهم وبالأخص منابر الوهابية لا تسمع إلا الصلاة المحرفة ، فإما أنهم يصلون صلاة بترء وإذا ما اضطروا إلى إكمالها فإنهم عندئذ يزيدون عليها لفظاً : وعلى أصحابه أجمعين ، أو يقولون : وعلى أصحابه الطيبين الطاهرين ويحوّلون بذلك آية التطهير النازلة في أهل البيت إلى الصحابة ليموّهوا على عامة الناس بأن أهل البيت والصحابة في الفضل سواء .

وقد أخذوا علم التمرية والتحريف على فقيهم الأول ومرشدهم الكبير عبدالله بن عمر الذي عرفنا بغضه لأهل البيت .

فقد أخرج مالك في الموطأ أن عبدالله بن عمر كان يقف على قبر النبي فيصلّي على النبي وعلى أبي بكر وعلى عمر⁽²⁾.

(1) يراجع في ذلك كتاب «فاسألوا أهل الذكر» ص 46 .

(2) تنوير الحوالك في شرح موطأ مالك ج 1 ص 180 .

وأنت أيها الباحث إذا تأملت في الواقع فإنك لا تجد لهذه الزيادة من الصلاة على الصحابة أصلاً لا في الكتاب ولا في السنة النبوية، وإنما أمر الكتاب والسنة بالصلاة على محمد وآل محمد، والأمر هو موجه للصحابة قبل غيرهم من المكلفين.

وإنك لا تجد هذه الزيادة إلا عند «أهل السنة والجماعة» فكم لهم من بدعة في الدين ابتدعوها وسموها سنة وهم يريدون من ورائها طمس فضيلة أو ستر حقيقة. ﴿يريدون أن ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ (الصف: 8).

وبهذا يتبين لنا أيضاً من هم أهل السنة الحقيقيين من الأدعياء المزيفين.

أكاذيب تكشفها حقائق

نريد أن نبين في هذا الفصل لكل عاقل حر ترك التعصب ورفع الحجب والغشاة عن بصره وبصيرته ليصل إلى الهداية والحق .

فنقول له بأن كل أقطاب «أهل السنة والجماعة» وأئمتهم قد خالفوا صريح السنة النبوية ونبذوها وراء ظهورهم ، وتركوها عامدين طائعين .

فلا يغترونّ مسلم بما يسمعه هنا وهناك من مدح وإطراء مزيف ، لا يقوم على دليل واضح ولا برهان ساطع .

ونحن إذ نكشف عن هذه الحقائق لا نتقوّل عليهم ولا نزيد شيئاً على ما ذكروه هم أنفسهم في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم . وقد ذكرنا البعض من هذه الحقائق في كتبنا السابقة ، ومررنا عليها مرور الكرام ، ولا بأس بذكرها بشيء من التفصيل هنا حتى تشرق شمس الهداية وتبتدد سحب الضلال ويحلّ النور محلّ الظلام .

وقد قلنا فيما سبق بأن في الإعادة إفادة ، وإذا ما تكررت الأحداث بأساليب متعددة قد يستفيد منها القارئ أكثر ، لأن القراء قد يستهويهم أسلوب معين فيقرأونه بدون ملل ، وقد تعلمنا من القرآن الكريم هذا الأسلوب الحكيم فهو يقص علينا قصة موسى وعيسى (عليهما السلام) في العديد من السور وبأساليب متعددة يعضد بعضها بعضاً .

وسوف نأتي على ذكر الأئمة والأقطاب الذين يعتمدهم «أهل السنة

والجماعة» ويعتبرونهم قمة العلم والفقه ، ويقدمونهم على الأئمة الأطهار من آل بيت المصطفى المختار، مهملين بعض الصحابة الذين عرفوا لدى الخاص والعام من العلماء وغير العلماء بفسقهم وفجورهم وبعدهم عن روح الإسلام وأخلاقه، أمثال معاوية وابنه يزيد⁽¹⁾ وابن العاص وابن مروان وابن شعبة وغيرهم .

ولو جبت في بعض البلاد العربية والإسلامية لـ «أهل السنة والجماعة» فسوف تجد هؤلاء ذكراً وتعجيداً، وشوارع بأسمائهم وكتباً في عبقرياتهم وحسن سياستهم وصحة خلافتهم .

ومع ذلك فنحن لا نضيع الوقت في الكتابة عنهم وكشف عوراتهم فقد كفانا ذلك بعض الأحرار من المؤرخين والمفكرين .

ولكن سنتناول في هذا البحث أولئك الأئمة الذين اشتهروا بالصلاح والعدل والزهد والتقوى فكانوا عمدة «أهل السنة والجماعة» حتى نتعرف من قريب كيف أنهم غيروا سنة النبي (ص)، وأحدثوا في هذه الأمة البدع التي سببت الفرقة والضلالة، وحطمت ذلك البناء الشامخ الذي شيده رسول الله (ص) وقضى حياته كلها عملاً وجهاداً لصيانيته وتثييته .

وقد انتقيت من بين أقطاب «أهل السنة والجماعة» اثني عشر شخصية كان لها دور كبير في التأثير على سير الأحداث وتغيير معالم الدين والمساهمة في تفريق الأمة وتشتيتها .

(1) أخرج ابن سعد في طبقاته الكبرى ج 5 ص 47 عن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال : والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بحجارة من السماء ، إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات ، ويشرب الخمر ، ويدع الصلاة ، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليتُ الله فيه بلاءً حسناً .
نعم هذا هو يزيد الخمر والفجور الذي قتل ریحانة الرسول ومعه العترة كلهم وأباح مدينة الرسول ورغم ذلك فإنك تجد اليوم دولة إسلامية تكتب كتاباً عنوانه «حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية» .

أئمة «أهل السنة والجماعة» وأقطابهم

- 1 - أبو بكر بن أبي قحافة الخليفة الأول .
- 2 - عمر بن الخطاب الخليفة الثاني .
- 3 - عثمان بن عفان الخليفة الثالث .
- 4 - طلحة بن عبيد الله .
- 5 - الزبير بن العوّام .
- 6 - سعد بن أبي وقاص .
- 7 - عبد الرحمن بن عوف .
- 8 - عائشة بنت أبي بكر «أم المؤمنين» .
- 9 - خالد بن الوليد .
- 10 - أبو هريرة الدّوسي .
- 11 - عبد الله بن عمر .
- 12 - عبد الله بن الزّبير .

فهؤلاء اثنا عشر شخصية اخترتهم من بين كثيرين من أقطاب «أهل السنة والجماعة» لكثرة ذكرهم وتمجيدهم والثناء عليهم أو لكثرة رواياتهم وغلزارة علمهم كما يزعمون .

وسوف نتناول بالبحث الموجز لكل واحد منهم ونبرز مخالفته للسنة النبوية إما عمداً أو جهلاً حتى يتبين للباحث بأن «أهل السنة والجماعة» يدعون ما ليس لهم ويتبعون أهواءهم زاعمين بأنهم على الحق وغيرهم على ضلال!

1- أبو بكر «الصدّيق»، ابن أبي قحافة

لقد وافينا في بعض الأبحاث السابقة من كتبنا بأنه جمع خمسمائة حديث للنبي (ص) أحرقتها بالنار، وخطب في الناس قائلاً: لا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم القرآن فأحلّوا حلاله وحرّموا حرامه.

وقد ذكرنا أيضاً بأنه خالف سنة النبي (ص) في كتابة الكتاب وأيد عمر في قوله: «إن رسول الله يهجرُ وحسبنا كتاب الله يكفينا».

كما ضرب بنصوص النبي في استخلاف علي عرض الجدار واغتصب الخلافة.

كما ترك سنة النبي (ص) في تأمير أسامة عليه وسيره في جيشه.

كما ترك سنة النبي (ص) في إيذاء بضعته الزهراء وتحدى غضبها.

كما ترك سنة النبي (ص) في حرب وقتل المسلمين الذين منعه الزكاة.

كما ترك سنة النبي (ص) في حرقه الفجاءة السلمي وقد نهى النبي عن ذلك.

كما ترك سنة النبي (ص) في منعه سهم المؤلفة قلوبهم واتبع رأي عمر.

كما ترك سنة النبي (ص) في استخلافه عمر على المسلمين دون مشورتهم.

نعم كلّ هذه المخالفات وغيرها لسنة النبي (ص) سجّلها صحاح «أهل السنة والجماعة» ومؤرّخوهم وطفحت بها كتب السير.

فإذا كانت السنة النبوية كما عرّفها العلماء: هي كلّ قول أو فعل أو إقرار لرسول الله (ص)، فقد خالف أبو بكر السنة بأجمعها من قول وفعل وتقرير.

* من القول مثلاً: قول النبي (ص): فاطمة بضعة مني من أغضبها فقد أغضبني ، وقد ماتت فاطمة وهي غاضبة عليه كما أخرج ذلك البخاري .

وقوله (ص): لعن الله من تخلف عن جيش أسامة ، قاله عندما طعنوا في تأميره أسامة ورفضوا الخروج معه والالتحاق بجيشه ، وقد تخلف أبو بكر رغم كل ذلك متذرعاً بالخلافة .

* ومن الفعل مثلاً: ما فعله رسول الله (ص) مع المؤلفات قلوبهم إذ عاملهم بالحسنى وأعطاهم سهماً من الزكاة بأمر من الله تعالى .

ولكن أبا بكر حرّمهم من ذلك الحق الذي نص عليه القرآن وفعله النبي (ص) نزولاً على رغبة عمر بن الخطاب الذي قال لهم : لا حاجة لنا فيكم .

* ومن الإقرار مثلاً: ما أقره النبي (ص) من كتابة أحاديثه ونشرها بين الناس ، ولكن أبا بكر أحرقها ومنع من نشرها والتحدث بها .

أضف إلى ذلك أنه كان يجهل كثيراً من أحكام القرآن الكريم ، فقد سُئل عن الكلاله التي نزل بحكمها القرآن ، فقال : إني سأقول فيها برأيي فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأ فهو مني ومن الشيطان⁽¹⁾ .

كيف لا تعجب من خليفة المسلمين الذي يُسأل عن حكم الكلاله التي أوضحها الله في كتابه وبينها رسول الله (ص) في سنته ، فيترك الكتاب والسنة ويقول فيها برأيه ، ثم يعترف بأن الشيطان قد يستحوذ على رأيه ، وهذا ليس بغريب على خليفة المسلمين أبي بكر فقد قال غير مرة : إن لي شيطاناً يعتريني .

وقد قرّر علماء الإسلام بأن من قال في كتاب الله برأيه فقد كفر ، كما عرفنا بأن النبي (ص) ما كان يقول برأي ولا بقياس .

أضف إلى ذلك أنه كان يقول : « لا تحملوني على سنة نبيكم فإنّي لا أطيقها »

(1) تفسير الطبري وتفسير ابن كثير وتفسير الخازن وكذلك تفسير جلال الدين السيوطي في الجامع الكبير وكلهم في تفسير سورة النساء في قوله : « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله » .

فإذا كان أبو بكر لا يطبق سنة النبي (ص) فكيف يدّعي أتباعه وأنصاره أنهم «أهل السنة» .

ولعله لا يُطبقها لأنها تذكره بانحرافه وبُعدّه عن صاحب الرسالة، وإلا كيف تُفسّر قول الله تعالى: ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (الحج: 78) وقوله: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (البقرة: 185) وقوله ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ (البقرة: 286) وأخيراً قوله سبحانه وتعالى: ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (الحشر: 7) .

فقول أبي بكر بأنه لا يطبق سنة النبي هو رد على هذه الآيات وإذا كان أبو بكر الخليفة الأول بعد النبي لا يطبق سنته في ذلك العهد، فكيف يُطلب من مسلمي العصر الحاضر أن يقيموا حكم الله بكتابه وسنة نبيه؟!

على أننا وجدنا أبا بكر يُخالف السنة النبوية حتى في الأمور المسورة التي يقدر عليها فقراء الناس وجهالهم .

وقد ترك أبو بكر الأضحية التي كان رسول الله (ص) يفعلها ويؤكد عليها، وقد عرف كل المسلمين بأن الأضحية هي سنة مستحبة ومؤكدة، فكيف يتركها خليفة المسلمين؟!

قال الشافعي في كتاب الأم وغيره من المحدثين⁽¹⁾:

إنّ أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) كانا لا يُضحيان، كراهية أن يُقتدى بهما فيظنّ من رآهما أنّها واجبة .

إنّهُ تعليل باطل لا يقوم على دليل وكلّ الصحابة عرفوا من النبي (ص) أنّ الأضحية سنة وليست واجبة .

وعلى فرض أنّ الناس ظنّوا أنّها واجبة فماذا يترتّب عن ذلك، وقد رأينا عمر يبتدع صلاة التراويح وهي ليست سنة ولا واجبة بل إنّ النبي نهى عنها، ومع ذلك فأغلب «أهل السنة والجماعة» اليوم يظنون أنّها واجبة .

(1) البيهقي في سننه الكبرى ج 9 ص 265، جمع الجوامع للسيوطي ج 3 ص 45 .

ولعلّ أبا بكر وعمر بتركهم سنة النبي في الأضحية أرادوا أن يُوهما الناس بأن كل ما فعله رسول الله (ص) ليس بواجب ويمكن تركه وإهماله .

وبذلك يستقيم قولهم : حسبنا كتاب الله يكفيننا ، ويستقيم أيضاً قول أبي بكر: لا تحدّثوا عن النبي شيئاً وقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فأحلّوا حلاله وحرموا حرامه .

وعلى هذا لو حاجج رجل أبا بكر بالسنة النبوية في الأضحية مثلاً فسيكون جواب أبي بكر: لا تحدّثني عن النبي شيئاً، وأرني الأضحية في كتاب الله !

وبعد هذا يفهم الباحث لماذا بقيت سنة النبي (ص) عندهم مجهولة ومتروكة ، ولماذا بدّلوا أحكام الله ورسوله بأرائهم وقياسهم وما استحسنوه من أمور تنمّش وأهواءهم .

وهذه الأمثلة التي أخرجناها هي غيضٌ من فيضٍ لما فعله أبو بكر تجاه السنة النبوية الشريفة وما لقيت منه من إهانة وحرق وإهمال ولو شئنا لكتبنا في ذلك كتاباً مستقلاً .

فكيف يطمئنُّ المسلم إلى شخص هذا مبلغه من العلم وهذه علاقته بالسنة النبوية الشريفة ، وكيف يتسمّى أتباعه بـ «أهل السنة» ؟؟ !
فأهل السنة لا يهملونها ولا يحرقونها .

كلّا ، بل أهل السنة هم الذين يتبعونها ويقدمونها .

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفورٌ رحيم ﴾ * قل أطيعوا الله والرسول فإن تولّوا فإن الله لا يحبّ الكافرين ﴿
(آل عمران : 31 - 32) .

صدق الله العظيم

2- عمر بن الخطّاب «الفاروق»

عرفنا في أبحاث سابقة من كتبنا بأنّه كان بطل المعارضة للسنة النبوية الشريفة ، وأنّه الجريء الذي قال : إنّ رسول الله يهجر وحسبنا كتاب الله

يكفيننا، وحسب قول الرسول الذي لا ينطق عن الهوى، فإن عمر هو الذي تسبب في ضلالة من ضل في هذه الأمة⁽¹⁾.

وعرفنا بأنه عمل على إهانة الزهراء وإيذائها، فروعها وأدخل الرعب عليها وعلى صغارها عندما هجم على بيتها وهدد بحرقها.

وعرفنا بأنه عمل على جمع كل ما كُتب من السنة النبوية فأحرقها ومنع الناس من التحدث بأحاديث النبي (ص).

وقد خالف عمر سنة النبي في كل أدوار حياته وبمحضر النبي، كما خالف سنة النبي (ص) في تسييره ضمن جيش أسامة، ولم يخرج معه بدعوى إعانة أبي بكر على أعباء الخلافة.

كما خالف القرآن والسنة في منع سهم المؤلفلة قلوبهم.

كما خالف القرآن والسنة في متعة الحج وكذلك في متعة النساء.

كما خالف القرآن والسنة في الطلاق الثلاث فجعله طلاق واحدة.

كما خالف القرآن والسنة في فريضة التيمم وأسقط الصلاة عند فقد الماء.

كما خالف القرآن والسنة في عدم التجسس على المسلمين فابتدعه.

كما خالف القرآن والسنة في إسقاط فصل من الأذان وإيداله بفصل من عنده.

كما خالف القرآن والسنة في عدم إقامة الحد على خالد بن الوليد وكان يتوعده بذلك.

كما خالف السنة النبوية في النهي عن صلاة النافلة جماعة فابتدع التراويح.

كما خالف السنة النبوية في العطاء فابتدع المفاضلة وخلق الطبقية في الإسلام.

(1) دليل ذلك قول الرسول (ص): أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، وقول ابن عباس: لو كتب ذلك الكتاب ما اختلف من الأمة اثنان، ولما كان عمر هو الذي منع رسول الله من الكتابة واتهمه بالهجر كي لا يصر النبي على الكتابة، عرفنا بأنه تسبب في الضلالة وحرم الأمة الإسلامية من الهداية.

كما خالف السنة النبوية باختراعه مجلس الشورى وعهده لابن عوف .

والغريب أنك تجد «أهل السنة والجماعة» ينزلونه بعد كل هذا منزلة المعصومين ، ويقولون بأن العدل مات معه ، وبأنه لما وُضع في قبره وجاءه الملكان ليسألانه ، فصاح بهما عمر : «من ربكما؟» ويقولون بأنه الفاروق الذي فرق الله به الحق من الباطل .

أليس ذلك دليلاً على الاستهزاء والسخرية من بني أمية وحكامهم على الإسلام والمسلمين ، وبوضعهم أمثال هذه المناقب لشخص عُرف بالفظ الغليظ كما عُرف بمعارضته المستمرة للرسول⁽¹⁾ . فكان لسان حالهم يقول للمسلمين : لقد ولّى عهد محمد بها فيه ، وأقبل عهدنا نحن لنُشرع لكم من الدين ما نريد وما يعجبنا ، فها أنتم أصبحتم لنا عبيداً رغم أنوفكم ورغم نبيكم الذي فيه تعتقدون .

أليس هذا من قبيل ردّ الفعل والأخذ بالثأر لتعود زعامة قريش بقيادة بني أمية الذين حاربوا الإسلام ونبي الإسلام؟

وإذا كان عمر بن الخطاب يعمل على طمس السنن النبوية ويسخر منها ويعارضها حتى بحضور النبي نفسه ، فلا غرابة أن تُسلم له قريش قيادتها وتجعله زعيمها الأكبر ، لأنه أصبح بعد ظهور الإسلام لسانها الناطق وبطلها المعارض ، كما أصبح بعد وفاة النبي (ص) قوتها الضاربة وأملها العريض في تحقيق أحلامها وطموحاتها للوصول إلى السلطة وإرجاع عادات الجاهلية التي يعشقونها ومازالوا يحنون إليها .

وليس من قبيل الصدفة أن نجد عمر بن الخطاب يخالف السنة النبوية في خلافته ويعمل على تأخير مقام إبراهيم عن البيت إلى ما كان عليه أيام الجاهلية .

فقد أخرج ابن سعد في طبقاته وغيره من المؤرخين :

(1) أخرج مسلم في صحيحه ج 4 ص 59 أنّ ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعين فقال جابر بن عبد الله : فعلناهما مع رسول الله (ص) ثم نهانا عنها عمر فلم نعد لها .

إِنَّ النَّبِيَّ (ص) لما فتح مَكَّة أَلَصَقَ مقام إبراهيم بالبيت كما كان على عهد إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) لأنَّ العرب في الجاهلية أخرجوه إلى مكانه اليوم. فلما وليَّ عمر بن الخطَّاب آخره إلى موضعه الآن، وكان على عهد النَّبي وأبي بكر مُلصَقاً بالبيت⁽¹⁾.

فهل ترى بربِّك من مبرَّر لعمر بن الخطَّاب حتَّى يعمد فيُميِّت سنة النَّبي الذي أعاد ما فعله إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) فيُحيي عمر سنة الجاهلية ويُعيد بناء المقام كما كان على عهدهم؟

كيف لا تُقدِّمه قريش وكيف لا تروي في فضائله ما يتعدَّى الخيال، حتَّى أنَّ صاحبه أبا بكر الذي تقدَّمه في الخلافة لم يبلغ شأوهُ وكان في نزعه ضعفٌ حسب ما يرويه البخاري ولكن عمر أخذها منه فلم يُر عبقرياً يفري فريه.

وهذا نَزْرٌ يسيرٌ من بدعه التي أحدثها في الإسلام وهي مخالفة كلِّها لكتاب الله وسنة رسوله، ولو شئنا جمع البدع والأحكام التي قال فيها برأيه وحمل النَّاس عليها، لكتبنا في ذلك كتاباً مستقلاً، لولا توخي الاختصار.

ولقائل أن يقول: كيف خالف عمر بن الخطَّاب كتاب الله وسنة رسوله، والله تعالى يقول: ﴿ما كان للمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ (الاحزاب: 36)؟

وهذا ما يردِّده أكثر النَّاس اليوم وكأَنهم يكذبون ولا يصدِّقون أنَّ عمر بن الخطَّاب يفعل ذلك.

فنقول لهؤلاء: هذا ما أثبتَّ له أولياؤه وأتباعه من «أهل السنة والجماعة» الذين يُفضِّلونه على النَّبي من حيث لا يشعرون.

فإذا كان ما قيل فيه كذباً، فصحاحُهم كلِّها تسقُطُ عن الاعتبار ولا حجة لهم بعد ذلك على كل ما يعتقدون! على أنَّ جُلَّ الأحداث التاريخية كتبت في

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 204، وكذلك السيوطي في تاريخه لخلافة عمر بن الخطَّاب.

عهد دولة «أهل السنة والجماعة» الذين لا يُشكُّ في حبِّهم واحترامهم وتقديرهم لابن الخطَّاب .

وإذا كانت صحيحة وذلك هو الواقع الذي لا مفرَّ منه فعلى المسلمين اليوم أن يُراجعوا موقفهم ويُعيدوا النَّظر في كلِّ عقائدهم إن كانوا من «أهل السنة والجماعة» .

وإنك تجد أكثر المحقِّقين اليوم لما أُعيتهم الحيلة لردِّ مثل هذه الروايات والأحداث التاريخية التي أجمع عليها العلماء والمحدِّثون ، ولا يقدرّون على تكذيبها ، فتراهم يتأوَّلون ويلتمسون بعض الأعذار الواهية التي لا تقوم على دليل علمي ، والبعض منهم أخذ يعدّد بدعه ويقلبها مناقب من مفاخره التي يُشكر عليها .

وكأنَّ الله ورسوله ما كانا يعرفان مصلحة المسلمين وغفلا عن تلك البدع - أستغفر الله - ، فاكشفها عمر بن الخطَّاب فسنَّها لهم بعد وفاة رسول الله (ص) .

إنَّه بهتانٌ عظيم وكفرٌ صريح نعوذ بالله من خطل الآراء وزلل الأهواء ، وإذا كان عمر هو زعيم وإمام «أهل السنة والجماعة» فإني أبرأ إلى الله من تلك السنة وتلك الجماعة .

وأسأله سبحانه أن يُميتني على سنَّة خاتم النَّبين وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى منهاج أهل بيته الطَّيِّبين الطَّاهرين .

3- عثمان بن عفَّان «ذو النورين»

وهو الخليفة الثالث الذي وصل للخلافة بتدبير عمر بن الخطَّاب وعبد الرحمن بن عوف الذي أخذ عليه العهد والميثاق بأنَّ يحكِّمَ فيهم بكتاب الله وسنَّة رسوله وسنَّة الخليفين .

وأنا شخصيًّا أصبحتُ أشكُّ في الشرط الثاني الذي يتمثَّل في الحكم بسنَّة رسول الله (ص) .

لأنَّ عبد الرحمان بن عوف يعرف أكثر من غيره بأنَّ الخليفين أبا بكر وعمر لم يحكما بالسنة النبوية ، وإنما حكما باجتهادهما وآرائهما ، وأنَّ السنة النبوية على عهد الشيخين كادت تكون معدومة تماماً لولا وقوف الإمام علي على إحيائها كلما سمحت له الظروف بذلك .

وأغلب الظنَّ أنَّه اشترط على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بأنَّ يحكم فيهم بكتاب الله وسنة الشيخين ، فرفض علي هذا العرض قائلاً : لا أحكم إلا بكتاب الله وسنة رسوله ، فخسر الخلافة لأنَّه أراد إحياء سنة النبي (ص) وفاز بها عثمان لأنَّه قبل أن يواصل درب أبي بكر وعمر اللذين صرَّحا غير مرَّة بأنَّ لا حاجة بالسنة النبوية وإنما يكفي القرآن ليحللوا حلاله ويحرموا حرامه .

ويزيدنا يقيناً صحَّة ما ذهبنا إليه أنَّ عثمان بن عفَّان فهم من هذا الشرط أنَّ عليه أن يجتهد برأيه في الأحكام كما فعل صاحبه ، وهي السنة التي سنَّها الشيخان بعد النبي .

ولذلك نرى عثمان أطلق العنان لرأيه واجتهد أكثر من صاحبيه حتَّى أنكر عليه الصحابة ، وجاؤوا يلومون عبد الرحمان بن عوف قائلين له : هذا عمل يدريك !

ولمَّا كثرت المعارضة والإنكار على عثمان ، قام في الصحابة خطيباً فقال لهم : «لماذا لم تنكروا على عمر بن الخطاب اجتهاده ، ألاَّه كان يُخيفكم بدرته؟» .

وفي رواية ابن قتيبة : قام عثمان خطيباً على المنبر لما أنكر الناس عليه فقال : أما والله يا معشر المهاجرين والأنصار لقد عبتُم عليَّ أشياء ونقمتُم عليَّ أموراً ، قد أقررتُم لابن الخطاب مثلها ، ولكنَّه وقمكم وقمعكم ، ولم يجترئ أحدٌ يملأ بصره منه ولا يُشير بطرفه إليه ، أما والله لأنَّا أكثر من ابن الخطاب عدداً وأقرب ناصراً⁽¹⁾ .

واعتقد شخصياً بأنَّ الصحابة من المهاجرين والأنصار لم ينكروا على عثمان اجتهاده ، فقد ألفوا الاجتهاد وباركوه من أوَّل يوم ، ولكنَّهم أنكروا عليه لما عزلهم

(1) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج 8 ص 31 .

وولّى المناصب والولايات الفسّاق من بني عمومته وقرباته الذين كانوا بالأمس القريب حرباً على الإسلام والمسلمين .

وقد سكت المهاجرون والأنصار على أبي بكر وعمر لأنها أشركاهم في الحكم وأعطياهم المناصب التي فيها المال والجاه .

أما عثمان فإنه عزل أكثرهم وأعطى الأموال الطائلة إلى بني أميّة بغير حساب ، عند ذلك أنكروا عليه وأثاروا حوله الشبهات إلى أن قتلوه .

وهذه هي الحقيقة التي تنبأ بها رسول الله (ص) عندما قال لهم : «إني لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكنني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها» .

وقال الإمام علي (عليه السلام) :

«كأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى : ﴿تلك الدّار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ (القصص : 83) .

بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها» .

فهذا هو الواقع ، أما أن نعتقد بأنهم أنكروا عليه تغيير سنة النبي فهذا ممّا لا سبيل إليه ، ولأنهم لم ينكروا على أبي بكر وعمر ، فكيف ينكرونها عليه ، والمفروض أنّ عثمان بن عفّان أكثر عدداً وأقرب ناصراً من أبي بكر وعمر كما صرح هو نفسه بذلك ، لآته زعيم بني أميّة وبنو أميّة أقرب للنبي من تيم وعدي ، قبيلتي أبي بكر وعمر وأشدّ منهما قوة ونفوذاً وأشرف منهما حسباً ونسباً .

ولأنّ الصحابة لم ينكروا على أبي بكر وعمر ، بل كانوا يقتدون بسنّتهما ويتركون سنة النبي وهم يعلمون فلا يمكن أن يُنكروا على عثمان ما أفتروه لغيره .

والدليل أنّهم حضروا في كثير من المواقف التي غيّر فيها عثمان سنة النبي كإتمامه صلاة السفر ومنعه من التلبية وتركه التكبير في الصلاة ومنعه من التمتع في الحج ، فلم ينكر عليه غير علي بن أبي طالب كما سنعرّفه قريباً بحول الله .

والصحابة كانوا يعرفون سنة النبي ويعمدون على مخالفتها من أجل إرضاء الخليفة عثمان .

أخرج البيهقي في سننه الكبرى عن عبد الرحمان بن يزيد قال : كنا مع عبدالله بن مسعود فلما دخل مسجد منى ، قال : كم صلى أمير المؤمنين (يعني عثمان) قالوا : أربعاً ، فصلى أربعاً . قال : فقلنا : ألم نحدثنا أن النبي (ص) صلى ركعتين وأبأ بكر صلى ركعتين؟!!

فقال : بلى وأنا أحدثكموه الآن ، ولكن عثمان كان إماماً فما أخالفه والخلاف شر⁽¹⁾.

* إقرأ واعجب من هذا الصحابي وهو من أكابرهم عبدالله بن مسعود ، إذ يرى في خلاف عثمان شراً ، ويرى في خلاف رسول الله (ص) كل الخير.

أبعد هذا يقال : إنهم أنكروا عليه عندما ترك السنة النبوية؟!!

وروى سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد قال :

إعتل عثمان وهو بمنى ، فأتى عليّ فقبل له : صل بالناس .

فقال علي : إن شئتم ، ولكن أصلي لكم صلاة رسول الله (ص) يعني ركعتين!

فقالوا : لا إلا صلاة أمير المؤمنين عثمان أربعاً ، فأبى علي أن يصلي بهم⁽²⁾.

إقرأ واعجب من هؤلاء الصحابة وهم ألوف مؤلفة لأنهم كانوا بمنى في موسم الحج ، كيف يرفضون صراحة سنة رسول الله (ص) ولا يقبلون إلا بدعة عثمان! وإذا كان عبدالله بن مسعود يرى في خلاف عثمان شراً فيصلي أربعاً رغم أنه يروي عن النبي ركعتين فلعله فعل ذلك تقية خوفاً من هؤلاء الذين يعدّون بالآلاف والذين لا يقبلون إلا ما فعله عثمان ضاربين بالسنة النبوية عرض الجدار.

ولا تنس بعد كل هذا أن تصلي وتسلم على النبي وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي رفض أن يصلي بهم إلا صلاة رسول الله (ص) ، وقد أراد بذلك

(1) السنن الكبرى للبيهقي ج 3 ص 144 .

(2) المحلى لابن حزم ج 4 ص 270 .

إحياء السنّة النبوية التي خالفوها، ولم يخشَ عليٌّ في ذلك لومة لائم، ولا خاف من جموعهم ومؤامراتهم.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أنّ عبدالله بن عمر قال: الصلّاة في السّفر ركعتان من خالف السنّة فقد كفر⁽¹⁾.

وبهذا فقد كفر عبدالله بن عمر الخليفة عثمان وكلّ الصحابة الذين تابعوه على بدعة إتمام الصلّاة في السّفر، ومع ذلك فلنا عودة مع الفقيه عبدالله بن عمر لنحكم عليه بما حكم به على غيره.

كما أخرج البخاري في صحيحه قال: سمعتُ عثمان وعليّاً (رضي الله عنهما) بين مكّة والمدينة، وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما، فلما رأى ذلك عليٌّ أهلّ بهما جميعاً قائلاً: لبيك عمرة وحجّة معاً. فقال عثمان: تراني أنهى الناس عن شيء وتفعله أنت؟ فقال عليٌّ: لم أكن لأدع سنّة رسول الله (ص) لقول أحد من الناس⁽²⁾.

* ألا تعجب من خليفة المسلمين الذي يخالف صريح السنّة ولا يكتفي بذلك حتّى ينهى الناس عنها فلا ينكرُ عليه أحدٌ منهم إلا علي بن أبي طالب الذي لم يكن يدع سنّة رسول الله ولو قتل دون ذلك.

فقل لي بربك، هل تجذّ في أصحاب محمد من يمثل السنّة النبوية بحق وحقيقة غير أبي الحسن علي (عليه السّلام)؟

ورغم سطوة الحاكم وشدّته ورغم تأييد الصحابة له، فإنّ عليّاً لم يترك السنّة أبداً، وهذه كتبهم وصحاحهم تشهد على صدق ما ذهبنا إليه من أنّه (سلام الله عليه) قد حاول بكلّ جهوده إحياء السنّة النبوية وإرجاع الناس إلى أحضانها ولكن لا رأي لمن لا يُطاع، كما قال هو بنفسه.

فلم يكن في ذلك العصر من يُطيعه ويعمل بأقواله غير الشيعة الذين والّوه واتبعوه وانقطعوا إليه في كل شيء.

(1) البيهقي في سننه ج 3 ص 140 وكذلك الطبراني في المعجم الكبير والخصائص في أحكام القرآن ج 2 ص 310.

(2) صحيح البخاري ج 2 ص 151 باب التمتع والإقراء من كتاب الحج.

وبهذا يتبين لنا جلياً بأن الصحابة لم ينكروا على عثمان تغييره للسنة النبوية ، فقد عرفنا من صحاحهم كيف أنهم يُخالفون سنة النبي ولا يُخالفونه في بدعه ، ولكنهم ثارت ثائرتهم عليه من أجل الدنيا الدنيئة لكسب المال والجاه والسلطان .

وهم الذين حاربوا علياً دون هواة لأنه لم يؤلِّم المناصب وطالبهم أن يرجعوا الأموال التي جمعوها بغير حق إلى بيت مال المسلمين ليستفيد منها المساكين .

لك الله يا أبا الحسن ، يا من حافظت على كتاب ربك وسنة ابن عمك رسول الله (ص) وكنت إمام المتقين وناصر المستضعفين وكان شيعتك هم الفائزون إذ أنهم تمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله بالتفافهم حولك وانقطاعهم إليك .

فهل تُصدق أيها القارئ العزيز والباحث اللبيب بعد كل ما مرّ عليك من أبحاث بأن أتباع عثمان بن عفان هم أهل السنة ، وأتباع علي هم الروافض وأهل البدع؟

فاحكم بما أراك الله إن كنت من المنصفين .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا بِعَظْمِكُمْ بِهِ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾
(النساء : 58) .
صدق الله العلي العظيم

4- طلحة بن عبيد الله

إنه من كبار الصحابة المشهورين وهو أحد الستة الذين رشحهم عمر بن الخطاب للخلافة وقال فيه بأنه مؤمن الرضا كافر الغضب يوماً إنسان ويوماً شيطان ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة على زعم «أهل السنة والجماعة» .

وعندما نبحث عن شخصية هذا الرجل في كتب التاريخ يتبين لنا بأنه من عشاق الدنيا ، من الذين غرتهم وجرتهم وراءها فباعوا دينهم من أجلها وخسروا أنفسهم وما ربحت تجارتهم ويوم القيامة يندمون .

هذا طلحة الذي كان يؤدي رسول الله (ص) بقوله : إن مات رسول الله تزوجت عائشة فهي بنت عمي ، فبلغ رسول الله قوله فتأذى من ذلك .

ولما نزلت آية الحجاب واحتجب نساء النبي (ص) قال طلحة : أيجبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا من بعدنا؟ فإن حدث به حدث لنزوجن نساءه من بعده⁽¹⁾ .

ولما تأذى رسول الله من ذلك نزل قول الله تعالى :

﴿ . . . وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ﴾ (الأحزاب : 53) .

وهذا طلحة الذي دخل على أبي بكر قبل وفاته عندما كتب عهده بالخلافة لعمر بن الخطاب فقال له : ماذا تقول لربك إذ وليت علينا فظاً غليظاً؟ فشتمه أبو بكر بكلام بذيء⁽²⁾ .

ولكننا نجده بعد ذلك يسكت ويرضى بالخليفة الجديد ويصبح من أنصاره ويعمل على جمع الأموال وكسب العبيد خصوصاً بعد أن طمع في الخلافة واشترأت عنقه إليها بعد أن رشحه عمر بن الخطاب لها .

وطلحة هو الذي خذل الإمام علياً وانحاز في صف عثمان بن عفان لعلمه المسبق بأن الخلافة إذا آلت إلى علي فلا يبقى له فيها مطمع بعد ذلك ، وقد قال علي في ذلك : فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره ، مع هن وهن . . .

يقول الشيخ محمد عبده في شرحه : وكان طلحة ميالاً لعثمان لصلات بينهما على ما ذكره بعض رواة الأثر ، وقد يكفي في ميله إلى عثمان انحرافه عن علي لأنه تيمي وقد كان بين بني هاشم وبني تيم مواعد لمكان الخلافة في أبي بكر⁽³⁾ .

(1) تفسير ابن كثير وتفسير القرطبي وتفسير الألوسي وغيرهم كلهم ذكروا ذلك عن تفسير قوله سبحانه :

﴿ ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده . . . ﴾ .

(2) الإمامة والسياسة لابن قتيبة في باب وفاة أبي بكر واستخلافه عمر .

(3) محمد عبده في شرح نهج البلاغة ج 1 ص 88 من الخطبة الشقشقية .

لا شك بأن طلحة هو أحد الصحابة الذين حضروا بيعة الغدير وسمعوا قول النبي (ص): «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه».

ولا شك بأنه سمع رسول الله يقول: «عليّ مع الحق والحق مع علي» وحضر يوم خيبر عندما أعطاه الراية وقال بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ويعرف أيضاً بأن علياً هو للنبي بمنزلة هارون من موسى، ويعرف الكثير والكثير.

ولكن الحقد الدفين والحسد ملأ قلبه فلم يعد يرى إلا التعصب لقبيلته والانحياز إلى ابنة عمّه عائشة بنت أبي بكر التي كان يطمع في الزواج منها بعد النبي ولكن القرآن حال دون ذلك.

نعم لقد انضمّ طلحة إلى عثمان وبايعه بالخلافة لأنه كان يُعطيهِ الصّلات والهدايا، ولما اعتلى عثمان منصّة الخلافة أغدق على طلحة من أموال المسلمين بدون حساب⁽¹⁾، فكثرت أمواله ومواشيه وعبيده حتى بلغت غلته من العراق وحده كل يوم ألف دينار.

يقول ابن سعد في طبقاته: لما مات طلحة كانت تركته ثلاثين مليوناً من الدراهم، كان النقد منها مليونين ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار، وكان سائرها عروضاً وعقاراً⁽²⁾.

لكل ذلك طغى طلحة وتجبّر وبدأ يؤلّب على صديقه الحميم عثمان ليُطيح به ويأخذ مكانه.

ولعلّ عائشة أم المؤمنين أطمعته في الخلافة ومنته بها لأنها هي الأخرى عملت على إسقاط عثمان بكل جهودها، وكانت لا تشك في أنّ الخلافة ستؤول إلى ابن عمّها طلحة، ولما بلغها مقتل عثمان وأنّ الناس قد بايعوا طلحة فرحت فرحاً شديداً وقالت: «بعداً لنعل وسحقاً، إيه ذّا الإصبع إيه أبا شبل، إيه ابن عمّ لله أبوك أما إنهم وجدوا طلحة لها كفواً».

(1) ذكر الطبري وابن أبي الحديد وطه حسين في الفتنة الكبرى بأن طلحة كان قد اقترض من عثمان خمسين ألفاً، فقال له ذات يوم: قد تيّأ مالك فأرسل من يقبضه، فقال عثمان: هو لك يا أبا محمد معونة على مروءتك! ويقال إنّ عثمان وصل طلحة بمائتي ألف أيضاً.

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 858.

نعم هذا جزاء عثمان من طلحة ، بعدما أغناه غدر به من أجل الطمع في الخلافة وألب عليه الناس ، وكان من أشدّ المحرّضين عليه حتى منعه من شرب الماء أيام الحصار.

قال ابن أبي الحديد بأنّ عثمان كان يقول أيام الحصار:

ونيلي على ابن الحضرميّة «يعني طلحة» أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي ويحترض على نفسي ، اللهم لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه .

نعم هذا طلحة الذي انحاز لعثمان واختاره للخلافة من أجل إبعادها عن عليّ ، ولأنّ عثمان أعطاه الذهب والفضّة وها هو اليوم يؤلب عليه ويأمر الناس بقتله ويمنع دخول الماء إليه ، وعندما يأتون بجثته يمنع من دفنه في مقابر المسلمين فيدفن في «حش كوكب» كانت اليهود تدفن فيه موتاهم⁽¹⁾.

ثم بعد ذلك نرى طلحة أول من يُبايع الإمام علياً بعد مقتل عثمان ، ثم ينكث بيعته ويلتحق بعائشة ابنة عمّه في مكّة ، وينقلب فجأةً للمطالبة بدم عثمان ، سبحان الله ! هل يوجد بهتان أكبر من هذا؟!

بعض المؤرخين يُعلّل ذلك بأنّ علياً رفض أن يؤليه على الكوفة وما وراءها ، فنكث البيعة وخرج محارباً للإمام الذي بايعه بالأمس .

إنّها نفسيّة من غرق في الدنيا إلى أم رأسه ، وباع آخرته ولم يعد يُشغله غير المنصب والجاه والمال .

يقول طه حسين :

«فكان طلحة إذن يمثل نوعاً خاصّاً من المعارضة ، رضيّ ما أتاح الرضا له الثراء والمكانة ، فلما طمع في أكثر من ذلك عارض حتى أهلك وهلك⁽²⁾» .

هذا هو طلحة الذي بايع بالأمس الإمام علياً يخرج بعد أيام قليلة يجرّ حرم رسول الله عائشة إلى البصرة فيقتل الأبرياء وينهب الأموال ويثير الرعب في

(1) تاريخ الطبري والمدائني والواقدي في مقتل عثمان .

(2) الفتنة الكبرى طه حسين ج 1 ص 150 .

الناس حتى يشقوا عصا الطاعة لعلي ، ويقف بدون خجل يُحارب إمام زمانه الذي أعطاه عهد البيعة طائعاً مختاراً .

ومع ذلك فقد بعث إليه الإمام علي قبل المعركة ، فلقيه في الصف ، فسأله :
أما بايعتني ؟ ما الذي أخرجك يا طلحة ؟
قال : الطلب بدم عثمان .

قال علي : قتل الله أولانا بدم عثمان .

وفي رواية ابن عساكر ، قال له الإمام علي : أنشدك الله يا طلحة أسمعت رسول الله (ص) يقول : من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ؟

قال : نعم ، فقال له : فلم تُقاتلني ؟ !

وكان جوابه : الطلب بدم عثمان ، وكان ردّ علي : قتل الله أولانا بدم عثمان .
واستجاب الله دعوة علي فقتل طلحة في اليوم نفسه ، قتله مروان بن الحكم الذي جاء به طلحة لمحاربة علي .

إنه طلحة الفتنة والبهتان وتقلب الحقائق لا يراعي في ذلك إلا ولا ذمة ، ولا يفي بعهده ، ولا يسمع نداء الحق وقد ذكره به الإمام علي وأقام عليه بذلك الحجّة ، ولكنه أصرّ واستكبر وتمادى في غيّه فضلّ وأضلّ وقتل بسبب فتنته خلق كثير من الأبرياء لم يشاركوا في مقتل عثمان ولا عرفوه مدة حياتهم ولا خرجوا من البصرة .

نقل ابن أبي الحديد أنّه لما نزل طلحة البصرة أتاه عبدالله بن الحكيم التميمي لكتب كان كتبها إليه فقال لطلحة :

«يا أبا محمد أما هذه كتبك إلينا؟ قال : بلى .

قال : فكتبت أمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله ، حتّى إذا قتلته أتيتنا نائراً بدمه ، فلعمري ما هذا رأيك ، إنك لا تريد إلا هذه الدنيا ، مهلاً إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من علي ما عرض عليك من البيعة فبايعته طائعاً راضياً ثم

نكثت بيعتك ، ثم جئت لتدخلنا في فتنك⁽¹⁾.

نعم هذه هي حقيقة طلحة بن عبيد الله عارية كما ذكرها أصحاب السنن والتواريخ من «أهل السنة والجماعة» وبعد كل هذا فهم يقولون بأنه من العشرة المبشرين بالجنة .

ويحسبون أن الجنة هي فندق هيلتون يدخلها أصحاب الملايين والسماسرة من رجال الأعمال فيلتقي فيها القاتل والمقتول والظالم والمظلوم ويلتقي فيها المؤمن والفاسق والبر والفاجر .

﴿أُطْمَعُ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ (المعارج : 38) . ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (ص : 28) ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (السجدة : 18) .

﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نَزْلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُم النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ (السجدة : 19 - 20) .

5- الزبير بن العوام

هو أيضاً من كبار الصحابة ومن المهاجرين الأولين وله قرابة قريبة من رسول الله (ص) ، فهو ابن صفيّة بنت عبد المطلب عمّة النبي .

وهو أيضاً زوج أسماء بنت أبي بكر أخت عائشة . وهو أحد الستة الذين رشحهم عمر بن الخطاب للخلافة⁽²⁾ .

(1) شرح ابن أبي الحديد المعتزلي ج 2 ص 500 .

(2) لقد ابتكر عمر بن الخطاب هذه الفكرة وهي من الذكاء بمكان ، وذلك ليخلق معارضين لعلي ومنافسين له ، لأنّ الصحابة كلّهم كانوا على علم تام بأن الخلافة هي من حق علي وإنما اغتصبها قريش اغتصاباً ، ولما حاجبتهم فاطمة الزهراء قالوا لها : لو سبق إلينا زوجك وابن عمك ما عدلنا به أحداً ، فما رضي عمر بن الخطاب أن تعود الخلافة بعد موته لصاحبها الشرعي فخلق له منافسين بهذه الطريقة فطمع كلّ منهم بالخلافة وحذّتهم أنفسهم بالرئاسة فباعوا دينهم بدنياهم فما ربحتم نجارتهم .

وهو أيضاً من المبشرين بالجنة على ما يقول «أهل السنة والجماعة» .
ولا غرابة أن نجده دائماً صحبة شبيهه طلحة فلا يذكر طلحة إلا ومعه الزبير
ولا الزبير إلا ومعه طلحة .

وهو أيضاً من الذين تنافسوا في الدنيا وملأوا منها البطون ، فقد بلغت تركته
حسباً يذكره الطبري ، خمسين ألف دينار وألف فرس وألف عبد وضياعاً كثيرة
في البصرة وفي الكوفة وفي مصر وغيرها .
يقول طه حسين في ذلك :

«والناس يختلفون في مقدار ما قُسم على الورثة من تركة الزبير، فالمُقلِّون
يقولون: إنّ الورثة اقتسموا فيما بينهم خمسة وثلاثين مليوناً، والمُكثِّرون يقولون:
إنّهم اقتسموا اثنين وخمسين مليوناً، والمعتدلون يقولون: إنّهم اقتسموا أربعين
مليوناً» .

ولا غرابة في ذلك فقد كانت للزبير خطط في الفسطاط وخطط في
الإسكندرية وخطط في البصرة وخطط في الكوفة وإحدى عشرة داراً في المدينة
وكانت له بعد ذلك غلات وعروض أخرى⁽¹⁾ .

أما البخاري فيروي أنه خلف في تركته خمسين ألف ألف ومائتي ألف⁽²⁾ .

ونحن لا نقصد من هذا العرض محاسبة الصحابة عما اكتسبوه من عروض
وما جمعوه من أموال قد تكون كلّها من حلال ، ولكن عندما نرى حرص
الرجلين طلحة والزبير على الدنيا ونعلم بأنهما نكثا بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب لأنّه عزم على إرجاع الأموال التي اقتطعها عثمان إلى بيت مال المسلمين
عند ذلك نشكّ في أمر الرجلين .

أضف إلى ذلك أنّ الإمام علياً عندما تولّى الخلافة بادر بإرجاع الناس إلى
السنة النبوية وأوّل شيء فعله هو توزيع بيت المال فأعطى لكل واحد من
المسلمين ثلاثة دنانير سواء كان عربياً أم أعجمياً وهو ما فعله النبي (ص) طيلة

(1) الفتنة الكبرى لطف حسين ج 1 ص 147 .

(2) صحيح البخاري ج 4 ص 53 باب فرض الخمس باب بركة الغازي في ماله حياً وميتاً .

حياته ، وأبطل علي بذلك بدعة عمر بن الخطاب الذي فضّل العربي على الأعجمي فأعطى للعربي ضعف الأعجمي .

ويكفي علي بن أبي طالب أن يعود بالنّاس إلى السنّة النبوية حتى يثور عليه الصّحابة الذين أعجبوا بها ابتدعه عمر .

وهذا أمرٌ أغفلناه في تعليل محبة قريش وتقديسها لعمر وقد فضّلها على باقي المسلمين وبعث فيهم نكرة القومية العربية والقبلية القرشية والطبقية البورجوازية .

فكيف يأتي علي بعد ربع قرن من وفاة النبي ليعود بقريش إلى ما كانت عليه زمن النبي الذي سوى في العطاء فكان بلال الحبشي يقبض كالعبّاس عم النبي ، وقد كانت قريش منكرة على رسول الله (ص) تلك المساواة ، وقد نجد خلال تصفّح السيرة بأنهم كانوا يُعارضونه في أغلب الأوقات من أجل ذلك .

ومن أجل ذلك أيضاً ثارت ثورة طلحة والزبير على أمير المؤمنين علي لأنّه ساوى بينهم في العطاء ولم يعطهم ما طلبوا من الإمارة ، ثم هو يريد محاسبتهم على الأموال التي جمعوها ليعود بالأموال المسروقة إلى الشعب المستضعف .

والمهم أن نعرف بأنّ الزبير عندما يتسأن أن يولّيه علي على البصرة وأن يفضّله على غيره وخاف أن يُحاسبه الخليفة الجديد على ثروته الخيالية ، جاء مع صاحبه طلحة يستأذنان علياً في الخروج إلى العمرة ، وعرف علي نواياهما المبيتة فقال :
«والله ما أرادا العمرة ولكنهما أرادا الغدرة» .

والتحقّ الزبير هو الآخر بعائشة بنت أبي بكر فهي أخت زوجته ، وأخرجها هو وطلحة صوب البصرة ولما نبحتها كلاب الحوآب وأرادت الرجوع جاؤوها بخمسين رجلاً جعلوا لهم جعلاً وشهدوا ذوداً لكي تواصل أم المؤمنين عصيانها لربها ولزوجها وتسير معهم إلى البصرة ، لأنهم عرفوا بدهائهم بأن تأثيرها في الناس أكبر من تأثيرهم ، فقد أوعزوا طيلة ربع قرن وأوهمو الناس بأنها حبيبة رسول الله وابنة الصديق الحميراء التي عندها نصف الدين والعجيب في أمر الزبير أنّه هو الآخر خرج للطلب بدم عثمان كما يدّعي ، وقد اتهمه صلحاء الصحابة بأنه هو الذي عمل على قتله .

فقد قال له الإمام علي عند مُقابلته له في ساحة المعركة: أتطلب مني دم عثمان وأنت قتلتَه؟⁽¹⁾

وفي لفظ المسعودي قال له: ويحك يا زبير ما الذي أخرجك؟ قال: أطلب بدم عثمان، قال علي: قتل الله أولانا بدم عثمان.

كما أخرج الحاكم في المستدرک، قال: جاء طلحة والزبير إلى البصرة فقال لهم الناس: ما جاء بكم؟ قالوا: نطلب بدم عثمان، فقال الحسين: أيا سبحان الله، أفما كان للقوم عقول فيقولون والله ما قتل عثمان غيركم.

لقد فعل الزبير مثل صاحبه طلحة، غدر بعثمان وحرّض على قتله، ثم بايع الإمام علياً طائعاً ونكث البيعة والعهد وجاء إلى البصرة يطلب هو الآخر بدم عثمان!

ولما دخل البصرة شارك بنفسه في تلك الجرائم فقتلوا أكثر من سبعين رجلاً من حراسه ونهبوا بيت المال يقول المؤرخون بأنهم كتبوا كتاب هدنة مع عثمان بن حنيف (والي البصرة) وتعاهدوا على احترامه حتى يقدم علي.

ثم خانوا العهد والميثاق وهجموا على عثمان بن حنيف وهو يصلي بالناس صلاة العشاء، فكتفوههم وقتلوهم وأرادوا قتل عثمان بن حنيف والي علي فخافوا أن يسمع أخوه سهل بن حنيف والي المدينة فينتقم من أهلهم، فضربوه ضرباً شديداً ومنتفوا لحيته وشاربيه، ثم هجموا على بيت المال فقتلوا من حراسه أربعين رجلاً وحبسوا عثمان وأسرفوا في تعذيبه.

يقول طه حسين في شأن هذه الخيانة ويقصد طلحة والزبير:

«لم يكتف هؤلاء القوم بنكث البيعة التي أعطوها علياً وإنما أضافوا إليها نكث الهدنة التي اصطَلَحوا عليها مع عثمان بن حنيف، وقتلوا من قتلوا من أهل البصرة الذين أنكروا نقض الهدنة وحبس الأمير، وغصب ما في بيت المال وقتل من قتلوا من حراسه»⁽²⁾.

(1) تاريخ الطبري ج 5 ص 204. الكامل لابن الأثير ج 3 ص 102.

(2) الفتنة الكبرى لطلح حسين ج 2 ص 37.

ولمّا أقبل علي إلى البصرة لم يقاتلهم ، بل دعاهم إلى كتاب الله فرفضوا وقتلوا من حمل إليهم القرآن ومع ذلك فقد ناداه الإمام هو الآخر وذكره كما فعل مع طلحة ، إذ قال له :

«يا زبير أتذكر يوم مررت مع رسول الله (ص) في بني غنم فنظر إلي فضحك وضحكت إليه ، فقلت : لا يدع ابن أبي طالب زهو ، فقال لك رسول الله (ص) : صه ، إنه ليس به زهو ولتقاتلنه وأنت له ظالم» (1) .

وذكر ابن أبي الحديد خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول فيها :
«اللهم إنّ الزبير قطع رحمي ونكت بيعتي وظاهر علي عدوي فاكفنيه اليوم بما شئت» (2) .

وقد جاء في نهج البلاغة للإمام علي قوله في طلحة والزبير : «اللهم إنّهما قطعاني وظلماني ، ونكثا بيعتي وألبا الناس عليّ فاحلل ما عقدا ، ولا تحكم لهما ما أبرما ، وأرهما المساءة فيما أملا وعملا ، ولقد استبتهما قبل القتال واستأنيتُ بهما أمام الوقاع ، فغمط النعمة وردا العافية» (3) .

وفي رسالة منه بعث بها إليهما قبل بدء القتال جاء فيها : فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما فإن الآن أعظم أمركما العار من قبل أن يجتمع العار والنار والسلام» (4) .

وهذه هي الحقيقة المؤلمة وهذه هي نهاية الزبير ومهما يحاول بعض المؤرخين إقناعنا بأنه تذكر حديث النبي الذي ذكره به علي فتاب واعتزل القتال وخرج إلى وادي السباع فقتله ابن جرموز ، فهذا لا يستقيم مع نبوءة النبي (ص) الذي قال له : «ستقاتل عليّاً وأنت له ظالم» .

ويقول بعض المؤرخين بأنه أراد الاعتزال عندما ذكره الإمام علي بالحديث ولكن ابنه عبدالله غيره بالجبن ، فأخذته الحمية فرجع يقاتل حتى قتل .

(1) تاريخ الطبري في وقعة الجمل وتاريخ المسعودي وتاريخ أعثم وغيرهم .

(2) شرح النهج لابن أبي الحديد ج 1 ص 101 .

(3) نهج البلاغة شرح محمد عبده ص 306 .

(4) نهج البلاغة شرح محمد عبده ص 626 .

وهذا أقرب للواقع وللحديث الشريف الذي فيه إخبار بالغيب من الذي لا ينطق عن الهوى .

ثم لو كان فعلاً ندم وتاب ورجع عن غيّه وظلمه ، فلماذا لم يعمل بقول الرسول (ص) : « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره وأخذل من خذله » ؟

فلماذا لم ينصر علياً ولم يواله ولم يسترضه ؟ وهب أنّ ذلك لا يمكنه فعله ، فهلاًّ خطب في الناس الذين جاء بهم للحرب وأخبرهم أنّه استبصر إلى الحق وتذكر ما كان ناسياً ، وطلب منهم أنّ يكفوا عن الحرب ، فيحقن بذلك دماء الأبرياء من المسلمين ؟

لكن شيئاً من ذلك لم يقع فعرفنا بأن أسطورة التوبة والاعتزال هي من خيال الوضاعين الذين بهرهم حق علي وباطل الزبير وبما أن صاحبه طلحة قتله مروان بن الحكم فاختاروا ابن جرموز لقتل الزبير غدرًا حتى يتسنى لهم التأويل في مصير طلحة والزبير فلا يجرمهم من دخول الجنة ، مادامت الجنة من ممتلكاتهم يدخلون فيها من يشاؤون ويمنعون منها من يشاؤون .

ويكفينا دليلاً على كذب الرواية ما جاء في رسالة الإمام علي ودعوتها للرجوع عن الحرب وقوله : فإن الآن أعظم أمركم العار من قبل أن يجمع العار والنار . ولم يحدث أحد أنهما استجابا لندائه ولا امتثالا لأمره ولا ردّاً على رسالته .

أضف إلى كل ذلك أنّ الإمام وقبل بدء المعركة دعاهم لكتاب الله كما قدّمنا فرفضوا الامتثال وقتلوا الشاب الذي حمل لهم القرآن عند ذلك استباح عليّ قتلهم .

وإنك لتقرأ بعض المهازل عند المؤرخين فتعرف أنّ البعض منهم لا يعرفون الحق ولا يفقهون مثال ذلك : يقول بعضهم بأن الزبير لما علم بأن عمار بن ياسر جاء مع علي بن أبي طالب ، قال : يا جدع أنفاه ، يا قطع ظهراه ، ثم أخذه إفكل فجعل السلاح يتفض في يده ، فقال أحد أصحابه :

ثكلتني أمي هذا الزبير الذي كنت أريد أن أموت معه أو أعيش معه ؟.

والذي نفسي بيده ما أخذ هذا ما أرى إلا لشيء قد سمعه أو رآه من رسول الله
(ص)(1)

ويقصدون بوضع هذه الروايات بأن الزبير تذكر حديث النبي (ص) «ويح
عمار تقتله الفئة الباغية» فخاف وارتعش وارتعدت فرائضه خوفاً من أن يكون
من الفئة الباغية!

ويريد هؤلاء أن يحتقروا عقولنا ويهزؤوا منا لكن عقولنا كاملة وسليمة بحمد
الله ولا نرضى منهم بذلك ، فكيف يخاف الزبير ويرتعد من حديث «عمار تقتله
الفئة الباغية» ولا يخاف ولا يرتعد من أحاديث كثيرة قالها النبي في علي بن أبي
طالب؟ أكان عمار عند الزبير أفضل وأشرف من علي؟! ألم يسمع الزبير قول
النبي: يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق؟ ألم يسمع قوله: «علي
مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث دار» وقوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه
اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» وقوله:
«يا علي أنا حرب لمن حاربك وسلم لمن سالمك» وقوله: «لأعطين الرايتي إلى رجل
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» وقوله: «أنا قاتلتهم على تنزيل القرآن وأنت
تقاتلهم على تأويله» وقوله: «يا علي أعهد إليك بأن تقاتل الناكثين والقاسطين
والمارقين».

وقوله... وقوله... وآخرها حديث النبي (ص) إلى الزبير نفسه:
«ستقاتله وأنت له ظالم» فأين الزبير من كل هذه الحقائق التي يعرفها كل الناس
الأباعد الغرباء فكيف به وهو ابن عمه النبي وابن عمه علي؟

إنها العقول المتحجرة التي لم تقدر على دفع الأحداث التاريخية وما فيها من
حقائق ، فتحاول بكل جهودها عبثاً أن تجد بعض الأعدار الواهية لكي تموه على
الناس وتوهمهم بأن طلحة والزبير من المبشرين بالجنة .

﴿تلك أمانيتهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (البقرة: 111) ﴿إن
الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين﴾ (الأعراف: 40).

(1) تاريخ الطبري ج 5 ص 205.

6 - سعد بن أبي وقاص

وهو أيضاً من كبار الصحابة السابقين إلى الإسلام ، ومن المهاجرين الأولين الذين شهدوا بدرًا ، وهو أحد الستة الذين رشّحهم عمر بن الخطاب للخلافة بعده ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة على زعم «أهل السنة والجماعة» .

وهو بطل القادسية في خلافة عمر بن الخطاب ، ويقال إنّ بعض الصحابة كانوا يشكون ويطعنون في نسبه ويؤذونه بذلك ، ويروون أنّ النبي (ص) أثبتّ نسبه فهو من بني زهرة .

وينقل ابن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة أنّ بني زهرة اجتمعوا بعد وفاة النبي إلى سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، فكانوا في المسجد الشريف مجتمعين ، فلما أقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيدة قال لهم عمر: مالي أراكم حلقاً شتى؟ قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعه الأنصار ، فقام سعد وعبد الرحمن ومن معهما من بني زهرة فبايعوا⁽¹⁾ .

ويُروى أنّ عمر بن الخطاب عزله عن الولاية ، ولكنه أوصى الخليفة من بعده إنّ صُرفت الخلافة عن سعد أن يوليّه ، لأنّه لم يعزله عن خيانه ، وقد نفّذ عثمان بن عفّان وصية عمر فولّاه على الكوفة .

ومن الملاحظ أنّ سعد بن أبي وقاص لم يترك ثروة كبيرة بالقياس إلى أصحابه ، وبلغت تركته حسب الرواة ثلاثمائة ألف كما أنّه لم يشارك في قتل عثمان ولم يحرض عليه كطلحة والزبير .

روى ابن قتيبة في تاريخه قال : كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن أبي وقاص ، يسأله عن قتل عثمان ومن قتله؟

فكتب إليه سعد : إنك سألتني من قتل عثمان؟ وإني أخبرك أنّه قُتل بسيف سئلته عائشة وصقله طلحة وسمّاه ابن أبي طالب وسكت الزبير وأشار بيده ، وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه ، ولكن عثمان غير وتغير وأحسن وأساء فإن كنّا أحسنًا فقد أحسنّا ، وإن كنّا أسوأنا نستغفر الله ، وأخبرك أنّ الزبير مغلوب

(1) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج 1 ص 18 .

بغلبة أهله وبطلبه بذنبه وطلحة لو يجد أن يشق بطنه من حب الإمارة لشقه . . . (1).

ولكن الغريب في سعد بن أبي وقاص أنه تخلف عن بيعة أمير المؤمنين علي ولم يُعينه وهو يعرف حق الإمام وفضله . فقد روى بنفسه عدة فضائل في علي منها ما أخرجه الإمام النسائي والإمام مسلم في صحيحيهما :

قال سعد : سمعتُ رسول الله (ص) يقول في علي خصالاً ثلاثاً لئن يكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمد النعم سمعته يقول : إنه منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وسمعته يقول : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، وسمعته يقول : أيها الناس من وليكم؟ قالوا : الله ورسوله ثلاثاً ثم أخذ بيد علي فأقامه ثم قال : مَنْ كان الله ورسوله وليّه فهذا وليّه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه (2).

وفي صحيح مسلم قال سعد بن أبي وقاص : سمعتُ رسول الله (ص) يقول لعلي : أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وسمعته يقول يوم خيبر : لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال : فتناولنا لها فقال : أدعوا علياً . . ولما نزلت هذه الآية ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ (آل عمران : 61) دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء أهلي (3).

فكيف يعرف سعد بن أبي وقاص كل هذه الحقائق ثم يمتنع عن بيعته؟! كيف يسمع سعد قول الرسول (ص) : من كان الله ورسوله وليّه فعليّ وليّه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، والذي رواه هو بنفسه ثم لا يواليه ولا ينصره؟!

كيف يغيب على سعد بن أبي وقاص حديث الرسول (ص) «مَنْ مَاتَ وَلَيْسَتْ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» الذي رواه عبدالله بن عمر ، فيموت

(1) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج 1 ص 48 .

(2) خصائص الإمام النسائي ص 18 وص 35 .

(3) صحيح مسلم ج 7 ص 119 باب فضائل علي بن أبي طالب .

سعد ميتة جاهلية ناكباً عن بيعة أمير المؤمنين وسيد الوصيين وقائد الغر المحجلين؟!

يذكر المؤرخون بأن سعداً جاء إلى الإمام علي معتذراً فقال : والله يا أمير المؤمنين لا ريب لي في أنك أحق الناس بالخلافة وأنت أمينٌ على الدين والدنيا ، غير أنه سينازعك على هذا الأمر أناسٌ ، فلو رغبتَ في بيعتي لك أعطني سيفاً له لسانٌ يقول لي خذ هذا ودع هذا!

فقال له علي : أترى أحداً خالف القرآن في القول أو العمل ؟ لقد بايعني المهاجرون والأنصار على أن أعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه ، فإن رغبتَ بايعت وإلا جلستَ في دارك فأني لستُ مكرهك عليه⁽¹⁾.

أليس موقف سعد بن أبي وقاص غريباً؟! فهو يشهد بأن علياً لا ريب فيه ، وأنه أحق الناس بالخلافة ، وأنه أمينٌ على الدين والدنيا ثم بعد هذا يُطالبه بسيفٍ ناطقٍ كشرطٍ على بيعته حتى يعرف به الحق من الباطل؟!

أليس هذا تناقضاً يرفضه العقلاء؟ وهل هذا إلا المحال الذي يطلبه مكابراً عرف الحق من صاحب الرسالة (ص) في أكثر من حديث روى هو بنفسه منها أكثر من خمسة؟!

ألم يكن سعدٌ حاضراً بيعة أبي بكر وعمر وعثمان والتي حكموا في كل منها بقتل من يتخلف عنها خوفاً من الفتنة؟

وقد بايع سعدٌ لعثمان وانحاز إليه بدون شرط وسمع عبد الرحمن بن عوف يُهدد علياً مسلطاً السيف فوق رأسه قائلاً : فلا تجعل على نفسك سبيلاً فإنه السيف لا غير⁽²⁾.

وكان حاضراً لما امتنع علي عن بيعة أبي بكر فهذهه عمر بن الخطاب وقال له : بايع وإلا والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك⁽³⁾.

(1) تاريخ أعمش ص 163 .

(2) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 31 .

(3) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج 1 ص 20 .

وهل جرأ المتخلفين عن البيعة والذين تطاولوا على وصي النبي أمثال عبدالله بن عمر وأسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة ، إلا تخلف سعد بن أبي وقاص ؟

وإنك تلاحظ أن الأشخاص الخمسة الذين عيّنه عمر بن الخطاب لمنافسة علي في الخلافة قد لعبوا بالضبط الدور الذي رسمه لهم ابن الخطاب وهو منع علي من الوصول إليها ، فهذا عبد الرحمان يختار للخلافة صهره عثمان ويهدد علياً بالقتل إن لم يُبايع كل ذلك لأن عمر رجح كفة عبد الرحمان على الباقي . وبعد موت عبد الرحمان بن عوف ومقتل عثمان بن عفان لم يبقَ من المنافسين لعلي في الخلافة إلا ثلاثة طلحة والزبير وسعد .

ولما رأى هؤلاء بأن المهاجرين والأنصار هرعوا للإمام علي وبايعوه ولم يلتفتوا لأبي واحدٍ منهم ، عند ذلك أضمرُوا له الشر وأرادوا به الهموم ، فحاربه طلحة والزبير وخذله سعد .

ولا تنسَ بأن عثمان بن عفان لم يمت حتى كَوّنَ لعلي مُنافساً جديداً هو أخطر منهم جميعاً وأشدّ مكرّاً وذهاءً وأكثرهم عدّة وعدداً فقد مهّد له عثمان للاستيلاء على الخلافة بأن ضمّ له تحت ولايته التي دامت عشرين عاماً أهمّ الولايات والتي تجمع أكثر من ثلثي العائدات للدولة الإسلامية بأسرها .

وهذا المنافس هو معاوية الذي لم يكن له دين ولا خلق وليس له شغل إلا الوصول إلى الخلافة بأيّ ثمن وعن أي طريق .

ومع ذلك فإن أمير المؤمنين عليّاً لم يجبر الناس على البيعة بالقوة والإكراه كما فعل الخلفاء من قبله ، ولكنه تقيّد (سلام الله عليه) بأحكام القرآن والسنة ولم يغيّر ولم يبدّل أبداً ، ألم تقرأ قوله لسعد : «لقد بايعني المهاجرون والأنصار على أن أعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه ، فإن رغبتَ بايعتَ وإلا جلستَ في دارك فأني لستُ مكرهك عليه» .

هنيئاً لك يا ابن أبي طالب يا مَنْ أحييتَ القرآن والسنة بعدما أمانها غيرك من قبلك ، فهذا كتاب الله يُنادي : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايعُونَكَ إِنَّهُمْ يُبَايعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ

فسيؤتيه أجراً عظيماً» (الفتح : 10) وقوله تعالى : ﴿أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى
يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس : 99).

فلا إكراه في الدين ، ولا بيعه بالإكراه في الإسلام ، ولم يأمر الله نبيه أن يُقاتل
الناس ليبياعوه .

وهذه سنة النبي (ص) وسيرته الشريفة تحدّثنا بأنّه لم يكره أحداً من الناس
على بيعته أبداً .

ولكنّ الخلفاء والصّحابة هم الذين سنّوا تلك البدعة وهذّدوا الناس بالقتل
إن لم يدخلوا في بيعتهم .

وإذا كانت فاطمة نفسها هُذِّدَتْ بالحرق إن لم يخرج المتخلفون في بيتها
للبيعة ! وإذا كان عليّ نفسه وهو الذي نصّبه رسول الله للخلافة يسلّطون عليه
السيف ويقسمون بالله ليقتلنّه إن لم يُبايع ، فلا تسأل عن بقية الصّحابة
المستضعفين ، أمثال عمار وسلمان وبلال وغيرهم .

والمهمّ أنّ سعد بن أبي وقاص امتنع عن بيعه عليّ كما امتنع عن سبّه لما أمره
معاوية بذلك كما جاء في صحيح مسلم .

ولكنّ هذا لا يكفي سعداً ولا يضمن له الجنّة ، لأنّ مذهب الاعتزال الذي
أسسه تحت شعار : «أنا لسْتُ معك ولستُ ضدّك» لا يقبله الإسلام ولا يعترف
به ، لأنّ الإسلام يقول : ليس بعد الحقّ إلّا الضلال .

ولأنّ كتاب الله وسنة رسوله قد رسما معالم الفتنة وأخبرا بها ووضعاً لها حدوداً
ليهلك من هلك عن بينةٍ وينجو من نجا عن بينة .

وقد بين رسول الله (ص) كلّ شيء بقوله في عليّ : «اللّهمّ وال من والاه ،
وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث
دار» .

وقد بين الإمام عليّ الأسباب والدوافع التي منعت سعداً من الانضمام إليه
ورفضه بيعته عندما قال في الخطبة الشقشقية : «فصغى رجلٌ منهم لضغنه» .

ويقول الشيخ محمد عبده في شرح هذا المقطع :

كان سعد بن أبي وقاص في نفسه شيء من علي (كرم الله وجهه) من قبل أخواله لأن أمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ولعلي في قتل صناديدهم ما هو معروف ومشهور⁽¹⁾.

فالحقد الدفين والحسد أعمى بصيرة سعد فلم يعد يرى لعلّي ما يراه لخصومه ، فقد نُقِلَ عنه أنّه لما ولّاه عثمان ولاية الكوفة خطب فيهم قائلاً :

«أطيعوا خير الناس أمير المؤمنين عثمان» .

فسعد بن أبي وقاص كان هواه مع عثمان في حياته وحتى بعد مقتله ، وبذلك نفهم اتّهامه لعلّي بالمشاركة في قتل عثمان عندما كتب لعمر بن العاص بقوله : «إنّ عثمان قُتِلَ بسيف سلّته عائشة وسمّه ابن أبي طالب» .

إنّه اتّهام باطل يشهد التاريخ على كذبه فلم يكن لعثمان في محنته أكثر نصحاً ومواساةً من علي . لو كان له رأي يُطاع .

والذي نستخلصه من مواقف سعد المتخاذلة : هو بالضبط ما وصفه به الإمام علي بأنّه صاحب ضغينة ، فهو رغم معرفته بحقّ علي إلا أنّ الضغينة والحقد وقفا حائلاً بينه وبين الحق ، فبقي حائراً مُتَحَيِّراً بين ضمير يوبّخه ويوقظ فيه شعلة الإيمان وبين نفس مريضة أقعدتها عادات الجاهلية فصغت لضغنها ، وتغلّبت نفس سعد الأمارة بالسوء على ضميره فتردّت به وأقعدته عن نصرّة الحق .

والدليل على ذلك ما أخرجه المؤرّخون عن مواقفه المحيرة ، ذكر ابن كثير في تاريخه قال :

«دخل سعد بن أبي وقاص على معاوية بن أبي سفيان فقال له : مالك لم تُقاتل عليّاً؟

قال سعد : إنّ مرّت بي ريحٌ مُظلمة فقلتُ : أخ ، أخ وأنخْتُ راحلتي حتّى انجلت عني ثمّ عرفتُ الطريق فسرْتُ .

(1) شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده المصري ج 1 ص 88 .

فقال معاوية: ليس في كتاب الله أخ، أخ، ولكن قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الحجرات/9)، فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة، ولا مع العادلة على الباغية.

فقال سعد: ما كنت لأقاتل رجلاً قال له رسول الله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي.

فقال معاوية: مَنْ سمع هذا معك؟!

فقال: فلان وفلان وأم سلمة، فقام معاوية فسأل أم سلمة فحدثته بما حدث سعد. فقال معاوية:

«لو سمعتُ هذا قبل هذا اليوم لكنتُ خادماً لعلي حتى يموتَ أو أموتُ»⁽¹⁾.

ونقل المسعودي في تاريخه مثل هذه المحاورة بين معاوية وسعد بن أبي وقاص. وذكر أن معاوية قال لسعد بعدما حدث بحديث المنزلة: ما كنتُ عندي قطّ ألام منك الآن، فهلاً نصرته؟ ولم قعدتَ عن بيعته؟ فإني لو سمعتُ من النبي (ص) مثل الذي سمعتُ فيه، لكنتُ خادماً لعلي ما عشتُ⁽²⁾.

وما رواه سعد بن أبي وقاص لمعاوية في فضل علي هو حديث واحد من بين مئات الأحاديث التي تصبّ كلها في مصبّ واحد وتهدف كلّها إلى هدف واحد ألا وهو أن علي بن أبي طالب هو الشخص الوحيد الذي يمثل الرسالة الإسلامية بعد رسول الله (ص) ولا يقدرُ عليها غيره، ومادام الأمر كذلك فجدير بكلّ المؤمنين الصالحين أن يخدموه طيلة حياتهم.

فليس قول معاوية بأنّه لو سمع مثل هذا الحديث قبل اليوم لكان خادماً لعلي ما عاش، إلّا حقّاً يفتخر به كل مؤمن ومؤمنة.

ولكنّ معاوية لم يقل ذلك إلّا استهزاءً وسخريةً من سعد بن أبي وقاص كي يشتمه باللؤم ويهينه، لأنّه امتنع عن سبّ علي ولعنه ولم ينفذ رغبته في ذلك.

(1) تاريخ ابن كثير ج 8 ص 77.

(2) تاريخ المسعودي المعروف بمروج الذهب في ترجمة سعد بن أبي وقاص.

وإلا فإن معاوية يعرف أكثر من حديث المنزلة في فضل ابن أبي طالب ويعرف أيضاً بأنه أولى الناس بعد الرسول وذلك ما صرح به في الرسالة التي بعث بها إلى محمد بن أبي بكر والتي سيأتي ذكرها إن شاء الله قريباً.

وهل امتنع معاوية عن سب ولعن أمير المؤمنين عندما علم من سعد بذلك الحديث وأكدته له أم سلمة عندما سأها؟

كلاً، إنه تمادى في غيّه أكثر وأخذته العزة بالإثم فأصبح يلعن علياً وكل أهل بيته وحمل الناس على ذلك حتى شت عليه الصغير وهُرم عليه الكبير وتواصل ذلك ثمانين عاماً أو أكثر.

﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم، فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ (آل عمران: 61). صدق الله العلي العظيم

7- عبد الرحمان بن عوف

كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه النبي (ص) عبد الرحمان وهو من بني زهرة وهو ابن عم سعد بن أبي وقاص.

هو من كبار الصحابة ومن المهاجرين الأولين وشهد مع النبي (ص) المشاهد كلها، وهو أيضاً من الستة الذين رشّحهم عمر بن الخطاب للخلافة، بل جعله رئيساً على مجلس الشورى والمقدم عليهم جميعاً إذ قال: وإذا اختلفتم فكونوا في الشق الذي فيه عبد الرحمان بن عوف.

وهو أيضاً من العشرة المبشرين بالجنة في اعتقاد «أهل السنة والجماعة».

وعبد الرحمان بن عوف كما هو مشهور من التجار الكبار في قريش والذي ترك ثروة ضخمة وأموالاً طائلة بلغت حسب المؤرخين: ألف بعير ومائة فرس وعشرة آلاف شاة، وأرضاً كانت تزرع على عشرين ناضحاً، وخرجت كل واحدة من نسائه الأربع بنصيبها من المال الذي تركه فكان أربعة وثمانين ألفاً⁽¹⁾.

(1) الطبري والمسعودي وابن سعد وطه حسين وغيرهم.

وعبد الرحمان بن عوف هو صهر عثمان بن عفان لأنه تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي أخت عثمان لأمه .

وقد عرفنا من خلال كتب التاريخ أنه لعب دوراً كبيراً لإبعاد علي عن الخلافة بشرطه الذي اشترطه عليه في تحكيم سنة الخليفين أبي بكر وعمر، لعلمه مسبقاً بأن علياً لا يقبل بذلك الشرط أبداً لأن سنتهما مخالفة للكتاب والسنة النبوية .

وهذا وحده يكفينا دليلاً على تعصب عبد الرحمان للبدع الجاهلية وبُعده عن السنة المحمدية ومشاركته الفعالة في المؤامرة الكبرى للقضاء على العترة الطاهرة وإبقاء الخلافة في حوزة قريش تتحكم فيها كيف شاءت .

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الأحكام، باب كيف يُبايع الإمام الناس، قال المسور: طرقتني عبد الرحمان بعد هجيع من الليل ف ضرب الباب حتى استيقظت، فقال: أراك نائماً فوالله ما اكتحلث هذه الليلة بكبير نوم، انطلق فادع الزبير وسعداً فدعوتهما له فشاورهما ثم دعاني فقال: أدع لي علياً فدعوته فاجاه حتى ابهاز الليل ثم قام عليٌّ من عنده وهو على مطعم، وقد كان عبد الرحمان يخشى من علي شيئاً. ثم قال: أدع لي عثمان فدعوته فاجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح .

فلما صلى للناس من الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمان ثم قال: أما بعد يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أزههم يعدلون بعثمان، فلا تجعل على نفسك سبيلاً، ثم قال مخاطباً لعثمان: أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفين من بعده، فبايعه عبد الرحمان وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون⁽¹⁾.

والباحث يفهم من هذه الرواية التي أخرجها البخاري بأن المؤامرة قد دُبِرت بلبيل، ويفهم أيضاً الذكاء الذي يتمتع به عبد الرحمان بن عوف وأن اختيار عمر له لم يكن عفويّاً .

(1) صحيح البخاري ج 8 ص 123 .

تأمل في قول الراوي وهو المسور: فدعوت له علياً فناجاه ثم قام علي من عنده وهو على مطعم .

وهذا يدلنا على أن عبد الرحمان بن عوف هو الذي أطمع علياً في الخلافة حتى لا ينسحب علي من الشورى المزيقة ويتسبب لهم في انقسام الأمة مرة أخرى كما وقع عقيب بيعة أبي بكر في السقيفة ، ويؤكد صحة هذا الاحتمال قول المسور: «وقد كان عبد الرحمان يخشى من علي شيئاً» .

من أجل ذلك لعب عبد الرحمان دور المراءوغ المخادع فطمأن علياً في الليل وهنأه بالخلافة ، ولما أصبح وحضر أمراء الأجناد وحضر رؤوس القبائل وزعماء قريش عند ذلك انقلب عبد الرحمان ليفاجئ علياً بأن الناس لا يعدلون بعثمان وأن عليه أن يقبل وإلا سيجعل على نفسه سبيلاً (يعني يقتلونه إن رفض البيعة لمن اختاروه وهو عثمان بن عفان) .

وإن الباحث ليفهم ذلك بوضوح خصوصاً عندما يقرأ هذه الفقرة الأخيرة من الرواية ، يقول المسور: «فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمان ثم قال : أما بعد يا علي إني نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعل على نفسك سبيلاً» .

فلماذا يوجه عبد الرحمان خطابه إلى علي وحده من بين الحاضرين ، ولماذا لم يقل مثلاً: أما بعد يا علي ويا طلحة ويا زبير؟! .

من أجل ذلك فهمنا بأن الأمر دُبر بلبيل وأن الجماعة كانوا متفقين من البداية على عثمان وإبعاد علي عنها .

ولنا أن نجزم بأنهم جميعاً كانوا يخشون من علي لو وصل إلى خلافة أن يعود بهم إلى العدالة والمساواة ويحيي لهم سنة النبي ، ويُميت بدعة ابن الخطاب في المفاضلة خصوصاً وأن عمر بن الخطاب قد أشار قبل موته إلى ذلك وحذرهم من خطر علي عليهم ، فقال : «لو ولّوها لأجلح لحملهم على الجادة» والجادة هي السنة النبوية التي لا يحبها عمر ولا تحبها قريش عامة ، ولو كانوا يحبون سنة النبي لولّوا علياً ولحملهم عليها ولردّهم إليها ، فهو نائبها والقائم عليها .

وكما قدّمنا في بحث طلحة والزبير وسعد بأنهم زرعوا الشوك وحصدوا
الخسران والتّدامة .

فلننظر إلى عبد الرحمان بن عوف وما آل إليه تديره، يقول المؤرّخون بأنّ عبد
الرحمان بن عوف ندم أشدّ الندم لما رأى عثمان خالف سنّة الشيخين وأعطى
المناصب والولايات إلى أقاربه وحاباهم بالأموال الطائلة، فدخل عليه وعاتبه
وقال : إنّما قدّمْتُكَ⁽¹⁾ على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر فخالفتهما وحاييت
أهل بيتك وأوطأتهم رقاب المسلمين .

فقال عثمان : إنّ عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله، قال
عبد الرحمان : لله عليّ أن لا أكلمك أبداً، فلم يكلمه حتّى مات وهو هاجر
لعثمان، ودخل عليه عثمان عائداً له في مرضه فتحول عنه إلى الحائط ولم
يُكلمه⁽²⁾ .

وبهذا يكون الله سبحانه قد استجاب دعاء الإمام علي في عبد الرحمان كما
استجابه في طلحة والزبير فقتلا من يومهما .

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج إنّ عليّاً غضب يوم الشورى
وعرف ما دبره عبد الرحمان بن عوف فقال له :

«والله ما فعلتها إلّا لأنك رجوت منه ما رجّا صاحبكما من صاحبه، دقّ الله
بينكما عطر منشم»⁽³⁾ .

ويقصد الإمام علي بأنّ عبد الرحمان طمع أن يستخلفه عثمان من بعده كما
فعل أبو بكر بعمر، وقد قال له علي : أحلب حلباً لك شطره واشدد له اليوم
ليردّه عليك غداً .

أما عطر منشم الذي دعا به علي عليهما فهو مثّل سائر يُقال : أشام من عطر
منشم وهو يدلّ على التفور والمقاتلة .

(1) قوله إنّما قدّمْتُكَ يدلّ على الاستبداد برأيه ولم يكن عن مشورة ولا عن اختيار الناس له كما يزعمون .
(2) تاريخ أبي الفداء ج 1 ص 166، أنساب الأشراف للبلاذري ج 5 ص 57، العقد الفريد لابن عبد ربه
المالكي ج 2 ص 261 .
(3) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 63 .

واستجاب الله دعاء الإمام فلم تمضِ سنوات قليلة حتى ضرب الله بينهم
العداوة والبغضاء وإذا بعبد الرحمان يُعادي صهره ولا يكلمه حتى الموت ولا
يأذن له بالصلاة على جنازته .

ويتجلى لنا أيضاً من هذا البحث الوجيز أنّ عبد الرحمان بن عوف هو رأس
من رؤوس قريش الذين عملوا على طمس السنة النبوية وإبدالها ببدع
الخليفتين .

كما يتجلى لنا بأن الإمام عليّاً (عليه السلام) هو الوحيد الذي ضحى بالخلافة
وما فيها من أجل الحفاظ على السنة المحمدية التي جاء بها أخوه وابن عمه
محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين .

وأنت أيها القارئ الكريم لا شك بأنك عرفت «أهل السنة والجماعة» على
حقيقتهم، كما عرفت بنفسك من هم أهل السنة، فالمؤمن غر كريم ولكنه لا
يُلدغ من جحر مرتين .

8 - عائشة بنت أبي بكر «أم المؤمنين»

هي زوج النبي (ص) وأم المؤمنين . تزوجها النبي (ص) في السنة الثانية أو
الثالثة للهجرة وتوفي عنها وهي ابنة ثمان عشرة سنة على أشهر الأقوال المروية .

وتجدر الإشارة بأن كل امرأة تزوجها رسول الله (ص) تحمل هذا اللقب ،
فيقال أم المؤمنين خديجة وأم المؤمنين حفصة ، وأم المؤمنين مارية . . . إلخ

أقول هذا لا تأتي فوجئت خلال حديثي مع كثير من الناس بأنهم لم يفهموا
معنى الأمومة التي لُقّب بها أزواج النبي (ص) .

وبما أنّ حديث «أهل السنة» كلّهُ عن عائشة إذا تحدّثوا عن أزواج النبي
(ص) وأغلب الأحاديث النبوية ينقلونها عن عائشة ونصف الذين يأخذونه عن
الحمراء عائشة .

فكأنهم فهموا من كلمة «أم المؤمنين» أنّها فضيلة تخصّها من بين سائر أزواجه
عليه الصلاة والسلام وعلى آله .

والحال أن الله حرّم على المؤمنين الزواج بنساء النبي بعد وفاته بقوله تعالى : ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم عند الله عظيماً﴾ (الأحزاب: 53). وقال أيضاً : ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم . . .﴾ (الأحزاب: 6).

وقد سبق أن أشرنا بأن النبي (ص) تأذى من قول طلحة لما سمعه يقول : إذا مات محمد تزوجت عائشة بنت عمّي .

فأراد الله سبحانه أن يقول للمؤمنين بأن نساء النبي حرامٌ عليكم نكاحهن كحرمة أمهاتكم .

مع العلم بأن عائشة كانت عقيماً فلم تحمل ولم تخلف وكانت من أكبر الشخصيات التي عرفها تاريخ المسلمين ، إذ أنها لعبت أكبر الأدوار في تقريب البعض من الخلافة وإبعاد البعض عنها ، وعملت على تزكية قوم وإقصاء آخرين .

وشاركت في الحروب وقادت المعارك والرجال ، وكانت تبعث بالرسائل لرؤساء القبائل وتأمّر وتنهى وتعزل أمراء الجيوش وتؤمّر آخرين وكانت قطب الرحي في معركة الجمل وعمل طلحة والزبير تحت قيادتها .

ونحن لا نريدُ الإطالة في سرد أدوار حياتها فقد وافقنا البحث عنها في كتاب «فاسألوا أهل الذكر» فعلى الباحثين مراجعته إن أرادوا معرفة ذلك .

ولكن الذي يهّمنا في هذا البحث هو اجتهادها وتغييرها لسنة النبي (ص) . ولا بدّ من إبراز بعض الأمثلة لكي نفهم من خلال سلسلة هؤلاء «العظماء» الذين هم مفخرة «أهل السنة والجماعة» والذين يقتدون بهم ويقدمونهم على الأئمة الطاهرين من عتره النبي (ص) .

وليس ذلك في الحقيقة إلا نزعة قبلية عملت على محق السنة النبوية وطمس معالمها وإطفاء نورها ، لولا وقوف علي والأئمة من ولده لما وجدنا اليوم من سنة النبي شيئاً يُذكر .

وكما عرفنا بأن عائشة لم تمتثل لسنة رسول الله (ص) ولم تقم لها وزناً وقد

سمعتُ من زوجها أحاديث كثيرة في حق علي إلا أنها أنكرتها وعملت بعكسها .
وعصت أمر الله وأمر رسوله لها بالذات وخرجت فقات حرب الجمل
المشؤومة التي انتهكت فيها المحارم ، وقتلت الأبرياء وخانت العهد في الكتاب
الذي كتبه مع عثمان بن حنيف وعندما جاؤوها بالرجال مكتفين أمرت بضرب
أعناقهم صبراً وكأنها لم تسمع قول النبي (ص) : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »⁽¹⁾.

ودعنا من الحروب والفتن التي أشعلت نارها أم المؤمنين وأهلكت بها الحرث
والنسل ، وهيا بنا إلى تأولها هي الأخرى والقول برأيها في دين الله ، وإذا كان مجرد
الصحابي له رأي وقوله حجة فكيف بمن يؤخذ نصف الدين عنها؟!

أخرج البخاري في صحيحه من أبواب التقصير عن الزهري عن عروة عن
عائشة (رضي الله عنها) قالت : الصلاة أول ما فرضت ركعتان فأقرت صلاة
السفر وأتمت صلاة الحضر . قال الزهري : فقلت لعروة : ما بال عائشة تتم؟
قال : تأولت ما تأول عثمان⁽²⁾.

أفلا تعجب كيف ترك أم المؤمنين زوجة النبي (ص) سنة رسول الله التي
روتها بنفسها وصححتها ، ثم تتبع بدعة عثمان بن عفان والتي كانت تحرض على
قتله بدعوى أنه غير سنة النبي وأبلاها قبل أن يُبلى قميصه؟!

نعم ذلك ما وقع في عهد عثمان ولكنها غيرت رأيها في عهد معاوية بن أبي
سفيان ، وما أسرع أن تغير أم المؤمنين رأيها فقد حرّضت على قتل عثمان ولكنها
لما عرفت بأنهم قتلوه وباعوا علياً غيرت رأيها وبكت على عثمان بكاء شديداً
وخرجت للطلب بدمه هي أيضاً .

والمفهوم من الرواية أنها أتمت صلاة السفر وجعلتها أربع ركعات بدلاً من
ركعتين في زمن معاوية الذي كان حريصاً على إحياء بدع ابن عمه وولي نعمته
عثمان بن عفان .

(1) صحيح البخاري ج 8 ص 91 وصحيح مسلم في كتاب الإيمان .

(2) صحيح البخاري ج 2 ص 36 .

والنّاس على دين ملوكهم ، وكانت عائشة من أولئك النّاس الذين صالحوا معاوية بعد العداء ، فهو الذي قتل أخاها محمد بن أبي بكر ومثّل به أشنع مثلة .

ومع ذلك فإنّ المصالح الدنيوية المشتركة تجمع الأعداء وتوحد الأضداد ، لذلك تقرب إليها معاوية وتقرب إليه وأصبح يبعث لها بالهدايا والعطايا والأموال الطائلة .

يقول المؤرّخون : إنّ معاوية لما قدم المدينة دخل على عائشة لزيارتها ، فلما قعد قالت له : يا معاوية أأمنت أنّ أخبىء لك من يقتلك بأخي محمد بن أبي بكر؟

- فقال معاوية : إنّما دخلتُ بيت الأمان .

فقالت : أما خشيت الله في قتل حجر بن عدي وأصحابه؟

فقال : إنّما قتلهم من شهد عليهم⁽¹⁾ .

وروي أيضاً أنّ معاوية كان يبعثُ لها بالهدايا والثياب وأشياء توضع في أسطوانها ، وبعث لها مرة بمائة ألف دفعة واحدة⁽²⁾ .

كما بعث لها مرة أخرى وهي بمكة طوقاً قيمته مائة ألف كما قضى معاوية كلّ ديون عائشة التي بلغت ثمانية عشر ألف دينار وكلّ ما كانت تُعطيه للنّاس⁽³⁾ .

وقد قدّمنا في كتاب «فاسألوا أهل الذكر» أنّها اعتقت في يوم واحد أربعين رقبةً تكفيراً عن يمينها⁽⁴⁾ .

كما أنّ الولاة والأمراء من بني أمية كانوا يوصلونها وبعثون لها بالهدايا والأموال أيضاً⁽⁵⁾ .

(1) تاريخ ابن كثير وابن عبد البر في الاستيعاب ترجمة حجر بن عدي .

(2) تاريخ ابن كثير ج 7 ص 136 ومستدرك الحاكم ج 4 ص 13 .

(3) تاريخ ابن كثير ج 7 ص 137 .

(4) صحيح البخاري ج 7 ص 90 من كتاب الأدب باب الهجرة .

(5) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 6 ص 77 .

وإذا بحثنا عن هذا التقارب بين عائشة ومعاوية قلنا: متى كان البعد والعداء حتى نقول بالتقارب فأبو بكر هو الذي شارك معاوية في الحكم وولاه على الشام بعد موت أخيه ومعاوية يشعر دائماً بفضل أبي بكر عليه فلولا لم يكن معاوية يحلم يوماً بالوصول إلى الخلافة.

ثم إن معاوية يلتقي مع الجماعة في مؤامرتهم الكبرى لمحق السنة والقضاء على العترة، وقد تقاسموا تلك المهمة فأحرقوا السنة وتركوا له القضاء على العترة فأتهم معاوية ما أوكل إليه حتى أجبر الناس على لعن العترة، وبمؤامرتهم خرج الخوارج على الإمام علي وبمؤامرتهم قُتل علي وبمؤامرتهم قُتل الحسن بن علي وقد دس له السم، وقضى يزيد ابنه من بعده على بقية العترة.

فليس بين معاوية وعائشة عداء وحتى قولها أأمنت أن أخبىء لك من يقتلك بأخي محمد بن أبي بكر؟ لم يكن إلا مداعبة وإلا فإنها لا تحب ابن الخثعمية محمد بن أبي بكر والذي كان يُحارب ضدها مع علي ويستحل قتلها.

ثم هي تلتقي مع معاوية في بغض أبي تراب إلى أبعد الحدود وبحقد يفوق التصور والخيال.

ولا أدري أيهما المتفوق في ذلك، أهو الذي حاربه وسبه ولعنه وعمل على إطفاء نوره؟

أم هي التي عملت على إبعاده عن الخلافة وحاربتُه وعملت على محو اسمه فكانت لا تذكر اسمه ولما بلغها خبر قتله سجدت شكراً لله؟

وقد بقي بغضها لولده من بعده إلى أن منعت أن يُدفن الإمام الحسن بجانب جدّه، وخرجت تصيحُ راکبة على بغلة تستنفر بني أمية وتستعين بهم على بني هاشم قائلة: لا تدخلوا بيتي من لا أحب، وأرادت أن تشعل حرباً أخرى، حتى قال لها بعض أقاربها: «ألا يكفيننا يوم الجمل الأحمر حتى يقال يوم البغلة الشهباء».

وهي بلا شك واكبت مسيرة كبيرة من حكم بني أمية وسمعتهم يلعنون علياً وأهل البيت على المنابر، فما أنكرت ذلك ولا نهت عنه ولعلها كانت تشجع على ذلك من طرف خفي.

فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده قال : جاء رجلٌ فوقع في علي وعمار عند عائشة فقالت : أما علي فلستُ قائلة لك فيه شيئاً ، وأما عمار فإني سمعتُ النبي يقول فيه لا يُخَيَّر بين أمرين إلا اختار أَرشدَهما (1) .

فلا نستغرب إذاً من عائشة إذا أمانت سنة النبي وأحيث بدعة عثمان في إتمام الصلاة لإرضاء معاوية وحكام بني أمية الذين كانوا يتبعونها في حلها وفي تركها ويمجدونها ويأخذون الدين عنها .

كما أنَّ عائشة كانت تفتي لهم برضاة الكبير وكانت ترى أنَّ الرجال يمكنهم أن يرضعوا من النساء فيصبحوا بذلك من محارمهن (2) .

وما أخرجه الإمام مالك في موطأه تقشعر منه جلود المؤمنين والمؤمنات إذ يقول بأنها كانت تبعث بالرجال إلى أختها أم كلثوم وإلى بنات أخيها فيرضعوا منهنّ وتستبيح أم المؤمنين عائشة بعد تلك الرضاة مقابلتهم بدون حجاب (3) لأنهم على رأيها أصبحوا من محارمها !

وما علينا إلا أن نتصور أحد المسلمين يُفاجئ زوجته مع أحد الرجال وهو يُداعب ثدييها بالرضاة فتقول زوجته : إني أرضعه لكي يُصبح ابني ويدخل علينا بدون حرج .

وما على الزوج المسكين إلا أن يتحمل بدعة عائشة ولو يجرد في نفسه حرجاً مما قضت ويسلم تسليماً .

وأنا ألفتُ الباحثين والمحققين إلى هذه الطامة فهي وحدها كافية للكشف عن الحقيقة ولمعرفة الحق من الباطل .

وبهذا يتبيّن لنا بأن «أهل السنة والجماعة» يعبدون الله بنصوص ما أنزل بها من سلطان ، بدون تمحيص ولا تثبيت ، ولو تبيّنوا تلك البدع لنفرت نفوسهم منها وتركوها طائعين .

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 6 ص 113 .

(2) قد وفيينا البحث في هذه المهرلة في كتاب لأكون مع الصادقين في باب خلاف عائشة مع بقية أزواج النبي .

(3) موطأ مالك ج 2 ص 116 باب رضاة الكبير .

هذا ما لامسته شخصياً عند بعض «علماء السنة» المتحرّرين الذين عندما اطلعوا على حديث رضاعة الكبير استغربوا وذهلوا وأكّدوا بأنهم لم يسمعوها به أبداً.

وهذه ظاهرة سارية عند «أهل السنة والجماعة» فكثير من الأحاديث التي يحتج بها الشيعة موجودة في صحاحهم وهم يجهلونها ويكفرون مَنْ يقول بها. ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ (التحریم: 10).

9- خالد بن الوليد

خالد بن الوليد بن المغيرة من بني مخزوم الملقب عند «أهل السنة والجماعة» بسيف الله.

أبوه من أكبر الأثرياء الذين لا يقدر ثراؤهم بقيمة، يقول عباس محمود العقاد: كان أغنى أبناء زمانه في صفوف الثراء المعروفة بينهم كافة، الذهب والفضة والبساتين والكروم والتجارة والعروض والخدم والجواري والعبيد، وسُمي من أجل ذلك بالوحيد⁽¹⁾.

وأبوه هذا هو الوليد بن المغيرة الذي نزل فيه القرآن يتوعّده بالنار وبشس القرار، فقال تعالى في شأنه: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً * وجعلت له مالا ممدوداً * وبنين شهوداً * ومهدت له تمهيداً * ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيداً * سأرهقه صعوداً * إنه فكّر وقدّر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر * سأصليه سقر...﴾ (المدر: 11-26).

ويروى أن الوليد جاء للنبي (ص) يُغريه بالأموال ليرك الدين الجديد فأنزل الله فيه: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين * همار شاء بنميم * مناع للخير معتد

(1) عبقرية خالد: عباس العقاد ص 24.

أنيم * عتل بعد ذلك زنيم * أن كان ذا مال وبنين * إذا تُلى عليه آياتنا قال
أساطير الأولين * سنسمه على الخرطوم ﴿ (القلم: 10 - 16) .

وكان الوليد يعتقد بأنه أحق وأولى بالنبوة من محمد فكان يقول : أنزل القرآن
والنبوة على محمد الفقير وأترك أنا كبير قريش وسيدها؟

وعلى هذه ، عقيدة تربي خالد بن الوليد حاقداً على الإسلام وعلى نبي
الإسلام الذي سقاه أحلام أبيه وقوض عرشه فشارك خالد في الحروب كلها ضد
رسول الله (ص) .

ولا شك بأن خالد كان يُشارك أباه في اعتقاده بأنه أولى بالنبوة من محمد
الفقير اليتيم ولأن خالداً كأبيه من عظماء قريش إن لم يكن أعظمهم على
الإطلاق ، فلو نزل القرآن والنبوة على أبيه لكان لخالد منها النصيب الأوفر
ولورث النبوة والملك كما ورث سليمان داود .

وقد سجل الله سبحانه اعتقادهم هذا بقوله :

﴿ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإننا به كافرون * وقالوا لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ (الزخرف: 30 - 31) .

فلا غرابة أن يعمل كل ما في وسعه للقضاء على محمد ودعوته وقد رأيناه يجهز
جيشاً كبيراً بما أتاح له الثراء في غزوة أُحُد ويكمن للنبي (ص) محاولاً القضاء
عليه ، وقد حاول أيضاً عام الحديبية أن يغتال النبي (ص) ولكن الله سبحانه
أفشل مخططاته كلها فباءت بالفشل ونصر نبيه في المواطن كلها .

ولما عرف خالد كغيره من عظماء قريش بأن رسول الله (ص) لا يُقهر، ورأى
الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، عند ذلك استسلم للأمر الواقع وفي نفسه
حسرة ، فكان إسلامه متأخراً إلى السنة الثامنة للهجرة وقبل فتح مكة بأربعة
شهور .

ودشن خالد إسلامه بمخالفة أوامر الرسول (ص) حيث نهاهم عن القتال
فدخل خالد إلى مكة يوم الفتح بعدما قتل أكثر من ثلاثين رجلاً أغلبهم من
قريش وكان النبي (ص) أوصاهم بأن لا يقتلوا أحداً .

ومهما اعتذر المعتذرون عن خالد بأنه صُدَّ عن الدّخول إلى مكّة وبأنّهم شهروا في وجهه السّلاح، فهذا لا يُبيح له القتال بعد نهي النّبي عنه، وكان بوسعهم أن يرجع إلى باب آخر فيدخله بدون قتال، كما فعل الآخرون، أو أن يبعث للنّبي (ص) يستشيرهم في قتال الذين منعوه الدّخول.

ولكن شيئاً من ذلك لم يكن، واجتهد خالد برأيه مقابل النّص الذي سمعه من رسول الله (ص).

وما دمنا نتحدّث عن الاجتهاد مقابل النّص والذي أصبح له أنصار ومؤيّدون، أو قلّ أصبحت له مدرسة قائمة تُخرّج منها عُظماء الصحابة والمشرّعون وسُمّيَت فيما بعد بمدرسة الخلفاء، لا بدّ لنا من الإشارة هنا بأنّ الاجتهاد بهذا المعنى هو معصية الله ورسوله لا غير، ولأنّنا ألّفنا اصطلاح الاجتهاد مقابل النّص فأصبح وكأنّه أمرٌ مشروع. وفي الحقيقة يجب أن نقول: وعصى خالدُ أمر النّبي بدل أن نقول: واجتهد خالد برأيه مقابل النّص كما علّمنا القرآن عندما قال: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ (طه: 121)، لأنّ الله نهاه عن الأكل من الشّجرة ولأنّ آدم أكل منها، فلا نقول: فاجتهد آدم برأيه مقابل النّص.

ويجب على المسلم أن يقف عند حدّه ولا يقول برأيه في مسألةٍ وردّ فيها أمرٌ أو نهْيٌ من الله أو من رسوله، لأنّ ذلك هو الكفر الصّريح.

قال الله للملائكة: ﴿اسجدوا لآدم﴾، فهذا أمرٌ، ﴿فسجدوا﴾ (طه/116)، وهذا إيجابٌ وامتنالٌ وطاعة.

إلا إبليس فإنّه اجتهد برأيه فقال: أنا خيرٌ منه فكيف أسجد له؟ وهنا عصيانٌ وتمردٌ، بقطع النظر عمّن هو خير، آدم أم إبليس؟

ولذلك قرّر سبحانه: ﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة﴾ (الأحزاب: 36).

وإلى هذا أشار الإمام جعفر الصادق عندما قال لأبي حنيفة: لا تقسّ فإنّ

الشريعة إذا قيسَتْ مُحَقَّتْ ، وإنَّ أوَّلَ من قاسَ إبليسَ عندما قال : أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين .

وقوله : إنَّ الشريعة إذا قيسَتْ مُحَقَّتْ هو أحسنَ تعبيرٍ للدلالة على فساد القياس ، فلو استعملَ النَّاسُ آراءَهم المختلفةَ مقابلَ النصوص فلا ولن يبقَ للشريعة أثر . ولو اتَّبَعَ الحقُّ أهواءَهم لفسدت السماوات والأرض .

ونعود بعد هذا العرض الوجيز للاجتهاد لنقول في هذه المرة بأنَّ خالد بن الوليد عصى أمرَ رسول الله (ص) مرَّةً أخرى عندما بعثه إلى بني جذيمة يدعوهم إلى الإسلام ولم يأمره بقتال .

فذهب إليهم وأوقع فيهم وغدر بهم بعدما أعلنوا إسلامهم وقتلهم صبراً ، حتَّى اتَّهمه عبد الرحمان بن عوف - الذي حضر معه تلك الوقعة - بأنَّه إنَّما قتلهم ليثأرَ لعمِّه اللذين قتلها بنو جذيمة⁽¹⁾ .

ولمَّا سمع رسول الله (ص) بتلك الوقعة الشنيعة تبرأ إلى الله ممَّا صنع خالد ثلاث مرَّات ، ثمَّ أرسل إليهم علي بن أبي طالب بأموال كثيرة فودى لهم كلَّ الدماء التي أهرقها خالد .

ومهما يعتذر المعتذرون من «أهل السنة والجماعة» عن خالد بن الوليد ، فإنَّ صفحات تاريخه حافلة بالمآسي والمعاصي لكتاب الله وسنة رسوله ، ويكفي الباحث أن يقرأ تاريخه وما فعله في اليمامة أيام أبي بكر ، وغدره بمالك بن نويرة وقومه وكيف قتلهم صبراً وهم مسلمون ودخل بزوجة مالك ونكحها في ليلتها ولم يراعِ في ذلك شرع الإسلام ولا مروءة العرب .

حتَّى أنَّ عمر بن الخطَّاب مع تساهله في الأحكام إلَّا أنَّه شنَّع عليه وسماه عدوَّ الله وتوعَّده بالترجم .

(1) أخرج اليعقوبي في تاريخه ج 2 ص 61 أن عبد الرحمان بن عوف قال : والله لقد قتل خالد القوم وهم مسلمون ، فقال خالد : إنَّما قتلتهم بأبيك عوف بن عبد عوف ، فقال له عبد الرحمان : ما قتلت بأبي ولكنك قتلت بعمِّك الفاكه بن المغيرة .

أنظر رعاك الله : إنَّ خالداً لم ينكر قتله للقوم وهم مسلمون بل اعترف بأنَّه قتلهم بعوف والد عبد الرحمان فهل يحق في دين الله أن يقتل قومٌ برجل واحد وهل يجوز قتل المسلمين برجل كافرٍ .

وعلى الباحثين أن يراجعوا التاريخ بعين البصيرة ومن وجهة النقد البناء الذي يوصلهم إلى الحقيقة بكلّ تجرد وحياد ولا تأخذهم العصبية المذهبية فيقوموا الأشخاص من خلال الأحاديث المكذوبة على النبي (ص)، لأن «أهل السنة والجماعة» وهم بنو أمية في الواقع يمسحون الأحداث التاريخية بحديث واحد يضعونه من عندهم ليقطعوا به الطريق على الباحثين فلا يصلون إلى الحقيقة .

وما أسهل أن يقول أحدهم : قال رسول الله لخالد بن الوليد : «مرحبا بسيف الله» ، فيأخذ هذا الحديث المكذوب مأخذه من نفوس المسلمين الأبرياء الذين يُحسِنون الظن ولا يعرفون خفايا الأمور ودسائس الأمويين ، فيتأولون بعد هذا الحديث الموضوع كلّ ما يُقال في خالد من حقائق ويلتمسون لها أعذاراً .

وهذا ما يُسمّى بالتأثير النفسي على الأشخاص وهو الداء العضال الذي يحجب الإنسان عن الحق ويقلب الواقع تماماً .

خذ لذلك مثلاً ، أبا طالب عمّ النبي (ص) قيل إنه مات على الكفر وإنّ النبي قال فيه : أبو طالب في ضحضاح من نار يغلي منها دماغه .

ومن أجل هذا الحديث المكذوب يعتقد «أهل السنة والجماعة» بأن أبا طالب مشرك وهو في النار ولا يتقبلون بعد ذلك التحليل العقلي الذي يوصلهم إلى الحقيقة وبهذا الحديث تُنسف كل حياة أبي طالب وجهاده في سبيل الإسلام من أجل دعوة ابن أخيه حتّى عاداه قومه وعاداهم إلى أن رضي بالحصار في شعب مكّة لمدة ثلاث سنين مع ابن أخيه يأكل خلالها أوراق الشجر ، وتنسف كل مواقف البطوليّة وأشعاره العقائدية في نصرة دعوة النبي ، وكذلك يُعفى كلّ ما فعله النبي في حقّ عمّه وكيف غسله وكفّنه في قميصه ونزل في قبره وسمّى ذلك العام بعام الحزن وقال : والله ما نالت مني قريش إلّا بعد موت أبي طالب ، وإنّ الله أوحى إليّ أن اخرج منها فقد مات ناصرك ، فهاجر من مكّة في يومه .

وخذ لذلك مثلاً أبا سفيان بن حرب والد معاوية ، قيل إنه أسلم بعد فتح مكّة وقال النبي فيه : «مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن» .

ومن أجل هذا الحديث الذي ليس فيه فضل ولا فضيلة يعتقد «أهل السنة

والجماعة» بأن أبا سفيان أسلم وحسن إسلامه وهو في الجنة لأن الإسلام يجب ما قبله .

ولا يتقبلون بعد ذلك التحليل العقلي الذي يوصلهم إلى الحقيقة، وبهذا الحديث أيضاً يُعفى كل ما فعله أبو سفيان تجاه صاحب الرسالة ودعوته، وتُنسى كل الحروب التي قادها ومولها للقضاء على محمد، ويُنسى حقه وبغضه للنبي حتى أنه لما جاؤوا به وقالوا له أسلم وإلا ضربنا عنقك قال : أشهد أن لا إله إلا الله، فقالوا : قل : أشهد أن محمداً رسول الله فقال : أما هذه ففي نفسي شيء منها .

وكان إذا اجتمع بالنبي بعد استسلامه يقول في نفسه : بأي شيء غلبني هذا؟ فيقول له النبي (ص) بالله غلبتك يا أبا سفيان .

فهذان مثالان ضربتهما من واقعنا الإسلامي حتى يتبين للباحثين مفعول التأثير النفسي على الناس وكيف يحجبهم عن الحق، ومن هذا نفهم بأن «أهل السنة والجماعة» غلّفوا الصحابة بهالة من الأحاديث المكذوبة أكسبتهم حصانة وقداسة في نفوس الغافلين فلم يعودوا يتقبلون فيهم نقد الناقدين ولومة اللائمين .

وإذا اعتقد المسلم بأن هؤلاء بشرهم رسول الله بالجنة فلا يتقبل بعد ذلك فيهم أي قول وكل ما فعلوه يهون ويلتصم لهم فيه أعذار أو تأويلات هذا إذا لم يغلق الباب من أوله .

ولذلك وضعوا لكل واحد من كبرائهم لقباً نسبوه للرسول (ص) فهذا صديق وهذا فاروق وهذا ذو النورين، وهناك حب رسول الله وهناك حوار رسول الله وهناك حبيبة رسول الله، وهناك أمين الأمة وهناك راوية الإسلام، وهناك كاتب الوحي، وهناك صاحب التعلين، وحجج الرسول وسيف الله المسلول، وغير ذلك .

وكلها في الحقيقة لا تُسمن ولا تغني من جوع في ميزان الحق عند الله إن هي إلا أسماءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّمَا الَّذِي يَنْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ وَيَضُرُّهُ الْأَعْمَالُ .

والتاريخ هو خير شاهد على الأعمال وبها تُقيّم شخصية الإنسان وقيّمته ولا نقيّم الإنسان بما يقال فيه كذباً وبُهتاناً.

وهي بالضبط مقولة الإمام علي : إعرف الحقّ تعرف أهله . وبما أننا درسنا التاريخ وعرفنا ما فعله خالد بن الوليد وعرفنا الحقّ من الباطل فلا يمكن لنا أن نسمّيه سيف الله . ويحقّ لنا أن نسأل متى لقّبه رسول الله بذلك ، هل سمّاه سيف الله عندما قتل أهل مكة يوم الفتح وقد عرفنا بأنّه (ص) نهى عن القتال؟ أم عندما بعثه مع سرية زيد بن حارثة إلى مؤتة وقال : إذا قتل زيد ، فجعفر بن أبي طالب وإذا قتل جعفر فعبداً لله بن رواحة ، ولم يعيّنه حتّى في المرتبة الرابعة لقيادة الجيش ، وبعد مقتل الثلاثة لاذ خالد بالفرار من المعركة بمن بقي من الجيش؟

أم لقّبه بسيف الله عندما خرج معه إلى غزوة حنين صحبة اثني عشر ألف مقاتل فأعطى بالأدبار وولّى هارباً تاركاً رسول الله في المعركة ومعه اثنا عشر رجلاً؟

وإذا كان الله يقول : ﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنّم وبئس المصير﴾ (الأنفال : 16) .

فكيف يسمح لسيفه بالهروب؟ إنه حقّ أمرٌ عجيب!

وأنا أعتقد أنّ خالداً لم يكن يعرف هذا اللقب في حياة النبي أصلاً ولم يقله رسول الله أبداً ، وغاية ما هناك أنّ أبا بكر هو الذي أعطى لخالد هذا الوسام عندما بعثه لإسكات الثائرين عليه من أجل الخلافة وفعل بهم ما فعل ونقم عليه عمر بن الخطاب وقال لأبي بكر : «إنّ في سيف خالد لرهقاً» وهو أعرف الناس به وأقربهم إليه ، عند ذلك قال أبو بكر لعمر : إنّ خالد سيفٌ من سيوف الله سلّه على أعدائه ، إنّّه تأوّل فأخطأ ، (ومن هنا جاء هذا اللقب) .

وأخرج الطبري في الرّياض النّضرة أنّه كان في بني سليم ردّة فبعث إليهم أبو بكر خالد بن الوليد فجمع رجالاً منهم في الحضائر وأضرم عليهم النار فأحرقهم ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال : تدع رجلاً يعذب بعذاب الله عز وجل؟

فقال أبو بكر: والله لا أشيئُ سيفاً سلَّه اللهُ على عدوّه حتّى يكون هو الذي يشيئه ، ثم أمره فمضى من وجهه إلى مسيلمة⁽¹⁾.

ومن هنا سمّى «أهل السنّة والجماعة» خالداً بـ «سيف الله المسلول» ولو أنّ خالداً عصى أمرَ الرّسول وحرّق الناس بالنّار ضارباً بالسنّة عرض الجدار.

فقد أخرج البخاري في صحيحه أنّ رسول الله (ص) قال : «إنّ النّار لا يُعذّبُ بها إلّا الله» ، وقوله أيضاً : «لا يعذب بالنّار إلّا ربّها»⁽²⁾.

وقد قدّمنا أنّ أبا بكر كان يقول قبل موته : يا ليتني لم أحرّق الفجاءة السّلمي !

ونحن نقول يا ليت سائلاً يسأل عمر بن الخطاب ويقول له : إذا كنت تعرف أنّه لا يعذب بالنّار إلّا الله ، فلماذا أقسمتَ غداة وفاة الرّسول لتحرقن بيت الزهراء بمن فيها أو تخرجوا للبيعة؟! ولولا تسليم علي وأمره الجماعة بالخروج للبيعة لتفدّت فيهم مُرادك .

وإنّ الشكّ يُداخِلني بعض الأوقات فأستبعد أن يكون عمر يُعارضُ أبا بكر فلا يلتفتُ إليه وإلى معارضته ، فهذا غريبٌ . وقد رأينا أبا بكر لا يقفُ بوجه عمر ولا يثبت أمام معارضته حتّى قال له غير مرّة : لقد قلتُ لك بأنّك أقوى منّي على هذا الأمر فغلبتني ومرّة أخرى لما اشتكى إليه المؤلّفة قلوبهم ففعلَ عمر بالكتاب الذي كتبه إليهم وأنّه بصق فيه ومزقه ، وسألوه : أنت الخليفة أم عمر؟ فقال : بل هو إن شاء الله .

ولذلك أقول : لعلّ المعارض لَه في أفعال خالد البَشعة هو علي بن أبي طالب ، ولكنّ المؤرّخين الأوّلين والرواة كانوا كثيراً ما يتحاشون ذكر اسمه فأبدلوه بعمر ، كما وردت بعض الروايات المسندة إلى أبي زينب أو إلى رجلٍ ويقصدون به علياً ولا يصرّحون بذلك .

وليس هذا إلّا مجرّد احتمال ، أو أنّنا نقبل قول بعض المؤرّخين بأنّ عمر بن

(1) الرياض النضرة للطّبري ج 1 ص 100 .

(2) صحيح البخاري ج 4 ص 325 .

الخطّاب كان يبغض خالداً ولا يطيق رؤيته لأنّه يغار منه فقد استهوى خالد قلوب النّاس بما حقّقه من انتصارات ويُقال بأنّ خالداً صار عُمر في الجاهلية فغلبه وكسّر رجله .

والمهمّ أنّ عمر عزل خالداً يوم تولّى الخلافة ولكن لم يُقم عليه الحدّ بالرجم كما توعّده بذلك .

وبالتّيجة إنّ خالد بن الوليد وعمر بن الخطّاب كانا مترادفين في الشدّة والغطرسة كلّ منهما فظّ غليظ القلب عمل كلّ منهما على مخالفة السنّة النّبوية وعصيان النّبي (ص) في حياته وبعد وفاته ، كما كان كلّ منهما يبغض وصيّ النّبي ويعمل على إبعاده ، وقد تأمر خالد مع عمر وأبي بكر على اغتيال علي عقيب وفاة النّبي ⁽¹⁾ ولكن الله سبحانه وتعالى نجّاهُ منهم ليقضيّ أمراً كان مفعولاً .

ومرة أخرى يتّضح لنا بعد دراسة موجزة لشخصيّة خالد بن الوليد الذي يتغنّى به «أهل السنّة والجماعة» بأنّهم أكثر بُعداً عن السنّة النّبوية وهم يقتدون بمن خالفها ونبذها وراء ظهره ولم يراع لها ولا لكتاب الله حرمة ولا احتراماً .

10 - أبو هريرة الدّوسي

هو من الصّحابة المتأخّرين عن الإسلام وعلى حسب ترتيب الطبقات لابن سعد فهو يُعدّ من الطبقة التاسعة أو العاشرة .

قدم على رسول الله (ص) في آخر السنّة السّابعة للهجرة وبذلك يقول المؤرّخون بأنّ صحبته للنّبي (ص) لم تتجاوز ثلاث سنين ⁽²⁾ على أكثر تقدير ومنهم من ينزل بتلك الصّحبة إلى أقل من سنتين باعتبار أنّ النّبي (ص) بعثه مع ابن الحضرمي إلى البحرين فتوفي رسول الله (ص) وهو بالبحرين .

ولم يكن أبو هريرة من الذين عُرفوا بجهد أو شجاعة ولا من أولئك الدّهاة المفكرين ولا من الفقهاء الحافظين ولم يكن يعرف القراءة والكتابة ، وقدم على

(1)يراجع في ذلك كتاب الاحتجاج للطبرسي .

(2) صحيح البخاري ج 4 ص 175 في ما رواه أبو هريرة عن نفسه باب علامات النّبوة .

رسول الله (ص) على ملء بطنه كما صرح هو بذلك وكما فهم النبي منه ذلك عندما أسكنه في أهل الصفة وكلما جيء للنبي بصدقة من الأكل بعث بها إليهم، وكان كما يروي هو عن نفسه كثير الجوع فيعترض طريق الصحابة ويمثل دور المصروع طمعاً في أن يدخلوه إلى بيوتهم ويطعموه.

ولكنه اشتهر بكثرة الأحاديث التي يرويها عن رسول الله (ص) فبلغت مروياته ما يقرب من ستة آلاف حديث، وهذا ما ألفته نظر المحققين إليه ولأنه مع قلة الصحبة روى أحاديث ووقائع لم يحضرها أبداً.

وجمع بعض المحققين مجموع مرويات الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين وأمتهات المؤمنين وأهل البيت الطاهرين. فلم تبلغ كلها عشر معشار ما رواه أبو هريرة بمفرده، (مع العلم بأن من هؤلاء علي بن أبي طالب الذي صاحب النبي ثلاثين عاماً).

ومن ثم توجهت إلى أبي هريرة أصابع الاتهام ووصفته بالكذب والوضع والتدليس وقالوا بأنه أول راوية اتهم في الإسلام.

ولكن «أهل السنة والجماعة» يلقبونه بـ «راوية الإسلام» ويحترمونه كثيراً ويحتجون به ولعل البعض منهم يعتقد بأنه أعلم من علي وذلك لحديث يرويهِ هو عن نفسه قال: قلت يا رسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه قال: أبسط رداءك فبسطته قال فغرف بيديه ثم قال: ضمه فضمته فما نسيته شيئاً بعده⁽¹⁾.

وأكثر أبو هريرة الرواية عن رسول الله (ص) حتى ضربه عمر بن الخطاب بالدرّة وقال له: قد أكثرت من الرواية وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله. وذلك لرواية رواها أن الله خلق السماوات والأرض والخلق فعده سبعة أيام، فلما سمع بذلك عمر دعاه وطلب منه إعادة الحديث فلما أعاده ضربه عمر وقال: يقول الله في ستة أيام وأنت تقول في سبعة؟ فقال أبو هريرة: علني سمعته من كعب الأحبار، فقال عمر: مادمت لا تفرق بين أحاديث النبي وكعب الأحبار فلا تتحدث⁽²⁾.

(1) صحيح البخاري ج 1 ص 38 من كتاب العلم باب حفظ العلم وكذلك ج 3 ص 2.

(2) أنظر كتاب أبي هريرة لمحمود أبو رية المصري.

كما يُروى أنّ الإمام علي بن أبي طالب قال : ألا إنّ أكذب الأحياء على رسول الله أبو هريرة الدوسي⁽¹⁾.

كما أنّ عائشة أمّ المؤمنين كذّبتُهُ عدّة مرّات في عدّة أحاديث كان يرويها عن رسول الله ، فأنكرت عليه مرّة وقالت له : متى سمعت رسول الله يقول ذلك؟

فقال لها : لقد شغلّك عن حديث رسول الله (ص) المرأة والمكحلة والخضاب ، ولما أصرّرت على تكذيبه وشهرت به ، وتدخل مروان بن الحكم وثبّت من صحّة الحديث اعترف عند ذلك أبو هريرة وقال : إني لم أسمعه من رسول الله (ص) وإنّما سمعته من الفضل بن العباس⁽²⁾.

وفي هذه الرواية بالخصوص اتّهمه ابن قتيبة وقال فيه : لقد استشهد أبو هريرة بالفضل بن العباس بعد موته ، ونسب الحديث إليه ليوهم النّاس بأنّه سمعه منه⁽³⁾.

كما قال ابن قُتيبة في كتابه «تأويل مختلف الحديث» : «كان أبو هريرة يقول : قال رسول الله (ص) كذا وكذا ، وإنّما سمعته من غيره».

كما أنّ الذهبي أخرج في كتابه «أعلام النبلاء» بأنّ يزيد بن إبراهيم سمع شعبة بن الحجاج يقول : كان أبو هريرة مدلساً.

وجاء في كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير أنّ يزيد بن هارون سمع شعبة يقول فيه ذلك أيضاً يعني كان مدلساً ، وكان يروي ما سمعه من كعب الأحبار ومن رسول الله (ص) ولا يميّز بين هذا وهذا .

كما أنّ أبا جعفر الإسكافي قال : أبو هريرة مدخولٌ عند شيوخنا غير مرضي الرواية⁽⁴⁾.

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 4 ص 28 .

(2) صحيح البخاري ج 2 ص 232 باب الصائم جنباً وموطأ مالك ج 1 ص 272 .

(3) سير أعلام النبلاء للذهبي .

(4) شرح ابن أبي الحديد المعتزلي ج 4 ص 68 .

وقد اشتهر أبو هريرة في حياته من بين الصحابة بالكذب والتدليس والإكثار من الأحاديث الموضوعة حتى أن بعضهم كان يستهزئ به ويطلب منه وضع الأحاديث لما يريد .

فقد رُوِيَ أَنَّ رجلاً من قریش لبسَ جبّةً جديدةً وأخذ يتبخترُ فيها ومَرَّ بأبي هريرة فقال له : يا أبا هريرة إنَّكَ تكثُرُ الحديثَ عن رسول الله (ص) فهل سمعته يقول في حلتي هذه شيئاً؟

فقال أبو هريرة : سمعتُ أبا القاسم يقول : إنَّ رجلاً مَن كان قبلكم بينما كان يتبخترُ في حُلَّتِهِ إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجلُ فيها حتى تقوم الساعة ، فوالله ما أدري لعلّه كان من قومك ورهطك (1) .

وكيف لا يشكّ النَّاسُ في روايات أبي هريرة إذا كانت متناقضة ، فقد يروي حديثاً ثم يروي نقيضه وإذا عارضوه واحتجّوا عليه بما رواه سابقاً ، يعرضُ عنهم أو يَربِطن بالحِشْيَةِ (2) .

وكيف لا يتهمونه بالكذب والوضع وقد شهد هو على نفسه بأنّه يُحدِّث من جُعبته وينسبه للنبي (ص) .

أخرج البخاري في صحيحه أنّ أبا هريرة قال : قال النبي (ص) : أفضل الصدقة ما ترك غنيّ واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى ، وأبدأ بمن تعول ، تقول المرأة إمّا أن تُطعمني وإمّا أن تُطلّقني ، ويقول العبد أطعمني واستعملني ويقول الابن أطعمني إلى من تدعُني ، فقالوا : يا أبا هريرة سمعت هذا من رسول الله (ص) ؟!

فقال : لا هذا من كيس أبي هريرة (3) .

أنظر كيف يبدأ الحديث بقوله : قال النبي (ص) ثم بعد ذلك عندما يُنكرونها عليه ويستفهمونه ، يعترف بوضعه ويقول هو من كيس أبي هريرة!

(1) البداية والنهاية ج 8 ص 108 .

(2) صحيح البخاري ج 7 ص 31 باب لا هامة .

(3) صحيح البخاري ج 6 ص 190 باب وجوب التفقة على الأهل والعيال .

فهنيئاً لأبي هريرة بهذا الكيس المليء بالكاذيب والأساطير والذي وجد له رواجاً عند معاوية وبني أمية واكتسب من ورائه الجاه والسلطان والأموال والقصور فقد ولّاه معاوية ولاية المدينة المنورة وبنى له قصر العقيق وزوجه من المرأة الشريفة التي كان أبو هريرة يخدمها .

وإذا كان أبو هريرة وزير معاوية المقرب فليس ذلك لفضله ولا لشرفه أو علمه ولكنّه كان يجد عنده الأحاديث التي يريدّها ويروّجها وإذا كان بعض الصحابة يتلكأون في لعن أبي تراب ويجدون في ذلك حرجاً ، فإنّ أبا هريرة لعن عليّاً في عقر داره وعلى مسمع من شيعته .

روى ابن أبي الحديد قال : لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة ، فلمّا رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ، ثمّ ضرب صلعته وقال : يا أهل العراق أتزعمون أنّي أكذب على رسول الله وأحرق نفسي بالنار ، والله لقد سمعتُ رسول الله يقول : إنّ لكلّ نبي حرماً وإنّ حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وأشهد أنّ عليّاً قد أحدث فيها .

فلما بلغ معاوية قوله أجازّه وأكرمه وولّاه المدينة (1) .

ويكفيّننا دليلاً أنّه كان والياً على المدينة من قبل معاوية ، ولا شكّ في أنّ المحقّقين والباحثين الأحرار سيشتكّون في كلّ من تولّى عدوّ الله ورسوله وعادى وليّ الله ورسوله .

ولا شكّ في أنّ أبا هريرة لم يصل إلى ذلك المنصب الرفيع وهو ولاية المدينة عاصمة الإسلام ، إلّا للخدمات التي أسداها لمعاوية وحكّام بني أمية ، وسبحان مقلب الأحوال فقد جاء أبو هريرة إلى المدينة غريباً ليس له إلّا نمرة يسترّ بها عورته ويستجدي المارة ليسدّوا رمقه والقمل يجري فوق جلده .

وإذا به فجأة يُصبح والي المدينة المنورة يسكن قصر العقيق وعنده الأموال والخدم والعبيد ولا يتكلّم الناس إلّا بإذنه .

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 4 ص 67 .

كل ذلك من بركات كيسه ، فلا تنس ولا تتعجب فإنك ترى اليوم نفس المسرحيات تتكرر والتاريخ يعيد نفسه فكم من مُعدم جاهل تقرب إلى الحاكم وانخرط في الحزب فأصبح سيداً مُهاباً يُقيم الدنيا ويُقعدُها ، يصول ويجول وتحت تصرفه الأموال التي لا تخضع للحساب والسيارات التي لا تخضع للرقابة والمأكولات التي لا تُباع في الأسواق ومع كل ذلك فهو لا يُحسن الكلام حتى بلغته ولا يفهم من معاني الحياة غير بطنه وفرجه غاية ما هنالك أن له كيساً مثل كيس أبي هريرة مع وجود الفارق طبعاً . ولكن الهدف واحد هو إرضاء الحاكم والترويج له لدعم ملكه وتثبيت عرشه والقضاء على أعدائه .

وقد كان أبو هريرة يحب الأمويين ويحبونه من زمن عثمان بن عفان زعيمهم . فكان رأيه في عثمان مخالف لكل الصحابة من المهاجرين والأنصار ، فهو يكفر الصحابة الذين شاركوا في قتل عثمان وألبوا عليه .

ولا شك بأنه كان يتهم علي بن أبي طالب بقتل عثمان ، ونفهم ذلك من حديثه في مسجد الكوفة وقوله بأن علياً أحدث في المدينة ويلعنه على لسان النبي والملائكة والناس أجمعين .

ولذلك ينقل ابن سعد في طبقاته أنه لما مات أبو هريرة سنة 59 كان ولد عثمان بن عفان يحملون سريره حتى بلغوا البقيع حفظاً بما كان من رأيه في عثمان⁽¹⁾ .

وإن الله في خلقه شؤوناً ، إذ يموت عثمان بن عفان سيد قريش وعظيمها مقتولاً ويذبح ذبح النعاج وهو خليفة المسلمين الذي لقبوه بذي النورين والذي تستحي منه الملائكة كما يزعمون ، ولا يُغسل ولا يكفن ويعطّل دفنه ثلاثة أيام ثم يدفن في مقبرة اليهود .

ويموت أبو هريرة الدوسي في العزّ والجاه وقد كان مُعدماً ولا يعرف أحدٌ قومه ولا عشيرته وليس له في قريش قرابة ، فيحمله أولاد الخليفة الذين أصبحوا في عهد معاوية ولاية الأمور ويدفنونه في بقيع رسول الله !

وهلم بنا الآن إلى أبي هريرة لنعرف موقفه من السنة النبوية .

(1) طبقات ابن سعد ج 2 ص 63 .

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: حفظت عن رسول الله (ص) وعاءين فأما أحدهما فبثته وأما الآخر فلو بثته قُطِعَ هذا البلعوم⁽¹⁾.

وإذا قلنا في الأبحاث السابقة أن أبا بكر وعمر قد أحرقا السنة النبوية المكتوبة ومنعا المتحدثين من نقلها، فهذا هو أبو هريرة يفصح بهذا الحديث عن المكنون ويؤكد ما ذهبنا إليه، ويعترف بأنه ما كان يحدث إلا بما يروق الخلفاء الحاكمين.

وعلى هذا الأساس فإن أبا هريرة كان يملك كيسين أو وعاءين أحدهما كان بيته وهو الذي تحدثنا عنه وفيه ما يشتهي الحاكمون.

وأما الوعاء الثاني الذي كتبه أبو هريرة ولم يحدث به خوفاً من أن يقطع بلعومه فهو الذي يحوي الأحاديث الصحيحة للنبي (ص).

ولو كان أبو هريرة ثقة ما كان ليكتُم الأحاديث الحقيقية وبيت الأوهام والأكاذيب لتأييد الظالمين، وهو يعلم بأن الله لعن من يكتُم البيئات.

فقد أخرج له البخاري قوله: إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً، ثم يتلو: إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البيئات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، وإن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم النبي بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون⁽²⁾.

فكيف يقول أبو هريرة: لولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً، ثم يقول هنا حفظت عن رسول الله وعاءين فأما أحدهما فبثته وأما الوعاء الثاني لو بثته قُطِعَ هذا البلعوم! وهل هذه إلا شهادة منه بأنه كتُم الحق رغم الآيتين في كتاب الله؟!

(1) صحيح البخاري ج 1 ص 38 باب حفظ العلم.

(2) صحيح البخاري ج 1 ص 37 باب حفظ العلم.

وإذا كان النبي (ص) قال لأصحابه : ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم⁽¹⁾
وقال : ربّ مُبلّغ أوعى من سامع . وأخرج البخاري أنّ النبي حرّض وفد عبد
القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا به من وراءهم⁽¹⁾.

فهل لنا أن نتساءل وهل للباحثين أن يتساءلوا لماذا يُقتل الصّحابي عندما
يتحدّث بحديث النبي (ص) ويُقطع منه البلعوم؟!

فلا بدّ أنّ هناك سرّاً لا يُحبّ الخلفاء إفشاءه وقد أشرنا إلى ذلك السرّ في
الأبحاث السّابقة من كتاب «فاسألوا أهل الذكر» ونوجز هنا بأنّه يتعلّق بالنص
على خلافة علي .

وليس اللّوم على أبي هريرة فقد عرف قدره وشهد على نفسه بأنّ الله لعنه
ولعنه اللاعنون إذ كتم حديث النبي .

ولكنّ اللّوم على «أهل السنّة والجماعة» الذين يجعلون من أبي هريرة راوية
السنّة، وهو يشهد بأنّه كتمها ويشهد بأنّه دلّسها وكذب عليها ويشهد أيضاً
بأنّها اختلطت عليه فلم يعرف حديث النبي من حديث غيره .

وهذا كلّ من أحاديث واعترافات صحيحة جاءت في صحيح البخاري
وغیره من صحاح «أهل السنّة والجماعة» .

كيف يطمئنّون لرجل طعن في عدالته أمير المؤمنين علي بن أبي طالب واتّهمه
بالكذب فقال : إنّهُ أكذب الأحياء على النبي ، واتّهمه عمر بن الخطّاب وضربه
وهذّده بالنّفي ، كما طعن في عائشة وكذّبت عدّة مرّات ، وطعن فيه كثير من
الصّحابة وردّوا أحاديثه المتناقضة فكان يعترف مرّة ويرطن بالحبشيّة أخرى
وطعن فيه كثير من علماء الإسلام واتّهموه بالكذب والتدليس والتكالب على
موائد معاوية وذهبه وفضّته .

فكيف يصحّ بعد كلّ هذا أن يصبح أبو هريرة راوية الإسلام يأخذون عنه
أحكام الدّين؟

وقد أكّد بعض العلماء المحقّقين بأنّ أبا هريرة هو الذي أدخل في الإسلام

(1) صحيح البخاري ج 1 ص 30 .

عقائد اليهود والإسرائيليات التي ملأت كتب الحديث ، أو أنّ كعب الأخبار اليهودي هو الذي أدخلها عن طريقه وبواسطته ، فجاءت روايات تشبيه الله وتجسيمه ونظرية الحلول ، والأقوال المنكرة في الأنبياء والمرسلين كلّها عن أبي هريرة .

فهل يتوب «أهل السنة والجماعة» إلى رشدهم ليعرفوا عمّن يأخذون السنة الحقيقية وإذا ما سألوا فنقول لهم : تعالوا إلى باب مدينة العلم والأئمة من بنيه فهم حفظة السنة وهم أمان الأمة وهم سفينة النجاة وهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى وهم العروة الوثقى وحبل الله المتين .

11 - عبدالله بن عمر

هو من مشاهير الصحابة الذين كان لهم دورٌ كبير في سير الأحداث التي وقعت في زمن الخلفاء الثلاثة وفي عهد بني أمية ، ويكفي أنّ أباه عمر بن الخطاب ليكون عند «أهل السنة والجماعة» معظماً ومحبباً ، فهم يعدّونه من أكبر الفقهاء ومن حفاظ «الأحاديث النبوية» ، حتّى أنّ الإمام مالكاً اعتمد عليه في أكثر أحكامه ، كما أنّه أشيع كتاب الموطأ من أحاديثه .

وإذا تصفّحنا كتب «أهل السنة والجماعة» وجدناها حافلة بذكره والثناء عليه .

غير أنّنا عندما نقرأ ذلك بعين الباحث البصير يتبيّن لنا أنّه كان بعيداً عن العدالة وعن الصدق وعن السنة النبوية وعن الفقه وعلوم الشريعة .

وأوّل ما يلفتُ انتباهنا هو عداؤه الشديد وبغضه لسيد العترة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وصل به إلى حدّ الوقعة فيه واعتباره من سوقة الناس .

وقد قدّمنا فيما سبق بأنّه رَوّج أحاديث مكدوبة مفادها أنّهم كانوا يُفاضلون على عهد النبي (ص) وعلى مسمع منه بأنّ أفضل الناس أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ الناس بعد ذلك سواء ، فيسمع ذلك النبي ولا ينكره⁽¹⁾ .

(1) أخرجه البخاري ومسلم ومالك وغيرهم .

وهو كما ترى كذبٌ مفضوح يضحك منه العقلاء وقد بحثنا عن حياة عبد الله بن عمر في حياة النبي (ص) فوجدناه شاباً صغيراً لم يبلغ الحلم ولم يكن له مع أهل الحل والعقد شأنٌ يذكر ولا رأيٌ يُسمع، وقد تُوفي رسول الله (ص) وعبد الله بن عمر في التاسعة عشر من عمره على أحسن التقادير.

فكيف يقول والحال هذه: كنّا نفاضلُ في عهد النبي؟ اللهم إلا إذا كان ذلك حديث الصّبيان فيما بينهم من أولاد أبي بكر وعثمان وإخوته هو، ومع ذلك فلا يصحّ أن يُقال كان النبي (ص) يسمعُ ذلك فلا ينكره! فدَل ذلك على كذب الحديث وسوء النوايا.

أضف إلى ذلك أن النبي (ص) لم يأذن لعبد الله بن عمر بالخروج معه إلا في غزوة الخندق وما بعدها من الغزوات إذ بلغ عمره خمسة عشر عاماً⁽¹⁾.

فلا شك أنه حضر غزوة خيبر التي وقعت في السنة السابعة للهجرة النبوية، ورأى بعينه هزيمة أبي بكر وكذلك هزيمة أبيه عمر، وسمع بلا شك قول الرسول (ص) عند ذلك: «لأعطينَ الزّاية غداً إلى رجل يحبُّ الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله كراماً ليس قرأاً امتحن الله قلبه للإيمان» ولما أصبح أعطاهما لقاطع اللذات ومفرّق الجماعات ومفرّج الكربات وصاحب الكرامات أسد الله الغالب علي بن أبي طالب⁽²⁾.

وقد أبانَ حديث الزّاية هذا فضل علي وفضائله على سائر الصّحابة وعلو مقامه عند الله ورسوله وفوزه بمحبّة الله ورسوله. ولكنّ بغض عبد الله بن عمر شاء أن يجعل عليّاً من سوقة الناس!

وقد قدّمنا بأنّ «أهل السنّة والجماعة» عملوا بهذا الحديث الذي أوحاه إليهم سيّدهم عبد الله بن عمر، فلم يعدّوا علي بن أبي طالب ضمن الخلفاء الراشدين، كلاً ولم يعترفوا بخلافته إلا في زمن أحمد بن حنبل كما أثبتناه، عندما افتضحوا في عهد كثر فيه الحديث والمحدثون، وبدأت أصابع الاتهام تتوجّه

(1) صحيح البخاري كتاب الشهادات باب بلوغ الصّبيان خ 3 ص 158.

وكذلك صحيح مسلم كتاب الإمامة باب سن البلوغ.

(2) ذكر حديث الزّاية كلّ من البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والإمام أحمد وأبو داود وكلّ المحدثين.

إليهم وتوصمهم بالتصّب والبغض لأهل البيت النبوي ، وقد عرف المسلمون
كلّهم بأنّ بغض علي من أكبر علامات التّفاق .

عند ذلك اضطرّوا للقول بخلافة علي وأحقّوه بركب الرّاشدين وتظاهروا
بمحبة أهل البيت زوراً وبهتاناً .

وهل من سائل يسأل ابن عمر ، لماذا اختلف المسلمون كلّهم أو جلّهم بعد
وفاة النّبي (ص) فيمن يستحقّ الخلافة ومن هو أولى بها فاختلفوا في علي وأبي
بكر فقط ولم يكن لأبيه عمر ولا لابن عفّان سوق رائجة في ذلك العهد؟

وهل من سائل يسأل ابن عمر ، إذا كان النّبي (ص) يقرّك على رأيك ، فلا
يعدل بأبي بكر أحداً ثمّ عمر ثمّ عثمان ، فلماذا ولي عليهم قبل وفاته بيومين شاباً
لا نبات بعارضيّه أصغر منك سنّاً وأمرهم بالسير تحت إمرته وقيادته؟ أترأه يهجر
كما قال أبوك؟

وهل من سائل يسأل ابن عمر ، لماذا قال المهاجرون والأنصار غداة بيعة أبي
بكر لفاطمة الزّهراء : والله لو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما
كنّا نعدل به أحداً ، وهو اعتراف من كبار الصّحابة بأنّهم لا يعدلون بعلي أحداً ،
لولا ما سبقت يبعثهم التي سمّوها فلتة . فما هي قيمة رأي عبدالله بن عمر
المراهق المغرور الذي لا يعرف كيف يطلق زوجته من آراء كبار الصّحابة؟

وأخيراً هل من سائل يسأل عبدالله بن عمر ، لماذا اختار جلّ الصّحابة علي
بن أبي طالب للخلافة بعد مقتل عمر وقدموه على عثمان ، لولا رفضه شرط ابن
عوف في الحكم بسنة الشيخين⁽¹⁾؟

ولكنّ عبدالله بن عمر تأثر بأبيه ، فقد عاش خلافة أبي بكر وخلافة عمر
وخلافة عثمان وهو يرى علي بن أبي طالب مُبعداً ، ليس له في الجماعة مجلس ولا
في الحكومة منصبٌ وقد تحوّلت عنه وجوه النّاس بعد وفاة ابن عمّه (ص)
وزوجته سيّدة النّساء وليس عنده ما يطمع النّاس فيه .

(1) تاريخ الطبري ج 5 ص 40 ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 104 ، تاريخ ابن قتيبة وكذلك مسند أحمد ،
ج 1 ص 75 .

ولا شك في أن عبد الله بن عمر كان أقرب الناس لأبيه فكان يسمع آراءه ويعرف أصدقاءه وأعداءه، فشبَّ على ذلك البغض والحقد والكرهية لعلِّي خاصة ولأهل البيت عامة وترعرع وكبر على ذلك، حتَّى إذا رأى يوماً علياً وقد بايعه المهاجرون والأنصار بعد مقتل عثمان، فكبر ذلك عليه ولم يتحمَّله وأظهر المكنون من حقه الدفين فرفض أن يُبايع إمام المتقين وولي المؤمنين ولم يتحمَّل البقاء في المدينة فخرج إلى مكَّة مدَّعيًا العمرة.

ونرى بعد ذلك عبد الله بن عمر يعمل كلَّ ما في وسعه لتثييط الناس وفكَّ عزائمهم ليحجموا عن نصره الحقِّ ومقاتلة الفئة الباغية التي أمر الله بمقاتلتها حتَّى تفيء إلى أمر الله. فكان من الخاذلين الأولين لإمام زمانه المفترض الطاعة.

وبعد مقتل الإمام علي وتغلَّب معاوية على الإمام الحسن بن علي وانتزاع الخلافة منه، خطب معاوية في الناس قائلاً: «إني لم أقاتلكم لتصلُّوا أو تصوموا وتحجُّوا ولكن قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك».

نرى عبد الله بن عمر يُسارع عند ذلك إلى بيعة معاوية بدعوى أن الناس اجتمعوا عليه بعدما كانوا متفرِّقين!

وأنا أعتقد بأنَّه هو الذي سمَّى ذلك العام بعام الجماعة فهو وأتباعه من بني أمية أصبحوا «أهل السنة والجماعة» من ذلك الوقت وحتَّى قيام الساعة.

وهل من سائل يسأل ابن عمر ومن يقول بمقالته من «أهل السنة والجماعة» متى حصل الإجماع على خليفة في التاريخ كالذي حصل لأُمير المؤمنين علي بن أبي طالب؟

فخلافة أبي بكر كانت فلتةً وقى الله شرَّها وقد تخلف عنها كثير من الصَّحابة.

وخلافة عمر كانت بدون مشورة بل بعهد من أبي بكر ولم يكن للصَّحابة فيها رأي ولا قول ولا عمل.

وخلافة عثمان كانت بالثلاثة الذين اختارهم عمر بل تمَّت باستبداد عبد الرحمن بن عوف وحده.

أما خلافة علي فكانت ببيعة المهاجرين والأنصار له بدون فرض ولا إكراه، وكتب بيعته إلى الآفاق فأذعنوا كلهم إلا معاوية من الشام⁽¹⁾.

وكان من المفروض على ابن عمر و «أهل السنة والجماعة» أن يقتلوا معاوية بن أبي سفيان الذي شقّ عصا الطاعة وطلب الخلافة لنفسه، وذلك حسب الروايات التي أخرجوها في صحاحهم من أنّ رسول الله (ص) قال: إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما⁽²⁾.

وقال (ص) كما جاء في صحيح مسلم وغيره: «مَنْ بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليعطه إن استطاع، فإنّ جاء آخر ينازعه فاضربوا عنقه الآخر»⁽³⁾.

ولكنّ عبدالله بن عمر عكس الآية تماماً وبدلاً من الامتثال لحديث النبي وأوامره ومقاتلة معاوية وقته لأنّه نازع خليفة المسلمين وأشعل نار الفتنة، نراه يمتنع عن بيعة علي التي أجمع عليها المسلمون ويبايع معاوية الذي شقّ عصا الطاعة ونازع الإمام وقتل الأبرياء وتسبّب في فتنة بقيت آثارها إلى اليوم.

ولذلك أعتقد بأنّ عبدالله بن عمر قد شارك معاوية في كلّ ما ارتكبه من جرائم وموبقات وآثام، لأنّه شيدّ ملكه وأعانه على التسلّط والاستيلاء على الخلافة التي حرّمها الله ورسوله على الطّلقاء وأبناء الطّلقاء، كما ورد ذلك في الحديث الشريف.

ولم يكتفِ عبدالله بن عمر بذلك فحسب، بل سارع لبيعة يزيد بن معاوية، يزيد الخمر والفجور والكفر والفسوق الطّليق ابن الطّليق واللّعين ابن اللّعين.

وإذا كان عمر بن الخطاب كما ذكره ابن سعد في طبقاته يقول: «لا تصلح الخلافة لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح»⁽⁴⁾، فكيف يخالف عبدالله أباه

(1) ابن حجر في فتح الباري ج 7 ص 586.

(2) صحيح مسلم ج 6 ص 23، مستدرك الحاكم ج 2 ص 156، سنن البيهقي ج 8 ص 144.

(3) صحيح مسلم وسنن البيهقي وسنن ابن ماجه.

(4) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 ص 248.

في هذا المبدأ الذي سطره من قبل ، وإذا كان عبدالله بن عمر يخالف كتاب الله وستة رسوله في أمر الخلافة فلا نستغرب أن يعمل بعكس رأي أبيه .

ثم هل لنا أن نسأل عبدالله بن عمر: أي إجماع وقع على بيعه يزيد بن معاوية وقد نبذه صلحاء الأمة وبقية المهاجرين والأنصار ومنهم سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عباس وكل من سار معهم ورأى رأيهم؟

والمعروف أنه هو نفسه كان من المعارضين لبيعة يزيد في البداية ولكن معاوية عرف كيف يستميله فأرسل إليه مائة ألف درهم فقبلها ، فلما ذكر له البيعة لابنه يزيد قال ابن عمر: هذا ما أراد؟ إن ديني إذن علي لرخيص⁽¹⁾.

نعم لقد باع عبدالله بن عمر دينه بثمن رخيص كما شهد بذلك على نفسه ، وهرب من بيعة إمام المتقين وأسرع لبيعة إمام الباغين معاوية وإمام الفاسقين يزيد ، وكما تحمّل أوزار تلك الجرائم التي سببها حكم معاوية الظالم ، فإنه يتحمّل بلا شك أوزار جرائم يزيد وعلى رأسها انتهاك حرمة رسول الله وقتل ريحانته سيد شباب أهل الجنة وعتره النبي (ص) والصالحين من أبناء الأمة الذين قتلهم في كربلاء وفي وقعة الحرة .

ولم يكتفِ عبدالله بن عمر بهذا الحدة من البيعة إلى يزيد فحسب بل عمل على حمل الناس عليها وردّهم إليها وخوف كل من تحدّثه نفسه بالخروج عليها .

فقد أخرج البخاري في صحيحه وغيره من المحدثين بأن عبدالله بن عمر جمع ولده وحشمه ومواليه - وذلك عندما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية - فقال لهم : إنا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله⁽²⁾ وإني سمعتُ رسول الله (ص) يقول : إن الغادر ينصبُ له لواء يوم القيامة فيقال : هذه غدره فلان ،

(1) أنساب الأشراف للبلذري ج 5 ص 31. والاستيعاب لابن عبد البر ج 2 ص 396. وأسد الغابة، ج 3، ص 289.

(2) هل أمر الله ورسوله ببيعة الفساق والمجرمين؟ أم أنه أمر ببيعة أوليائه الصالحين فقال : ﴿إنا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾؟

وإنّ من أعظم الغدر بعد الإشراف بالله أن يبايع رجلٌ رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ينكث بيعته⁽¹⁾ ولا يخلعن أحدٌ منكم يزيد ولا يشرفن أحدٌ منكم في هذا الأمر فيكون صليماً بيني وبينه⁽²⁾.

ولقد قوي بطش يزيد بموالاته عبد الله بن عمر له وتحريضه الناس على بيعته، فجهّز جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة من أكابر الفاسقين وأمره بالسّير إلى مدينة الرسول وأباح له أن يفعل فيها ما يشاء فقتل عشرة آلاف من الصّحابة وسبى نساءهم وأموالهم وقتل سبعمئة من حفاظ القرآن على ما يذكره البلاذري، وهتك الحرمات من الحرائر المسلمات حتى ولدن من سفاح أكثر من ألف مولود، وأخذ منهم البيعة على أنّهم كلّهم عبيد لسيّده يزيد.

أفلم يكن عبد الله بن عمر شريكه في كلّ ذلك إذ عمل على دعمه وتأييده؟ أترك الاستنتاج في ذلك إلى الباحثين!

ولم يقف عبد الله بن عمر عند هذا الحدّ بل تعدّاه إلى بيعته مروان بن الحكم الوزغ اللّعين والطلّيق الفاجر الذي حارب عليّاً وقتل طلحة وفعل الأفاعيل، من حرق بيت الله الحرام ورميها بالمجانيق حتّى هدم ركنها، وقتل فيها عبد الله بن الزبير، وأعمال أخرى يندى لذكرها الجبين.

ثمّ يذهب ابن عمر في البيعة أشواطاً ويذهب إلى بيعته الحجاج بن يوسف الثّقفي الزنديق الأكبر الذي كان يستهزئ بالقرآن ويقول ما هو إلّا رجز الأعراب، ويفضّل على رسول الله سيّده عبد الملك بن مروان، الحجاج الذي عرف بوائقه الخاصّ والعام حتّى قال المؤرّخون بأنّه انتقض كلّ أركان الإسلام.

ذكر الحافظ بن عساكر في تاريخه أنّ رجلين اختلفا في الحجاج قال أحدهما: هو كافر، وقال الثاني: بل هو مؤمن ضالّ، ولما تعاندا سألاً الشعبي عنه

(1) ليت ابن عمر قال هذا لطلحة والزبير اللذين نكثا بيعتهما لعلي وحارباه وليت «أهل السنّة والجماعة» عملوا بهذا الحديث في تقسيم الرجال! وإذا كان نكث البيعة من أعظم الكبائر الذي تأتي بعد الإشراف، فما هو مصير طلحة والزبير اللذين لم ينكثا البيعة فقط ولكنّها هتكا الأعراض وقتلا الأبرياء ونهباً الأموال وخاناً العهد؟؟؟

(2) صحيح البخاري ج 1 ص 166، مسند أحمد ج 2 ص 96، سنن البيهقي ج 8 ص 159.

فقال : إنه مؤمن بالجُبتِ والطَّاغوت وكافر بالله العظيم (1).

هذا الحجاج المجرم المنتهك لما حرّم الله والذي يذكر المؤرّخون بأنّه أسرف في القتل والتعذيب والتمثيل بصلحاء الأمة والمخلصين وخصوصاً منهم شيعة آل محمّد ، فإنّهم لا قوا منه ما لم يُلاقوه من غيره .

يقول ابن قتيبة في تاريخه بأنّ الحجاج قتل في يوم واحدٍ بضع وسبعين ألفاً حتّى سالت الدّماء إلى باب المسجد وإلى السّكك (2).

ويقول الترمذي في صحيحه : أحصى ما قتل الحجاجُ صبراً فوجد مائة وعشرون ألفاً (3).

ويقول ابن عساكر في تاريخه بعد ذكر من قتلهم الحجاج : ووجد في سجنه بعد موته ثمانون ألفاً منهم ثلاثون ألف امرأة (4).

وكان الحجاج يشبّه نفسه برّب العزّة والجلالة فإذا مرّ قرب السّجن وسمع نداء المسجونين واستغاثتهم له يقول لهم : إخسأوا فيها ولا تكلموني .

هذا الحجاج الذي تنبأ به رسول الله (ص) قبل وفاته فقال : إنّ في ثقيف كذاباً ومُبيراً . والغريب أنّ راوي هذا الحديث هو عبدالله بن عمر نفسه (5)!

نعم لقد ترك عبدالله بن عمر بيعة خير البشر بعد النّبي ولم ينصره ولم يصلّ وراءه ، فأذله الله سبحانه وذهب إلى الحجاج يقول : سمعتُ رسول الله (ص) يقول : «مَنْ مات وليست في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» . فاحتقره الحجاج اللّعين وأعطاه رجله قائلاً : إنّ يدي مشغولة فبايعه ، وكان يصلي خلف الحجاج الزنديق وخلف واليه نجدة بن عامر رأس الخوارج (6).

ولا شكّ بأنّ عبدالله بن عمر اختار الصّلاة وراء هؤلاء لأنّهم كانوا مشهورين

(1) تاريخ ابن عساكر ج 4 ص 81 .

(2) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج 2 ص 26 .

(3) صحيح الترمذي ج 9 ص 64 .

(4) تاريخ ابن عساكر ج 4 ص 80 .

(5) صحيح الترمذي ج 9 ص 64 ومسنّد أحمد بن حنبل ج 2 ص 91 .

(6) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 4 ص 110 والمحلى لابن حزم ج 4 ص 213 .

بشتم ولعن علي بعد كل صلاة. فكان ابن عمر يشفي غليله ويروي حقه الدّفين وهو يسمع ذلك فيرتاح قلبه ويهدأ روعه.

ولذلك نجد مذهب «أهل السنّة والجماعة» يفتون بالصّلاة وراء البرّ والفاجر، وراء المؤمن والفاسق وذلك استناداً لما فعله سيّدهم وفقه مذهبهم عبدالله بن عمر في صلاته وراء الحجاج الزنديق والخارجي نجدة بن عامر.

أمّا ما قاله الرّسول (ص): يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسّنّة، فإن كانوا في السنّة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلماً⁽¹⁾. فيضرب به عرض الجدار.

وليست هذه الخصال الأربعة - حفظ القرآن، وحفظ السنّة، وقدم الهجرة، وقدم الإسلام - ولا واحدة منهنّ توجد في هؤلاء الذين بايعهم ابن عمر وصلى بإمامتهم لا معاوية ولا يزيد ولا مروان ولا الحجاج ولا نجدة الخارجي.

وهذه طبعاً من السنن النبوية التي خالفها عبدالله بن عمر وضرب بها عرض الجدار وعمل بعكسها تماماً إذ أنّه ترك سيد العترة الطاهرة علياً الذي اجتمعت فيه كلّ هذه الخصال وأكثر منها فنبذه وراء ظهره ويمّم وجهه شطر الفساق والخوارج والملحدين أعداء الله ورسوله واقتدى بصلاتهم!

وكم لعبدالله بن عمر فقيه «أهل السنّة والجماعة» من مخالفت لكتاب الله وسنّة رسوله (ص). ولو شئنا لجمعنا في ذلك كتاباً مُستقلاً، ولكنّ يكفيننا ذكر بعض الأمثلة من كتبهم وصحاحهم حتّى تكون حجّتنا بالغة.

خلاف عبدالله بن عمر للكتاب والسنّة

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله﴾ (الحجرات: 9) وقال الرّسول (ص): «يا علي أنت تقاتل بعدي النّاكثين والقاسطين والمارقين».

فيخالف عبدالله بن عمر نصوص القرآن والسنّة النبوية كما يخالف إجماع

(1) صحيح مسلم ج 2 ص 133، صحيح الترمذي ج 6 ص 34، سنن أبي داود ج 1 ص 96.

الأمة من المهاجرين والأنصار الذين قاتلوا مع أمير المؤمنين ، ويقول برأيه : لا أقاتل في الفتنة وأصلي وراء من غلب (1).

كما ذكر ابن حجر بأنّ عبدالله بن عمر كان من رأيه ترك القتال في الفتنة ولو ظهر أن إحدى الطائفتين مُحِقَّة والأخرى مُبطلَة (2).

عجيبٌ والله أمرُ عبدالله بن عمر الذي يرى الحقَّ مع طائفة ويرى الباطل مع الأخرى ثم لا يتحرَّك لنصرة الحقِّ على الباطل ولا لردِّع الباطل حتى يفني إلى أمر الله ، ويصلي وراء الغالب ولو كان باطلاً! وهو ما وقع فعلاً من ابن عمر.

فقد تغلَّب معاوية وقهر الأمة وتولَّى عليها رغم أنفها فجاء ابن عمر فبايعه وصلى خلفه رغم ما فعله معاوية من جرائم وبوائق تفوق التصوُّر ولا تخفى على ابن عمر.

وقد تغلَّب أهل الباطل من أئمة الجور بكثرتهم على أهل الحق وهم أئمة أهل البيت فأبعدوا وقام الطلقاء والفساق والمجرمون الضالُّون يحكمون الأمة بالقوَّة والقهر.

فترك ابن عمر الحقَّ بكامله فلم يُسجِّل له التاريخ صحبة ولا مودَّة لأهل البيت وقد عاصر منهم خمسة أئمة ، فلم يصلِّ وراء واحدٍ منهم ، ولم يروِ عن واحد منهم حديثاً ولم يحدث ولم يعترف لواحد منهم بفضل ولا فضيلة .

وقد عرفنا - في فصل الأئمة الاثني عشر من هذا الكتاب - رأيه في الخلفاء الاثني عشر على حدِّ زعمه فقد صحَّح خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد والسفاح وسلام والمنصور وجابر والمهدي والأمين وأمير العصب ، قال : هؤلاء الاثنا عشر كلُّهم من بني كعب بن لؤي كلُّهم صالح لا يوجد مثله (3).

فهل ترى في هؤلاء واحداً من أئمة الهدى من عترة النبي (ص) والذين وصفهم رسول الله (ص) بأنهم سفينة النجاة وأعدال القرآن؟!

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 4 ص 110 .

(2) فتح الباري لابن حجر ص 39 .

(3) تاريخ السيوطي - كنز العمال - تاريخ ابن عساكر والذهبي ، ولمعرفة المصادر بالأرقام يُراجع فصل الخلفاء الاثني عشر عند أهل السنة من الكتاب .

ولذلك فإنك لا ترى لهم وجوداً عند «أهل السنة والجماعة» ولا يوجد في قائمة أئمتهم وخلفائهم الذين يقتدون بهم واحد من أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

هذه حال عبدالله بن عمر في مخالفة الكتاب والسنة، أما جهله بهما فحدث ولا حرج.

فمنها جهله بأن النبي (ص) رخص للنساء إذا كنّ محرمات أن يلبسن الخفين، وكان ابن عمر يفتي بحرمة ذلك⁽¹⁾.

ومنها أنه كان يكره مزارعه على عهد رسول الله وعهد أبي بكر وعمر وعثمان وعهد معاوية حتى حدثه أحد الصحابة في آخر خلافة معاوية بأن رسول الله حرّمه⁽²⁾.

نعم هذا هو فقيه «أهل السنة والجماعة» لا يعرف حرمة كراء المزارع، ولا شك بأنه كان يفتي بجواز ذلك طوال هذه المدة المذكورة من عهد النبي إلى آخر خلافة معاوية قرابة خمسين عاماً.

ومنها ما أنكرته عليه عائشة من فتواه بأن القبلة توجب الوضوء، أو فتواه بأن الميت يُعدَّب ببيكاء الحي عليه، وكذلك في أذان الصبح وفي قوله بأن الشهر تسعة وعشرون يوماً، كما عارضته في عدة مسائل أخرى.

ومنها ما أخرجه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما: قيل لعبدالله بن عمر: إن أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله (ص) يقول: من تبع جنازة فله قيراط من الأجر.

فقال ابن عمر: أكثر أبو هريرة علينا، فصَدَّقْتُ عائشة أبا هريرة وقالت: سمعت رسول الله (ص) يقوله، فقال ابن عمر: لقد فَرَطْنَا في قراريط كثيرة⁽³⁾.

وتكفيناً شهادة عمر بن الخطاب في ابنه عبدالله عندما قال له أحد المتملقين، وهو على فراش الموت: استخلف عبدالله بن عمر، فقال له: كيف أستخلف عليهم من لا يعرف كيف يطلّق زوجته؟

(1) سنن أبي داود ج 1 ص 289، سنن البيهقي ج 5 ص 25، مسند أحمد ج 2 ص 29.

(2) صحيح البخاري وصحيح مسلم ج 5 ص 21.

(3) صحيح البخاري في كتاب الجنائز باب فضل اتباع الجنائز.

فهذا هو ابن عمر ولا أحد يعرفه أكثر من أبيه .

وأما الأحاديث المكذوبة التي خدم بها سيده معاوية فكثيرة جداً ونذكر منها على سبيل المثال قوله : قال رسول الله (ص) : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فطلع معاوية ثم قال من الغد يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فطلع معاوية ، ثم قال من الغد مثل ذلك فطلع معاوية .

وقوله : لما نزلت آية الكرسي قال رسول الله (ص) لمعاوية : أكتبها ، فقال معاوية : مالي بكتبها إن كتبها؟ قال : لا يقرأها أحد إلا كُتِبَ لك أجرها .
وقوله : أما إن معاوية يبعث يوم القيامة وعليه رداء من نور الإيمان .

وأنا لا أدري لماذا لم يُلحق «أهل السنة والجماعة» سيدهم معاوية كاتب الوحي بال عشرة المبشرين بالجنة وسيدهم ابن عمر يؤكد ثلاث مرات ، وفي ثلاثة أيام متوالية أنّ معاوية من أهل الجنة ، وإذا كان الناس يبعثون يوم القيامة حفاة عراة فإن معاوية أفضل منهم جميعاً إذ يبعث وعليه رداء من نور الإيمان!! إقرأ واعجب!!

هذا هو عبدالله بن عمر وهذا مبلغه من العلم وهذا فقهه وخلافه للكتاب والسنة النبوية ، وهذا هو عداؤه لأمر المؤمنين والأئمة الطاهرين من عتره النبي (ص) وهذا هو ولاؤه وتزلفه لأعداء الله ورسوله وأعداء الإنسانية .

فهل يتبصر «أهل السنة والجماعة» اليوم بهذه الحقائق ويعلمون بأن السنة المحمدية لا توجد إلا عند أتباع العترة الطاهرة وهم الشيعة الإمامية؟

﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون﴾
صدق الله العلي العظيم (الحشر: 20) .

12 - عبدالله بن الزبير

أبوه الزبير بن العوام الذي قُتل في حرب الجمل وتسمى في السنة النبوية حرب الناكثين ، وأمّه أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة ، وخالته عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر وزوج النبي (ص) ، وهو من أكبر المناوئين للإمام علي (عليه السلام) والمبغضين له .

ولعله كان يفتخر بخلافة جده أبي بكر وبخالته عائشة فورث منها ذلك الحقد وشبَّ عليه . فكان الإمام عليّ (عليه السلام) يقول للزبير: قد كنا نعدّك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرّق بيننا وبينك .

والمشهور في التاريخ أنه كان في حرب الجمل من العناصر البارزة والقادة المباشرين ، حتى أن عائشة قدمته ليؤم الناس في الصلاة بعدما عزلت طلحة والزبير لأنهما اختلفا ورغب كل واحد منهما فيها .

ويقال أيضاً إنه هو الذي جاء لخالته عائشة بخمسين رجلاً يشهدون زوراً بأن المكان ليس بـ (ماء الحوآب) فواصلت معهم طريقها .

وعبدالله هو الذي عير أباه بالجبن واتهمه بالخوف لما عزم على اعتزال المعركة بعدما ذكّره الإمام عليّ (عليه السلام) بحديث النبي (ص) وإعلامه بأنه سيقاتل علياً وهو له ظالم ، حتى أن أباه — لما أكثر هو تعييره — قال له : ما لك أخزأك الله من ولد ما أشأمك⁽¹⁾ .

ويقال : إنه مازال يُعير أباه ويهيجّه حتى حمل على جيش عليّ فقتل ، وبهذا يصدق عليه قول أبيه « ما أشأمك من ولد » .

وهذه هي الرواية التي اخترناها لأنها أقرب للواقع ولنفسية الزبير الحاقدة وابنه عبدالله ابن السوء . فلا يمكن للزبير أن ينسحب من المعركة بتلك السهولة ويترك وراءه طلحة وأصحابه ومواليه وعبيده الذين جاء بهم إلى البصرة ويترك أم المؤمنين أخت زوجته وقد أشرفت على الهلاك ، ولو سلّمنا بأنه تركهم فهم لا يتركونه وبالخصوص ابنه عبدالله الذي عرفنا عزمه وشدة حزمه .

ويذكر المؤرّخون بأن عبدالله بن الزبير كان يشتم علياً ويلعنه ويقول : جاءكم الوغد اللثيم — يقصد علياً (عليه السلام) — وخطب في أهل البصرة يستنفر الناس ويحرّضهم على القتال فقال : أيها الناس إن علياً قتل الخليفة بالحق عثمان مظلوماً ، ثم جهّز الجيوش ليستولي عليكم ويأخذ مدينتكم ، فكونوا رجالاً تطالبون بثأر خليفتمكم ، واحفظوا حريمكم وقاتلوا عن نساكم

(1) تاريخ أعمش وكذلك شرح البلاغة لابن أبي الحديد ج 2 ص 170 .

وذراريكم وأحسابكم وأنسابكم ، ألا وإن علياً لا يرى في هذا الأمر أحداً سواه ، والله لئن ظفر بكم ليهلكن دينكم ودنياكم⁽¹⁾ .

وقد بلغ من بغضه لبني هاشم عامة ولعلي (عليه السلام) خاصة أنه ترك الصلاة على محمد أربعين جمعة ويقول : إنه لا يمنعني من ذكره إلا أن تشمخ رجال بآنافها⁽²⁾ .

وإذا كان حقه وبغضه يصل به إلى ترك الصلاة على النبي (ص) فلا لوم عليه ولا يستغرب منه أن يكذب على الناس ويتهم الإمام علياً (عليه السلام) ويرميه بكل قبيح ، وقد سمعت خطبته في أهل البصرة وقوله لهم : والله لئن ظفر بكم ليهلكن دينكم ودنياكم .

إنه كذب مفضوح وبهتان عظيم من عبدالله بن الزبير الذي لا يعرف الحق إلى قلبه سبيلاً .

والشاهد على ذلك أن علي بن أبي طالب ظفر بهم وانتصر عليهم وأسر الأغلبية منهم وفيهم عبدالله بن الزبير نفسه ولكنه عفا عنهم جميعاً وأطلق سراحهم وأكرم عائشة بأن سترها وأرجعها إلى بيتها في المدينة ، كما منع أصحابه من أخذ الغنائم وسبي النساء والأطفال ، والإجهاز على جريح ، حتى سبب له ذلك تمرد بعض الجيش عليه والتشكيك في أمره .

فعلي (عليه السلام) هو محض السنة النبوية وهو العارف بكتاب الله ولا أحد يعرفه سواه ، فقد ثارت ثائرة بعض المنافقين المندسين في جيشه وألبوا عليه ، وقالوا : كيف يبيح لنا قتالهم ويحرم علينا سبي نسائهم ؟

واغترّ بهذا القول كثير من المقاتلين غير أنه (سلام الله عليه) احتج عليهم بكتاب الله وقال لهم : إقترعوا على من يأخذ منكم أمه عائشة ! وعند ذلك أدركوا أنه على الحق فقالوا نستغفر الله لقد أصبت وأخطأنا .

فقول عبدالله بن الزبير كذب وبهتان مبين لأن بغضه لعلي (عليه السلام)

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 358 ، تاريخ المسعودي ج 5 ص 163 .

(2) تاريخ يعقوب ج 3 ص 7 ، شرح نهج البلاغة ج 1 ص 385 .

أعمى بصره وبصيرته وأخرجه عن الإيمان ولم يُثب ابن الزبير بعد ذلك ولم يتخذ من تلك الحرب دروساً ومواعظ يستفيد منها .

كلا إنه قابل الحسنة بالسيئة وازداد حقه وبغضه لبني هاشم ولسيد العترة الطاهرة وعمل كل ما في وسعه لإطفاء نورهم والقضاء عليهم .

فقد روى المؤرخون بأنه وبعد مقتل الإمام علي (عليه السلام)، قام يندعو لنفسه بإمارة المؤمنين والتف حوله بعض الناس وقويت شوكته، فعمل على سجن محمد بن الحنفية، ولد الإمام علي (عليه السلام) وكذلك الحسن بن علي ومعهم سبعة عشر رجلاً من بني هاشم وأراد أن يحرقهم بالنار فجمع على باب الحبس خطباً كثيراً وأضرم عليهم النار، ولولا وصول جيش المختار في الوقت المناسب فأطفأ النار واستنقذهم لبلغ فيهم ابن الزبير مراده⁽¹⁾.

وبعث إليه مروان بن الحكم جيشاً بقيادة الحجاج فحاصره وقتله وصلبه في الحرم .

وهكذا انتهت حياة عبدالله بن الزبير كما انتهت حياة أبيه من قبل، كل منهما أحب الدنيا وحرص على الإمارة وأراد البيعة لنفسه وقاتل من أجلها وهلك وأهلك ومات مقتولاً دونها ولم يبلغ مناه .

ولعبدالله بن الزبير آراء في الفقه أيضاً وهي رد فعل منه لمخالفة فقه أهل البيت الذين يبغضهم، ومن أشهرها قوله بحرمة زواج المتعة .

فقد قال مرة لعبدالله بن عباس : يا أعمى البصر لئن فعلتها لأرجمنك بالحجارة .

ورد عليه ابن عباس : أنا أعمى البصر، أما أنت فأعمى البصيرة، وإذا أردت معرفة حلية المتعة فاسأل عنها أملك!⁽²⁾ .

(1) تاريخ المسعودي ج 5 ص 185، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 4 ص 487 .

(2) أعمى البصر لأن عبدالله بن عباس كفّ بصره في كبره . وأما قوله : فاسأل عنها أملك فيقال إن الزبير تزوج أسماً بزواج متعة وإن عبدالله نفسه ولد من المتعة . ويقال إن عبدالله رجع إلى أمه فقالت له : ألم أنك عن ابن عباس فهو أعلم الناس بمثل العرب .

ولا نريد الإطالة في هذا الموضوع الذي كثر فيه الكلام ، وإنما أردنا إبراز مخالفة ابن الزبير لأهل البيت في كل شيء حتى في الأمور الفقهية التي ليس له فيها قدم راسخة .

وقد ذهب كل هؤلاء بخيرهم وشرهم وتركوا الأمة المنكوبة تمخر في بحر من الدماء وتغرق في بحر الضلالة ، والأغلبية منهم لا يعرفون الحق من الباطل ، وقد صرَّح بذلك طلحة والزبير وكذلك سعد بن أبي وقاص .

ولكن الوحيد الذي كان على بينة من ربه ولم يشك في الحق طرفة عين ، هو عليّ بن أبي طالب (سلام الله عليه) الذي كان يدور الحق معه حيث توجه ودار .

فهنيئاً لمن اتَّبعه واقتدى به ، وقد قال رسول الله (ص) : أنت يا عليّ وشيعتك هم الفائزون يوم القيامة^(١) .

﴿أفمن يهدي إلى الحق أحقُّ أن يتَّبَعَ أمَّن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾ (يونس : 35) .

صدق الله العلي العظيم

(١) الدّر المشور في التفسير بالمأثور لجلال الدّين السيوطي في سورة البينة .

السنة النبوية لا تخالف القرآن عند الشيعة

بعد البحث والتنقيب في عقيدة الطرفين من الشيعة و«أهل السنة والجماعة» وجدنا بأن الشيعة يرجعون في كل أحكامهم الفقهية إلى الكتاب الكريم والسنة النبوية لا غير.

ثم هم يرتبون القرآن في المرتبة الأولى والسنة النبوية في المرتبة الثانية، ونعني بذلك أنهم يخضعون السنة للمراقبة ويعرضونها على كتاب الله العزيز، فما وافق منها كتاب الله قبلوه وعملوا به وما خالف كتاب الله تركوه ولم يقيموا له وزناً⁽¹⁾.

والشيعة يرجعون في ذلك إلى ما قرّره أئمة أهل البيت (عليهم السلام) رواية عن جدهم رسول الله (ص) الذي قال: إذا جاءكم حديث عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فاعملوا به وما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار.

وقد قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) عبدة مرات: «ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف».

وقال في أصول الكافي بأن النبي (ص) خطب الناس بمنى فقال: «أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم عني يخالف كتاب الله فلم أقله».

(1) هذا هو لمعري المنطق التسليم الذي يقطع الطريق على كل المحدثين الذين اشتهروا بتدليس الحديث ونسبته للرسول (ص) وهو منه بريء.

وعلى هذا الأساس المتين بنى الشيعة الإمامية فقههم وعقائدهم ، فمهما بلغ الحديث من صحة الإسناد فلا بد أن يزنوه بهذا الميزان ويعرضوه على الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والشيعة الإمامية هي الفرقة الوحيدة بين الفرق الإسلامية الأخرى التي اشترطت هذا الشرط ، وبالخصوص في باب تتعارض فيه الروايات والأخبار .

قال الشيخ المفيد في كتابه المسمى بـ«تصحيح الاعتقاد» : «وكتاب الله تعالى مقدّم على الأحاديث والروايات ، وإليه يتقاضى في صحيح الأخبار وسقيمها فما قضى به فهو الحق دون سواه» .

وبناء على هذا الشرط ، وهو عرض الحديث على كتاب الله تعالى تميز الشيعة عن «أهل السنة والجماعة» في كثير من الأحكام الفقهية وكذلك في كثير من العقائد .

والباحث يجد في كل أحكام الشيعة وعقائدهم مصداقاً في كتاب الله ، خلافاً لما هو عند «أهل السنة والجماعة» فالمتبع قد يجد عندهم عقائد وأحكاماً تخالف صريح القرآن الكريم . ستعرف ذلك وسنوافيك ببعض الأدلة على ذلك قريباً إن شاء الله .

وبناء على ذلك يفهم المتبع أيضاً بأن الشيعة لم يصحّحوا أي كتاب من كتب الحديث عندهم أو يعطوه قدسية تجعله بمثابة القرآن ، كما هو الحال عند «أهل السنة والجماعة» الذين يصحّحون كل الأحاديث التي رواها البخاري ومسلم ، رغم أن فيهما مئات الأحاديث التي تتناقض مع كتاب الله .

ويكفيك أن تعرف بأن كتاب الكافي عند الشيعة رغم جلالة قدر مؤلفه محمد بن يعقوب الكليني وتبحره في علم الحديث إلا أن علماء الشيعة لم يدعوا يوماً بأن ما جمعه كله صحيح بل هناك من علمائهم من طرح أكثر من نصفه وقال بعدم صحتها ، بل إن مؤلف (الكافي) لا يقول بصحة كل الأحاديث التي جمعها في الكتاب .

ولعل كل ذلك ناتج عن سيرة الخلفاء عند كل فرقة منهم ، ف«أهل السنة والجماعة» ، اقتدوا بأئمة يجهلون أحكام القرآن والسنة ، أو يعرفونها ولكنهم اجتهدوا بآرائهم وخالفوا تلك النصوص لعدة أسباب أوضحنا البعض منها في أبحاث سابقة .

أما الشيعة فإنهم اقتدوا بأئمة العترة الطاهرة الذين هم عدل القرآن وترجمانه لا يخالفونه ولا يختلفون فيه .

﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ (هود: 17) .

صدق الله العلي العظيم

السنة والقرآن عند «أهل السنة والجماعة»

بعدما عرفنا بأن الشيعة الإمامية يقدّمون القرآن على السنة ويجعلونه القاضي عليها والمهيمن، فـ «أهل السنة والجماعة» على العكس تماماً يقدّمون السنة على القرآن ويجعلونها قاضية ومهيمنة عليه.

ونستنتج من هذا بأنهم سمّوا أنفسهم بـ «أهل السنة» من أجل هذا المبدأ الذي ارتأوه، وإلا لماذا لم يقولوا بأنهم أهل القرآن والسنة وخصوصاً أنهم يروون في كتبهم بأن النبي قال: تركت فيكم كتاب الله وسنتي؟

ولأنهم أهملوا القرآن وجعلوه في المرتبة الثانية وتمسكوا بالسنة المزعومة وجعلوها في المرتبة الأولى، فهما من ذلك السبب الرئيسي لقولهم بأن السنة قاضية على القرآن. وهذا منهم أمر عجيب، وأعتقد بأنهم اضطروا إلى ذلك اضطراراً عندما وجدوا أنفسهم يقومون بأعمال مخالفة لما جاء في القرآن، وقد ألفوها بعدما فرضها عليهم الحكّام الذين أطاعوهم. ولتبرير تلك الأعمال وضعوا لها أحاديث نسبوها للنبي (ص) كذباً، ولما كانت تلك الأحاديث تتعارض مع أحكام القرآن، قالوا بأن السنة قاضية على القرآن أو أنها تنسخ القرآن.

وأضرب لذلك مثلاً واضحاً يفعله المسلم مرات عديدة في كل يوم، ألا وهو الوضوء قبل الصلاة فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (المائدة: 6).

ومهما قيل ، وبقطع النظر عن قراءة النصب والجر وقد قدمنا بأن الفخر الرازي وهو من أشهر علماء «أهل السنة والجماعة» في اللغة العربية قال بوجوب المسح في القراءتين⁽¹⁾.

وقال ابن حزم أيضاً: سواء قُرئ بخفض اللام أو بفتحها هي على كل حال عطف على الرؤوس إما على اللفظ وإما على الوضع ولا يجوز غير ذلك⁽²⁾.
ولكن الفخر الرازي بعد اعترافه بأن القرآن نزل بوجوب المسح في القراءتين، نراه يتعصب لمذهبه السنّي، فقال: ولكن السنة جاءت بالمسح ناسخة للقرآن⁽³⁾.

وهذا المثل من السنّة المزعومة القاضية على القرآن أو الناسخة له ، يوجد له أمثلة كثيرة عند «أهل السنة والجماعة» فكم من حديث موضوع يُبطلون به حكماً من أحكام الله بدعوى أن رسول الله (ص) نسخه .

ونحن لو تمعنّا في آية الوضوء التي نزلت في سورة المائدة وإجماع المسلمين على أن سورة المائدة هي آخر ما نزل من القرآن ويقال: إنها نزلت قبيل وفاة النبي (ص) بشهرين فقط ، فكيف ومتى نسخ النبي حكم الوضوء يا ترى؟! وقد قضى النبي (ص) ثلاث وعشرين سنة وهو يتوضأ بالمسح ويفعل ذلك مرات في كل يوم ، فهل يعقل أنه وقبل شهرين من وفاته عندما نزل عليه قوله سبحانه: ﴿وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم﴾ عمد إلى غسل رجله معارضة لكتاب الله؟! إنه كلام لا يصدق .

ثم كيف يصدق الناس هذا النبي الذي يدعوهم لكتاب الله والعمل به قائلاً لهم: إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، ثم يعمل هو بعكسه؟! فهل هذا معقول أو يقبله العقلاء؟ أم سيقول له المعارضون والمشركون والمنافقون: إذا كنت أنت تعمل بخلافه ، فكيف تأمرنا نحن باتباعه؟! وسوف يجد النبي (ص) عند ذلك نفسه محرجاً ولا يقدر على دفع حجّتهم ، ولذلك نحن لا نصدق بهذا الادعاء الذي يرفضه النقل والعقل ، وكل من له دراية بالكتاب والسنّة لا يصدق .

(1) التفسير الكبير للفخر الرازي ج 11 ص 161 .

(2) المحلى لابن حزم ج 3 ص 54 .

(3) التفسير الكبير للفخر الرازي ج 11 ص 161 .

ولكن «أهل السنة والجماعة» والذين هم في الحقيقة حكام بني أمية ومن جرى وراءهم كما عرفنا بذلك في أبحاث سابقة، عمدوا لوضع الأحاديث على لسان النبي ليصححوا بذلك آراء واجتهادات أئمة الضلالة ويكسبوا شرعية دينية أولاً، وليعللوا اجتهادات هؤلاء في مقابل النصوص بأن النبي نفسه قد اجتهد مقابل النصوص القرآنية ونسخ منها ما شاء، فيصبح بذلك أهل البدع يستمدون شرعية مخالفتهم للنصوص اقتداء بالرسول كذباً وبهتاناً.

وقد قدمنا في بحث سابق بالأدلة والحجج القوية أن رسول الله (ص) ما قال يوماً برأي ولا بقياس وإنما كان ينتظر نزول الوحي لقوله تعالى: ﴿لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾⁽¹⁾.

أليس هو القائل مبلغاً عن ربه: ﴿وإذا تلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا انت بقرآن غير هذا أو بآله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ (يونس: 15). أولم يهذبه ربه بأشد التهديد لو حاول أن يتقول على الله كلمة واحدة، فقال جل وعلا: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ (الحاقة: 44-47).

فهذا هو القرآن، وهذا هو النبي الذي كان خلقه القرآن، ولكن «أهل السنة والجماعة»⁽²⁾، ولشدة عداوتهم لعليّ بن أبي طالب وأهل البيت (عليهم السلام)، كانوا يخالفونهم في كل شيء حتى أصبح شعارهم هو مخالفة عليّ وشيعته في كل شيء، حتى لو كانت سنة نبوية ثابتة عندهم⁽³⁾.

ولما كان المشهور عن الإمام عليّ (عليه السلام) الجهر بالبسملة حتى في الصلاة السرية من أجل إحياء السنة النبوية، فقد عمل بعضهم على القول

(1) صحيح البخاري ج 8 ص 148، (النساء: 105).

(2) ونقصد بهم الأوائل الذين عاهدوا علياً وأولاده من بعده والذين أسسوا مذهب «أهل السنة والجماعة».

(3) قد فصلنا القول في ذلك وأخرجنا تصريحاتهم من كتبهم وأقوال أئمتهم في كتاب «مع الصادقين» فليراجع.

بكراتها في الصلاة، وكذلك بالنسبة للقبض والسدل ودعاء القنوت وغير ذلك من الأمور التي تخص الصلاة اليومية.

ولذلك كان أنس بن مالك يبكي ويقول: والله ما أجد شيئاً مما أدركت عليه رسول الله (ص)، قالوا: وهذه الصلاة؟ قال: لقد غيرتم فيها ما غيرتم⁽¹⁾.

والغريب أن «أهل السنة والجماعة» يسكتون عن هذه الاختلافات لأن مذهبهم الأربعة يختلفون فيما بينهم فلا يرون بذلك بأساً بل يقولون بأن اختلافهم رحمة.

ولكنهم يشنعون على الشيعة إذا خالفوهم في أية مسألة فتصبح تلك الرحمة نقمة، ولا يقبلون إلا آراء أئمتهم مع أن أئمتهم لا يساؤون أئمة العترة الطاهرة في علم ولا في عمل ولا في فضل ولا في شرف.

وكما ذكرنا في «غسل الرجلين» ورغم أن كتبهم تشهد بأن المسح هو الذي نزل به القرآن وهو أيضاً سنة النبي (ص)⁽²⁾، ولكنهم لا يقبلون من الشيعة شيئاً من ذلك ويتهمونهم بتأويل القرآن والخروج عن الدين.

والمثل الثاني الذي لا بد من ذكره أيضاً هو نكاح المتعة الذي نزل به القرآن وأقرته السنة النبوية، ولكنهم لتبرير اجتهاد عمر بن الخطاب الذي حرّمه اختلقوا حديثاً مكذوباً نسبوه للنبي (ص) وأخذوا يشنعون على الشيعة لإباحتهم هذا النكاح استناداً لما رواه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أضف إلى ذلك أن صحاحهم تشهد بأن الصحابة فعلوه في عهد رسول الله وعهد أبي بكر وشرط من عهد عمر قبل أن يحرمه. ويشهدون أيضاً بأن الصحابة اختلفوا فيه بين محلل ومحرم.

والأمثلة في هذه المواضيع – التي ينسخون فيها النص القرآني بحديث مكذوب – كثيرة جداً، وقد ضربنا منها مثلين والقصد هو رفع الستار عن مذهب «أهل السنة والجماعة» وإطلاع القارئ بأنهم يقدّمون الحديث على القرآن، ويقولون صراحة بأن السنة قاضية على القرآن.

(1) البخاري ج 1 ص 74.

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 6 ص 191.

فهذا الإمام الفقيه عبدالله بن مسلم بن قتيبة محدث وفقيه «أهل السنة والجماعة» متوفي سنة ٢٧٦ هجرية يقول بصراحة : «السنة قاضية على الكتاب ، وليس الكتاب بقاضٍ على السنة»^(١).

كما ذكر صاحب كتاب مقالات الإسلاميين نقلاً عن الإمام الأشعري وهو إمام «أهل السنة والجماعة» في الأصول قوله : «إن السنة تنسخ القرآن وتقضي عليه ، وأن القرآن لا ينسخ السنة ولا يقضي عليها»^(٢).

وذكر ابن عبد البر بأن الإمام الأوزاعي وهو من كبار أئمة «أهل السنة والجماعة» ، قال : «إن القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن . . .»^(٣).

فإذا كانت هذه أقوالهم تشهد على عقيدتهم فمن الطبيعي جداً أن يتناقض هؤلاء مع ما يقوله أهل البيت من عرض كل حديث على كتاب الله ووزنه عليه لأن القرآن هو القاضي على السنة ، ومن الطبيعي أيضاً أن يرفضوا هذه الأحاديث ولا يعترفوا بها ولو رواها أئمة أهل البيت ، لأنها تنسف مذهبهم نفساً.

فقد ذكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة بأن الحديث الذي رُوي عن النبي (ص) وهو قوله : إذا جاءكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله ، قال البيهقي : هذا حديث باطل لا يصح ، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان ، فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن .

وصرح ابن عبد البر نقلاً عن عبد الرحمان بن مهدي بأن الحديث الذي روي عنه (ص) ، أنه قال : «ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنأقلته ، وإن خالف كتاب الله فلم أقله» ، هذه الألفاظ لا تصح عنه عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه ، وقال بأن هذا الحديث وضعه الزنادقة والخوارج^(٤).

(١) سنن الدارمي ج ١ ص ١٤٥ وكذلك ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ١٩٩

(٢) مقالات الإسلاميين ج ٢ ص ٢٥١.

(٣) جامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٣٤.

(٤) جامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٣٣.

أنظر إلى هذا التعصب الأعمى الذي لم يترك لهم سبيلاً للتحقيق العلمي والخضوع للحق، فأصبحوا يسمون رواة هذا الحديث، وهم أئمة الهدى من العترة الطاهرة، بالزنادقة والخوارج ويتهمونهم بوضع الحديث! وهل لنا أن نسألهم، ما هو هدف الزنادقة والخوارج من وضع هذا الحديث الذي يجعل كتاب الله - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - مرجعاً لكل شيء؟؟؟

والعاقل المنصف يميل إلى هؤلاء (الزنادقة والخوارج!!) الذين يُعظمون كتاب الله ويجعلونه في المرتبة الأولى للتشريع، أحسن له من الميل إلى «أهل السنة والجماعة» الذين يقضون على كتاب الله بأحاديث مكذوبة وينسخون أحكامه ببدع مزعومة.

﴿كُتِرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً﴾ (الكهف: 5). فالذين يسمونهم زنادقة وخوارج هم أهل بيت النبوة أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين وصفهم جدهم رسول الله (ص) بأنهم أمان الأمة من الاختلاف فإذا خالفتهم قبيلة صارت حزب إبليس وذنبهم الوحيد هو أنهم تمسكوا بسنة جدهم ورفضوا ما سواها من البدع البكرية والعمرية والعثمانية والمعاوية واليزيدية والمروانية والأموية، وبما أن السلطة الحاكمة كانت بيد هؤلاء المذكورين، فمن الطبيعي أن يشتموا المعارضين لهم بأنهم خوارج وزنادقة وأن يحاربوهم وينبذوهم، ألم يلعن علي وأهل البيت على منابرهم ثمانين عاماً؟؟ ألم يقتل الحسن بسهمهم والحسين وذريته بسيوفهم؟؟

ودعنا من الرجوع إلى مأساة أهل البيت الذين لم تنته مظلمتهم بعد، ولنعد إلى هؤلاء الذين يسمون أنفسهم «أهل السنة والجماعة» والذين ينكرون حديث عرض السنة على القرآن، فلماذا لم يسموا أبا بكر «الصديق» من الخوارج أو من الزنادقة؟ وهو الذي أحرق الأحاديث وخطب في الناس قائلاً: «إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه»⁽¹⁾.

(1) الذهبي في تذكرة الحفاظ ج 1 ص 3.

ألم يقدم أبو بكر القرآن على السنة؟ بل جعله المصدر الوحيد ورفض السنة بدعوى أن الناس يختلفون فيها؟!

ولماذا لم يسموا عمر بن الخطاب من الخوارج أو من الزنادقة، وهو الذي رفض السنة النبوية من أول يوم عندما قال: حسبنا كتاب الله يكفيننا، وقد أحرق هو أيضاً كل ما جمعه الصحابة من الأحاديث والسنن على عهده⁽¹⁾ ولم يقف عند ذلك الحد حتى نهى الصحابة عن إفشاء الحديث⁽²⁾.

ولماذا لم يسموا أم المؤمنين عائشة التي يؤخذ عنها نصف الدين بأنها من الخوارج ومن الزنادقة، فهي التي اشتهرت بعرض الحديث على القرآن، فكانت كلما بلغها حديث لا تعرفه عرضته على كتاب الله وأنكرته إذا عارض القرآن. فقد أنكرت على عمر بن الخطاب حديث: إن الميت يعذب في قبره ببيكاء أهله عليه، وقالت: حسبكم القرآن، فإنه يقول: ولا تزرُ وازرة وزرَ أخرى⁽³⁾.

كما أنكرت حديث عبدالله بن عمر الذي روى بأن النبي (ص) قام على القلب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال ثم التفت إلى أصحابه فقال: «إنهم ليسمعون ما أقول».

فكذبت عائشة أن يكون الأموات يسمعون، وقالت: إنما قال رسول الله (ص): «إنهم ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق»، ثم استشهدت على كذب الحديث بعرضه على القرآن فقرأت قوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ (النحل: 80) ﴿وَمَا أَنْتَ بِمَسْمُوعٍ فِي الْقُبُورِ﴾ (فاطر: 22)⁽⁴⁾.

وأنكرت أحاديث كثيرة كانت في كل مرة تعرضها على كتاب الله، فقالت - لمن حدّث بأن محمداً رأى ربه - لقد قفَّ شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهنّ بها فقد كذب، من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ثم

(1) كنز العمال ج 5 ص 237، وابن كثير والذهبي في تذكرة الحفاظ ج 1 ص 5.

(2) الذهبي في تذكرة الحفاظ ج 1 ص 4.

(3) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب قول النبي يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه وكذلك صحيح مسلم، كتاب الجنائز باب الميت يعذب ببيكاء أهله عليه.

(4) صحيح البخاري وكذلك صحيح مسلم في كتاب الجنائز في نفس الباب السابق.

قرأت قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ (الأنعام: 103)، وقرأت: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ (الشورى: 51). ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت قول الله: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ (لقمان: 34). ومن حدثك أنه كتم فقد كذب، ثم قرأت قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ (المائدة: 67).

كذلك كان أبو هريرة راوية أهل السنة عندهم، كان كثيراً ما يحدث الحديث ثم يقول: فاقروا إن شئتم قوله تعالى، فيعرض حديثه على كتاب الله حتى يصدقه المستمعون.

فلماذا لا يسمي «أهل السنة والجماعة» كل هؤلاء من الخوارج والزنادقة، فهم يعرضون الأحاديث التي يسمعونها على كتاب الله ويكذبون ما خالف منها القرآن؟! إنهم لا يجروون على ذلك، أما إذا تعلق الأمر بأئمة أهل البيت فإنهم لا يتورعون بأن يشتموهم بكل نقيصة ولا ذنب لهم سوى عرض الحديث على كتاب الله كي يفتضح أولئك الوضاعون والمدلسون الذين يسعون لتعطيل أحكام الله وإبطالها بأحاديث مكذوبة. لأنهم يدركون تماماً أنه لو عرضت أحاديثهم على كتاب الله فسوف لن يوافق كتاب الله على تسعة أعشار منها. والعشر العاشر الذي يؤيده كتاب الله لأنه من أقوال النبي (ص)، يؤولون بعضه على غير ما أراده الرسول (ص) كتأويلهم حديث: «الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش»، وحديث: «تمسكوا بسنة الخلفاء الراشدين بعدي»، وكقوله: «اختلاف أمتي رحمة»، وغيرها من الأحاديث الشريفة والتي يقصد بها النبي (ص) أئمة العترة الطاهرة، ولكنهم صرفوها إلى خلفائهم الغاصبين وإلى بعض الصحابة المنقلبين.

وحتى الألقاب التي يصفونها على الصحابة كتسمية أبي بكر بـ«الصدِّيق» وعمر بـ«الفاروق» وعثمان بـ«ذي النورين» وخالد بـ«سيف الله»، والحال أن كل هذه الألقاب هي لعليّ على لسان النبي (ص) فقد قال (ص): «الصدِّيقون ثلاثة، حبيب النجار مؤمن آل يس، وحزقيل مؤمن آل فرعون، وعليّ بن أبي

طالب (عليه السلام) وهو أفضلهم»⁽¹⁾.

وعليّ نفسه كان يقول: أنا الصديق الأكبر ولا يقولها بعدي إلا كذاب. وهو الفاروق الأعظم الذي فرّق الله به الحق من الباطل⁽²⁾، ألم يقل رسول الله (ص) بأن حبه إيمان وبغضه نفاق، وأن الحق يدور معه حيث دار؟

وأما ذو النورين⁽³⁾، فهو (عليه السلام)، والد الحسن والحسين (عليهما السلام) سيدي شباب أهل الجنة وهما نوران من صلب النبوة. وأما سيف الله فهو الذي قال فيه جبريل (عليه السلام) يوم أحد: «لا فتى إلا عليّ ولا سيف إلا ذو الفقار» وهو بحق سيف الله الذي سلّاه على المشركين فقتل أبطالهم وجندل شجعانهم وهشم أنوفهم حتى أذعنوا للحق وهم كارهون، وهو سيف الله لأنه لم يهرب من معركة أبداً، ولم يخش من مبارزة قط. وهو الذي فتح خيبر وقد عجز عنها أكابر الصحابة ورجعوا منهزمين.

لقد قامت السياسة من أول خلافة على عزله وتجريده من كل فضل وفضيلة، ولما جاء معاوية للحكم ذهب أشواطاً بعيدة فعمل على لعن عليّ وانتقاصه، وعلى رفع شأن مناوئيه ونسب إليهم كل فضائله وألقابه زوراً منه وبهتاناً، ومن يقدر في ذلك العهد على تكذيبه أو معارضته؟ وقد وافقوه على سبّه ولعنه والبراءة منه، وقد قلب أتباعه من «أهل السنة والجماعة» كل الحقائق ظهراً على عقب، فأصبح عندهم المنكر معروفاً والمعروف منكراً، وأصبح عليّ وشيعته هم الزنادقة والخوارج والروافض فاستباحوا بذلك لعنهم وقتلهم، وأصبح أعداء الله ورسوله وأهل بيته هم «أهل السنة»! فاقراً واعجب، وإن كنت في شك من هذا فابحث ونقب.

﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون﴾ (هود: 24).
صدق الله العلي العظيم

(1) شواهد التنزيل للحسكاني ج 2 ص 223، غاية المرام ص 417، الرياض النضرة ج 2 ص 202.

(2) تاريخ الطبري في إسلام علي، سنن ابن ماجه ج 1 ص 44، خصائص النسائي، مستدرک الحاکم ج 3 ص 112.

(3) يُسمي «أهل السنة والجماعة» عشان بذی النورین ویعلّون ذلك بأنه تزوج رقية وأم كلثوم بنتي النبي والصحيح أنّهما ربيّته، وعلى فرض أنّهما بنتاه، فكيف تكونان نورين ولم يحدث النبي لهما بفضيلة واحدة ولماذا لا تكون فاطمة التي قال في حقها: سيدة نساء العالمين هي النور، ولماذا لم يُسمّوا علياً «بذی النور» على هذا الأساس؟

الأحاديث النبوية عند «أهل السنة» متناقضة

لعل الباحث يجد كثيراً من السنن التي تُنسب إلى النبي (ص) هي في الحقيقة ليست إلا بدعاً ابتدعها بعض الصحابة بعد وفاته وألزموا الناس بها وحملوهم عليها قهراً، حتى اعتقد أولئك المساكين أنها من أفعال النبي وأقواله .

ولذلك جاءت تلك البدع في أغلبها متناقضة ومتعارضة مع القرآن، فاضطر علماءهم للتأويل والقول بأن الرسول (ص) فعل هذا مرة، وفعل ذاك أخرى كقولهم بأنه صلى مرة بالبسملة وأخرى صلى بدون البسملة، ومرة مسح رجله في الوضوء وأخرى غسلها، ومرة قبض يديه في الصلاة وأخرى أسدلها، حتى ذهب البعض منهم للقول بأنه فعل ذلك متعمداً للتخفيف على أمته حتى يختار كل واحد منهم ما يناسبه من العمل .

إنه كذبٌ يرفضه الإسلام الذي بنى عقائده على كلمة التوحيد وتوحيد العبادة حتى في المظهر واللباس فلم يسمح للمحرم وقت الحج أن يلبس ما يريد لا شكلاً ولا لوناً، ولم يسمح للمأموم إلا أن يتبع إمامه في حركاته وسكناته من قيام وركوع وسجود وجُلوس .

كما أنه كذبٌ لأن الأئمة الطاهرين من أهل البيت يرفضون تلك الروايات ولا يقبلون بالاختلاف في العبادات شكلاً ومضموناً .

وإذا رجعنا إلى تناقض الأحاديث عند «أهل السنة والجماعة» فهي كثيرة جداً تفوق الحصر، وسوف نعمل على جمعها في كتاب خاص إن شاء الله .

وكالعادة وبإيجاز نذكر هنا بعض الأمثلة ليتبين للباحث على أي أساس بنى «أهل السنة والجماعة» مذهبهم وعقيدتهم .

فقد جاء في صحيح مسلم وفي شرح الموطأ لجلال الدين السيوطي عن أنس بن مالك قال : صليت خلف رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم .

وفي رواية أن رسول الله (ص) كان لا يجهر بقراءة بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : وقد روي هذا الحديث عن أنس قتادة وثابت البناني وغيرهما وكلهم أسنده وذكر فيه النبي (ص) إلا أنهم اختلف عليهم في لفظه اختلافاً كثيراً ، مضطرباً ومتدافعاً ، فمنهم من يقول فيه : كانوا لا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم ، ومنهم من يقول كانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم ، ومنهم من يقول : كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم ومنهم من قال : كانوا لا يتركون بسم الله الرحمن الرحيم ، ومنهم من قال : كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين .

قال : وهذا اضطراب لا تقوم معه حجة لأحد من الفقهاء⁽¹⁾ .

أما إذا أردت معرفة السر الحقيقي لهذا التناقض والاضطراب من نفس الراوي وهو أنس بن مالك الذي كان يلزم النبي (ص) لأنه حاجبه ، فتراه مرة يروي بأنهم - رسول الله والخلفاء الثلاثة - كانوا لا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم ، ومرة بأنهم لا يتركونها .

إنما هو الواقع الأليم المؤسف الذي اتبعه أكثر الصحابة في نقل الحديث وروايته حسبما تقتضيه المصلحة السياسية وحسبما يرضي الأمراء .

فلا شك بأنه روى عدم القراءة لبسم الله الرحمن الرحيم عندما عمل بنو أمية وحكامهم على تغيير كل سنة للنبي (ص) كان علي بن أبي طالب يتمسك بها ويعمل على إحيائها .

(1) تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ج 1 ص 103 . ونحن نقول : الحمد لله أن شهد شاهد من أهلها على اضطراب الأحاديث عندهم وتناقضها وأنه كما اعترف ، لا تقوم لأحد من فقهاءهم حجة ، إنما الحجة قائمة مع أئمة الهدى الأطهار الذين لم يختلفوا في شيء .

فقد قامت سياستهم على مخالفته في كل شيء والعمل بضده . حيث اشتهر (سلام الله عليه) بأنه كان يبالغ في الجهر بالبسملة حتى في الصلاة السرية .

وهذا ليس ادعاء منا أو من الشيعة ، فنحن لم نعتمد في كل ما كتبنا إلا على كتب «أهل السنة والجماعة» وتصريحاتهم .

وقد ذكر الإمام النيسابوري في تفسير غرائب القرآن ، وبعد ذكره للروايات المتناقضة عن أنس بن مالك قال : «وفيها تهمة أخرى ، وهي أن علياً (رضي الله عنه) كان يبالغ في الجهر بالتسمية ، ولما كان زمن بني أمية بالغوا في المنع من الجهر سعيًا منهم في إبطال آثار علي بن أبي طالب ، فلعله إنما خاف منهم فلهذا اضطربت أقواله»⁽¹⁾ .

كما صرح الشيخ أبو زهرة ما يقارب هذا المعنى إذ قال : «لا بد أن يكون للحكم الأموي أثر في اختفاء كثير من آثار علي (عليه السلام) في القضاء والإفتاء ، لأنه ليس من المعقول أن يلعنوا علياً فوق المنابر ، وأن يتركوا العلماء يتحدثون بعلمه وينقلون فتاواه وأقواله للناس ، وخصوصاً ما يتصل بأساس الحكم الإسلامي»⁽²⁾ .

والحمد لله الذي أظهر الحق على لسان بعض علمائهم فاعترفوا بأن علياً كان يبالغ في الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم .

ونستنتج بأن الذي دعاه (سلام الله عليه) أن يبالغ في الجهر بالتسمية ، هو أن الخلفاء الذين سبقوه تركوها إما عمدًا أو سهواً واقتدى بهم الناس فأصبحت سنة متبعة وهي بلا شك مبطلّة للصلاة إذا ما تُركت عمدًا ، وإلا لما بالغ الإمام علي (عليه السلام) في الجهر بها حتى في الصلاة السرية .

ثم إننا نشتم من روايات أنس بن مالك التزلف لإرضاء بني أمية الذين أطروه وأغدقوا عليه الأموال وبنوا له القصور الفخمة لأنه من المناوئين لعلي (عليه السلام) هو الآخر ويظهر بغضه لأمير المؤمنين (عليه السلام) من قصة الطير

(1) تفسير غرائب القرآن للنيسابوري بهامش تفسير الطبري ج 1 ص 77 .

(2) الشيخ أبو زهرة في كتاب الإمام الصادق ص 161 .

المشوي عندما قال النبي (ص): «اللهم اثنني بأحب الخلق إليك يأكل معي هذا الطير»، فجاء عليّ يستأذن فرده أنس ثلاث مرات، ولما عرف النبي في المرة الرابعة قال لأنس: ما حملك على ما فعلت؟ قال أنس: رجوت أن يكون واحداً من الأنصار⁽¹⁾.

ويكفي هذا الصحابي أن يسمع النبي (ص) يدعو ربه بأن يأتيه بأحب الخلق إليه، ويستجيب الله لدعاء رسوله فيأتيه بعليّ (عليه السلام)، ولكن بغض أنس له يحمله على الكذب فيرد علياً مدعياً بأن النبي (ص) في حاجة له ويتكرر منه الكذب ثلاث مرات متوالية لأنه لم يقبل أن يكون عليّ (عليه السلام) أحب الخلق إلى الله بعد رسوله، ولكن علياً اقتحم الباب في المرة الرابعة ودخل، فقال له النبي (ص): ما حبسك عني يا علي؟ قال: جئتكَ فردني أنس ثلاث مرات، قال: ما حملك على ذلك يا أنس؟ قال: يا رسول الله سمعت دعاءك فأحببت أن يكون رجلاً من قومي.

والتاريخ بعد ذلك يحدثنا بأن أنس بقي على بغضه للإمام (عليه السلام) طيلة حياته، وهو الذي استشهده عليّ يوم الرحبة بحديث الغدير فكتّم الشهادة ودعا عليه الإمام (عليه السلام) فلم يقم من مجلسه إلا أبرص، فكيف لا يصبح أنساً من المناوئين لعليّ (عليه السلام) وهو يبغضه ويتقرّب إلى أعدائه بالبراءة منه.

لكل ذلك جاءت روايته في خصوص البسمة تفوح بالولاء لمعاوية بن أبي سفيان إذ يقول: «صليت خلف النبي وأبي بكر وعمر وعثمان» ويعني بذلك أنه ما كان يقبل بالصلاة وراء عليّ، وهو بالضبط ما كان يريده معاوية وأتباعه من رفع ذكر الخلفاء الثلاثة وطمس ذكر عليّ (عليه السلام) وعدم التحدث باسمه.

وبها أنه ثبت من طريق أئمة العترة الطاهرة وشيعتهم بأن علياً (عليه السلام)

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه الترمذي في صحيحه ج 2، ص 299، والطبري في الرياض النضرة ج 2، ص 160، تاريخ بغداد ج 3، ص 171، كتر العمال ج 6، ص 406، النسائي في الخصائص ص 5، وابن الأثير في أسد الغابة ج 4، ص 30.

كان يجهر بالبسملة في الفاتحة والسورة التي بعدها، كما ثبت أيضاً من طريق «أهل السنة والجماعة» بأنه كان يبالي في الجهر بالبسملة حتى في الصلاة السرية، فثبت بذلك أنها هي السنة النبوية الصحيحة، فمن تركها فقد ترك الواجب وأبطل صلاته، لأن مخالفة السنة هو الضلال، فما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.

ولنا بعد هذا عدة مآخذ على روايات الصحابة التي تخالف سنة النبي (ص) وعدة أمثلة ذكرنا البعض منها في أبحاث سابقة وسنذكر البعض الآخر في أبحاث لاحقة. والمهم في كل ذلك أن نعرف بأن «أهل السنة والجماعة» يقتدون بأقوال وأفعال الصحابة.

أولاً: لإيائهم بأن أقوالهم وأفعالهم هي سنة ملزمة.

ثانياً: لاشتباههم في أن ما قاله الصحابة وما فعلوه لا يخالف السنة النبوية، لأن الصحابة كانوا يحكمون بأرائهم وينسبون ذلك للنبي (ص) حتى يتمكنوا من التأثير في النفوس ويأمروا معارضة المعارضين.

وإذا كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو المعارض الوحيد الذي حاول بكل جهوده في أيام خلافته إرجاع الناس للسنة النبوية بأقواله وأفعاله وقضائه، ولكن بدون جدوى لأنهم شغلوه بالحروب الطاحنة فلم ينته من حرب إلا وأشعلوا له حرباً أخرى، ولم ينته من حرب الجمل حتى أسعروا حرب صفين ولم ينته من صفين حتى أشعلوا حرب النهروان ولم ينته منها حتى اغتالوه في محراب الصلاة.

وجاء معاوية للخلافة وكان همه الوحيد هو إطفاء نور الله، فعمل بكل جهوده للقضاء على سنة النبي التي أحياها الإمام علي (عليه السلام)، وأرجع الناس لبدع الخلفاء وخصوصاً البدع التي سنّها هو لهم، وعمل على سب علي (عليه السلام) ولعنه حتى لا يذكره ذاكر إلا بما هو مشين.

يذكر المدائني أن بعض الصحابة جاء إلى معاوية فقال له: «يا أمير المؤمنين، إن علياً (عليه السلام) مات وليس هناك شيء تخافه، فلو رفعت هذا

اللعن عنه؟ فقال معاوية : لا والله حتى يهرم عليه الكبير ويشيب عليه الصغير.

يقول المدائني : فمكثوا على ذلك (بنو أمية) دهنراً وعلموه إلى صبيانهم في الكتاتيب وإلى نسائهم وخدمهم ومواليهم ، وقد نجح معاوية في مخططة نجاحاً كبيراً ، إذ أبعد الأمة الإسلامية (إلا القليل منها) عن وليها وقائدها الحقيقي ، وجزّهم إلى معاداته والبراءة منه ، وألبس لهم الباطل بالحق وجعلهم يعتقدون بأنهم هم «أهل السنة» وأن من وإلى علياً واتباعه فهو خارجي وصاحب بدعة .

وإذا كان الإمام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) وما أدراك ، يُلعن فوق المنابر ويتقرَّب إلى الله بسبِّه ولعنه ، فما بالك بالشيعة الذين اتبعوه ، فقد منعوا عطاءهم وحرقوا عليهم ديارهم وصلبواهم على جذوع النخل ودفنواهم أحياء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

إن معاوية في نظري هو حلقة من سلسلة المؤامرة الكبرى وفصل من فصولها ، ولكنه نجح أكثر من غيره في طمس الحقائق وتقليبها ظهراً على عقب ، وأرجع الأمة إلى الجاهلية الأولى في لباس الإسلام .

وتجدر الإشارة بأنه كان أدهى ممن سبقه من الخلفاء فكان ممثلاً بارعاً يجيد التمثيل فيكي في بعض الأحيان حتى يؤثر في الحاضرين فيعتقدون أنه من الزهاد العباد المخلصين ويقسو ويتجبر أحياناً أخرى حتى ينحيل إلى الحاضرين أنه من أكبر الملحددين ويظن البدوي بأنه رسول الله !

ولا بد لإتمام البحث أن نعرف من خلال رسالة محمد بن أبي بكر التي وجهها إليه ورده عليها مدى مكروه ودهائه كما سنعرف من خلال الرسالتين حقائق لا غنى للباحثين من الوقوف عليها .

كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر:
سلام على أهل طاعة الله، ممن هو سلم لأهل ولاية الله،
أما بعد،

فإن الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته، خلق خلقه بلا عبث منه ولا ضعف في قوته، ولا حاجة به إلى خلقهم، لكنه خلقهم عبيداً وجعل منهم غوياً ورشيداً، وشقياً وسعيداً، ثم اختار على علم فاصطفى وانتخت منهم محمداً (ص)، فاختره برسالته، واختاره لوحيه واثمنه على أمره، وبعثه رسولاً ومبشراً ونذيراً، مصداقاً لما بين يديه من الكتب، ودليلاً على الشرائع، فدعا إلى سبيل أمره بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأجاب وأمن وصدق وأسلم وسلم، أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب (عليه السلام) صدقه بالغيب المكتوم وأثره على كل حميم، ووقاه بنفسه كل هول وواساه بنفسه في كل خوف، وحارب حربه وسالم سلمه، فلم يبرح مبتدلاً لنفسه في ساعات الأزل ومقامات الروح، حتى برز سابقاً لا نظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله.

وقد رأيتك تساميه، وأنت أنت، وهو هو السابق المبرز في كل خير، أول الناس إسلاماً، وأصدق الناس نية، وأفضل الناس ذرية وخير الناس زوجة، وأفضل الناس ابن عم، أخوه الشاري لنفسه يوم مؤتة، وعمه سيد الشهداء يوم أحد، وأبوه الذاب عن رسول الله (ص) وعن حوزته، وأنت اللعين ابن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل، وتجهدان في إطفاء نور الله، تجمععان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال وتؤلبان عليه القبائل.

على هذا مات أبوك وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من تدني

ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤساء النفاق والشقاق لرسول الله (ص)،
والشاهد لعلّي مع فضله المبين وسابقته القديمة أنصاره الذين معه الذين ذكرهم
الله تعالى في القرآن ففضّلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار فهم معه
كتائب وعصائب يجالدون حوله بأسيا فهم، ويهرقون دماءهم دونه، يرون الحق
في اتباعه والشقاء في خلافه.

فكيف يا لك الويل تعدل نفسك بعليّ وهو وارث رسول الله (ص) ووصيه
وأبو ولده، وأول الناس له اتباعاً وأقربهم به عهداً، يخبره بسرّه ويطلعه على
أمره، وأنت عدوه وابن عدوه. !؟

فتمتع في دنياك ما استطعت بباطلك، وليمددك بن العاص في غوايتك،
فكأن أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهى، وسوف يتبين لك لمن تكون العاقبة
العليا!

واعلم أنك إنما تكايد ربك الذي قد أمنت كيده، وآيست من روحه وهو
لك بالمرصاد، وأنت منه في غرور. والسلام على من اتبع الهدى⁽¹⁾.

* * *

وهذه الرسالة التي كتبها محمد بن أبي بكر فيها حقائق دامغة لكل باحث
عن الحقيقة، فهي تصف معاوية بأنه ضال مضل وأنه لعين ابن لعين، وأنه
يعمل كل ما في وسعه لإطفاء نور الله ويبدل الأموال لتحريف الدين ويبغي
لدين الله الغوائل، وأنه عدو لله ولرسوله ويعمل بالباطل بإعانة عمرو بن
العاص.

كما وأن الرسالة تكشف عن فضائل ومزايا عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)
التي لم يسبقه إليها سابق ولا يلحقه إليها لاحق، والحق أن عليّ بن أبي طالب
(عليه السلام) من الفضائل والمزايا أكثر مما عدده محمد بن أبي بكر بكثير،
ولكن الذي يهمننا في هذا الباب هو رد معاوية بن أبي سفيان على هذه الرسالة،
لتعرف أيها الباحث عن الحقيقة خفايا ودسائس التاريخ وتكتشف من خلالها
خيوط المؤامرة التي أبعدت الخلافة عن صاحبها الشرعي وتسببت في انحراف
الأمة، فإليك الرد.

(1) جمهرة رسائل العرب ج 1 ص 475، مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 59، شرح النهج لابن أبي الحديد
ج 1 ص 283.

رد معاوية على محمد بن أبي بكر

من معاوية بن صخر إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر.
سلام على أهل طاعة الله .
أما بعد .

فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في عظمته وقدرته وسلطانه ، وما
أصفى به رسول الله (ص) مع كلام كثير ألفته ووضعت له لرأيك فيه تضعيف ،
ولأبيك فيه تعنيف .

ذكرت فيه فضل ابن أبي طالب وقديم سوابقه وقربته من رسول الله (ص) ،
ونصرته له ومواساته إياه في كل هول وخوف ، فكان احتجاجك عليّ وفخرك
بفضل غيرك لا بفضلك ، فأحمد رباً صرف هذا الفضل عنك وجعله لغيرك .

فقد كنا وأبوك معنا في حياة نبينا نعرف حق ابن أبي طالب لازماً لنا ، وفضله
مبرزاً علينا ، فلما اختار الله لنبيه (عليه الصلاة والسلام) ما عنده ، وأتم له ما
وعده ، وأظهر دعوته ، وأفلج حجته ، وقبضه الله إليه (صلوات الله عليه) ، كان
أبوك وفاروقه أول من ابتزّه حقه وخالفه على أمره ، على ذلك اتفاقاً واتساقاً ، ثم
إنهما دعواهما إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما ، فهما به الهموم وأرادا به العظيم ،
ثم إنه بايعهما وسلم لهما ، وأقاما لا يشركانه في أمرهما ولا يطلعانه على سرهما ،
حتى قبضهما الله ، وانقضى أمرهما ، ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار
بسيرتهما ، فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأفاصي من أهل المعاصي
فطلبتهما له الغوائل حتى بلغت في مناكما .

فخذ حذرک یا ابن أبی بکر، فسترى وبال أمرک، وقس شبرک بقترک تقصر
عن أن توازي أو تساوي من یزن الجبال حلمه، ولا تلین علی قسر قناته، ولا
یدرک ذو مدی أناته .

أبوک مهّد له مهاده، وبنى ملکه وشاده، فإن یک ما نحن فيه صواباً فأبوک
أوله، وإن یکن جوراً فأبوک استبد به ونحن شرکائه، فبهديه أخذنا وبفعله
اقتدینا، ولولا ما فعل أبوک من قبل ما خالفنا ابن أبی طالب، ولسلمنا إليه،
ولکنا رأینا أباک فعل ذلك به من قبلنا، فاحتدینا مثاله، واقتدینا بفعله، فعب
أباك بما بدا لك أو دع، والسلام علی من أناب ورجع من غوايته وتاب⁽¹⁾.

* * *

ونستنتج من هذا الرد بأن معاوية لا ينکر فضائل عليّ بن أبی طالب ومزاياه،
ولکنه تجرأ علیه احتذاء بأبي بکر وعمر، ولولاهما لما استصغر شأن عليّ (عليه
السلام) ولا تقدم علیه أحد من الناس . كما يعترف معاوية بأن أبا بکر هو
الذي مهّد لبنی أمية وهو الذي بنى ملکهم وشاده .

ونفهم من هذه الرسالة بأن معاوية لم یقتد برسول الله (ص)، ولم یهتد
بهديه، عندما اعترف بأن عثمان هدی بهدي أبي بکر وعمر وسار بسيرتهما .

وبذلك يتبين لنا بوضوح بأنهم جميعاً ترکوا سنة النبي (ص) واقتدى بعضهم
ببدعة بعض . كما أن معاوية لم ينکر بأنه من الضالین الذين يعملون بالباطل
وأنه لعین ابن لعین علی لسان النبي (ص) .

ولتعميم الفائدة لا بأس بذكر الرسالة التي رد بها يزيد بن معاوية علی ابن
عمر وهي علی اختصارها ترمي نفس المرمى .

فقد أخرج البلاذري في تاريخه قال :

لما قتل الحسين بن عليّ بن أبی طالب (عليهما السلام)، كتب عبدالله بن
عمر رسالة إلى يزيد بن معاوية جاء فيها :

(1) جهرة رسائل العرب ج 1 ص 477، مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 60، شرح نهج البلاغة لابن أبي
الحديد المعتزلي ج 1 ص 284.

أما بعد، فقد عظمت الرزية وجلّت المصيبة، وحدث في الإسلام حدث عظيم، ولا يوم كيوم قتل الحسين.

فكتب إليه يزيد:

أما بعد، يا أحمق، فإننا جئنا إلى بيوت مجددة، وفرش ممهدة، ووسائل منضدة، فقاتلنا عنها.

فإن يكن الحق لنا فعن حقنا قاتلنا، وإن كان الحق لغيرنا فأبوك أول من سنّ هذا واستأثر بالحق على أهله.

وفي رد معاوية على ابن أبي بكر كما في رد يزيد على ابن عمر نجد نفس المنطق ونفس الاحتجاج. وهو لعمرى أمر ضروري يقره الوجدان، ويدركه كل عاقل ولا يحتاج في الحقيقة إلى شهادة معاوية وابنه يزيد.

فلولا استبداد أبي بكر وعمر على عليّ، لما وقع ما وقع في الأمة الإسلامية، ولو تمكّن عليّ من الخلافة بعد رسول الله (ص) وحكم المسلمين لتواصلت خلافته إلى سنة أربعين للهجرة أعني ثلاثون عاماً بعد النبي⁽¹⁾. وهي مدة كافية لإرساء قواعد الإسلام بكل أصوله وفروعه، ولتمكّن (عليه السلام) من تطبيق كتاب الله وسنة رسوله بدون تحريف ولا تأويل.

ولما وليها بعد وفاته غير سيدي شباب أهل الجنة الإمام الحسن والإمام الحسين وأولاده المعصومين بقية الأئمة (عليهم السلام) وتواصلت خلافة الراشدين ثلاثة قرون، لم يكن بعدها للكافرين والمنافقين والملحدين تأثير ولا وجود، ولكانت الأرض غير الأرض والعباد غير العباد، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يبقى هناك دائماً اعتراض من بعض «أهل السنة والجماعة» على هذا الاحتمال وذلك من وجهين:

(1) لأن أبا بكر وعمر وعثمان توفوا في حياة الإمام علي.

* الأول أنهم يقولون بأن ما وقع هو الذي اختاره الله وأراده، ولو أراد الله أن يقود المسلمين عليّ والأئمة من ولده (عليهم السلام) لكان ذلك، وهم يرددون دائماً «الخير في ما اختاره الله».

* الثاني أنهم يقولون: لو تولى عليّ الخلافة مباشرة بعد النبي وأعقبه الحسن والحسين لأصبحت الخلافة وراثية يرثها الأبناء على الآباء، وهذا لا يقره الإسلام الذي ترك الأمر شورى بين الناس.

وإجابة على ذلك ولرفع الالتباس نقول:

* أولاً: ليس هناك دليل واحد على أن ما وقع هو الذي اختاره الله وأراده، بل الأدلة على عكسه ثابتة في الكتاب والسنة، فمن الكتاب مثلاً قوله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ (الأعراف: 96)، وكذلك قوله تعالى: ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون﴾ (المائدة: 66). وكذلك قوله تعالى: ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً علياً﴾ (النساء: 147). وقوله: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد: 11). وكل هذه الآيات البينات تفيد بأن الانحراف سواء كان على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الأمم هو من عند أنفسهم وليس من عند الله.

ومن السنة النبوية مثلاً: قول الرسول (ص): «تركت فيكم كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتن بهما لن تضلوا بعدي أبداً» وقوله (ص): «هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»، وقوله: «ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة». وكل هذه الأحاديث الشريفة تفيد بأن ضلالة الأمة كانت بسبب انحراف الأمة وعدم قبولها لما اختاره الله لها.

* ثانياً: هب أن الخلافة الإسلامية كانت بالوراثة فليست هي الوراثة التي يفهمونها بأن يستبد الحاكم على رعيته فيولي عليهم ابنه قبل وفاته ويسميه ولي العهد، ولو كان الوالد والولد فاسقين بل هي وراثة إلهية من اختيار رب العالمين

الذي لا يعزب عن علمه مثقال حبة من خردل والتي تخص نخبة صالحة اصطفاهما الله وأورثها الكتاب والحكمة لتكون للناس أئمة، فقال: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ (الأنبياء: 73). مع أن قولهم بأن الإسلام لا يقر الوراثة وإنما ترك الأمر شورى، هو مغالطة لا يقرها الواقع والتاريخ. فقد وقعوا بالضبط في النظام الوراثي الممقوت، ولم يتولّ على الأمة بعد عليّ (عليه السلام) إلا الظالمين الغاصيين الذين أورثوها لأبنائهم الفسقة رغم أنف الأمة.

فأيها الأفضل أن يتوارثها الفساق الذين يحكمون بأهوائهم ولا يخضعون إلا لشهواتهم؟ أو يتوارثها الأئمة الطاهرين الذين اصطفاهم الله وأذهب عنهم الرجس وأورثهم علم الكتاب ليحكموا بين الناس بالحق ويهدوهم سواء السبيل ويدخلوهم جنات النعيم، من باب قول الله: ﴿وورث سليمان داود﴾ (النمل: 16)؟ وما أظن العاقل يختار إلا الثاني إن كان من المسلمين! وما دما الآن نقول بالأمر الواقع ولا يفيدنا التحسر على ما فات فلنعد إلى الموضوع فنقول:

ولما دفع أبو بكر وعمر أمير المؤمنين عن منصبه في الخلافة وتقمصاها، وصغراً بذلك شأن عليّ وفاطمة وأهل البيت (عليهم السلام) وأهانوهم، عند ذلك سهل الأمر على معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان وأضرابهم أن يفعلوا ما فعلوه، ولولا أنها مهّدا لمعاوية ومكّنا له في البلاد حتى بقي والياً في الشام وحدها أكثر من عشرين عاماً، ولم يعزل أبداً ونال معاوية هيبة وأوطأ رقاب الناس حتى دانوا له بكل ما يريد، ثم جعل الخلافة لابنه من بعده الذي وجد كما صرح بنفسه بيوتاً مجددة وفرشاً ممهدة ووسائل منضدة، فمن الطبيعي أن يقاتل من أجلها وأن يقتل ربحانة النبي ولا يبالي، فقد رضع بغض أهل البيت في حليب أمه ميسون وترعرع في حجر أبيه على سبهم ولعنهم، فلا غرابة أن يصدر منه الذي صدر أو أكثر من ذلك.

وقد اعترف بعض الشعراء بهذه الحقيقة إذ يقول:

لولا حدود صوارم أمضى مضاربها الخليفة
لنشرت من أسرار آل محمد جلاً ظريفة
وأريتكم أن الحسين أصيب يوم السقيفة

ويفهم الباحث المتتبع بأن دولة بني أمية كلها قامت بفضل أبي بكر وعمر. وكذلك دولة بني العباس وغيرها من الدول، ولذلك نجد هؤلاء قد بذلوا كل ما في وسعهم للتنويه بأبي بكر وعمر وخلق الفضائل لهم وإثبات أحقيتهم في الخلافة، لأنهم أدركوا بأن شرعيتهم في الخلافة لا تتم إلا بتصحيح خلافتها والقول بعدالتهما.

وفي المقابل نراهم جميعاً فعلوا بأهل البيت الأفاعيل لا شيء إلا لأنهم أصحاب الخلافة الشرعية وهم وحدهم الذين يهددون كيانهم ودولتهم.

وهذا بديهي عند العقلاء الذين عرفوا الحق، وأنت ترى إلى يومنا هذا أن بعض الدول الإسلامية يحكمها ملوك ليس لهم من الفضل أو الفضيلة شيء سوى أنهم أولاد ملوك وسلاطين وأمراء كما كان يزيد أميراً لأن والده معاوية كان ملكاً وملك الأمة بالقوة والقهر.

فلا يعقل أن يحب ملوك السعودية وأمراؤها أهل البيت ومن تشيع لهم.

كما لا يعقل أن يبغض ملوك السعودية وأمراؤهم معاوية ويزيد، وما سن لهم دستور ولاية العهد غيرهما وبدستور معاوية ويزيد وكل أمراء بني أمية وبني العباس يستمد الملوك المعاصرون شرعيتهم وبقاءهم.

ومن هنا أيضاً جاء تقديس الخلفاء الثلاثة وتفضيلهم والقول بعدالتهم والدفاع عنهم، وعدم السماح بنقدهم أو التكلم فيهم، لأنهم أساس كل الحكومات التي وجدت وستوجد من يوم السقيفة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ويُفهم على هذا الأساس أيضاً لماذا اختاروا لأنفسهم اسم «أهل السنة والجماعة» ولغيرهم اسم الروافض أو الزنادقة لأن علياً وأهل بيته (عليهم

السلام) وشيعته رفضوا خلافتهم ولم يبائعوهم واحتجوا عليهم في كل مناسبة ،
فعمل الحكام على انتقاصهم وتصغير شأنهم وتحقيرهم وسبهم ولعنهم وقتلهم
وتشريدهم .

وإذا لقي أهل البيت الذين تعلق أجر الرسالة في القرآن بمودتهم هذه الإهانة
وهذا التقتيل ، فلا غرابة أن يلاقي شيعتهم ومن والاهم واهتدى بهديهم كل
تنكيل وتوهين وتحقير وتكفير . ويصبح المحق هو المنبوذ المعادي المتروك ويصبح
المبطل هو القدوة والسيد المحترم الذي تجب طاعته .

فالذي والى علياً وشايعة هو صاحب بدعة وفتنة ، والذي والى معاوية
وشايعة هو صاحب سنة وجماعة .

والحمد لله الذي وهبنا من العقل ما نميز به الحق من الباطل والنور من
الظلمات والأبيض من الأسود ، إن ربي على صراط مستقيم . ﴿وما يستوي
الأعمى والبصير﴾ ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور * ﴿وما يستوي
الأحياء ولا الأموات﴾ إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور﴾
(فاطر : 19-22) .

- صدق الله العلي العظيم -

الصحابة عند شيعة أهل البيت

وإذا بحثنا موضوع الصحابة بتجرد وبدون عواطف نجد أن الشيعة أنزلوهم بمنازل القرآن والسنة النبوية وما أوجبه العقل ، فلم يكفروهم بمجموعهم كما فعل الغلاة ، ولم يقولوا بعدالتهم جميعاً كما فعل «أهل السنة والجماعة» .

يقول الإمام شرف الدين الموسوي في هذا الموضوع : «إن من وقف على رأينا في الصحابة علم أنه أوسط الآراء ، إذ لم نفرط فيه تفريط الغلاة الذين كفروهم جميعاً ، ولا أفرطنا إفراط الجمهور الذين وثقوهم جميعاً ، فإن الكاملية ومن كان في الغلو على شاكلتهم قالوا بكفر الصحابة كافة ، وقال «أهل السنة» بعدالة كل فرد ممن سمع النبي أو رآه من المسلمين مطلقاً واحتجوا بحديث (كل من دبَّ أو درج منهم أجمعين أكتعين) .

أما نحن وإن كانت الصعبة بمجردنا عندنا فضيلة جليلة لكنها بما هي من حيث هي غير عاصمة ، فالصحابة كغيرهم من الرجال فيهم العدول وهم عظمائهم وعلمائهم ، وفيهم البغاة وفيهم أهل الجرائم من المنافقين ، وفيهم مجهول الحال ، فنحن نحتج بعدولهم ونتولاهم في الدنيا والآخرة .

أما البغاة على الوصي وأخي النبي (ص) وسائر أهل الجرائم كابن هند وابن النابغة وابن الزرقاء وابن عقبة وابن أرطاة وأمثالهم ، فلا كرامة لهم ولا وزن لحديثهم ، ومجهول الحال نتوقف فيه حتى نتبين أمره .

هذا رأينا في حملة الحديث من الصحابة ، والكتاب والسنة هما يثبتنا على هذا الرأي كما هو مفصل في مظانه من أصول الفقه ، لكن الجمهور بالغوا في تقدس

كل من يسمونه صحابياً حتى خرجوا عن الاعتدال فاحتجوا بالغث منهم
والسمين، واقتدوا بكل مسلم سمع من النبي (ص) أو رآه اقتداءً أعمى،
وأنكروا على من يخالفهم في هذا الغلو، وخرجوا في الإنكار على كل الحدود.

وما أشد إنكارهم علينا حين يروننا نرد حديث كثير من الصحابة مصرّحين
بجرحهم أو بكونهم مجهولي الحال عملاً بالواجب الشرعي في تمحيص الحقائق
الدينية والبحث عن الصحيح من الآثار النبوية.

وبهذا ظنوا بنا الظنون فاتهمونا بما اتهمونا رجماً بالغيب وتهافتاً على الجهل،
ولو ثابت إليهم أحلامهم ورجعوا إلى قواعد العلم لعلموا أن أصالة العدالة في
الصحابة مما لا دليل عليها، ولو تدبروا القرآن الحكيم لوجوده مشحوناً بذكر
المنافقين منهم وحسبك منه سورة التوبة والأحزاب... » (إنتهى كلام شرف
الدين).

ويقول الدكتور حامد حفني داود أستاذ كرسي الأدب العربي ورئيس قسم
اللغة العربية بجامعة عين شمس بالقاهرة: «أما الشيعة فيرون أن الصحابة
كغيرهم تماماً لا فرق بينهم وبين من جاء بعدهم من المسلمين إلى يوم القيامة.

وذلك من حيث خضوعهم لميزان واحد هو ميزان العدالة الذي توزن به
أفعال الصحابة كما توزن به أفعال من جاء بعدهم من الأجيال وأن الصحبة لا
تعطي لصاحبها منقبة إلا إذا كان أهلاً لهذه المنقبة وكان لديه الاستعداد للقيام
برسالة صاحب الشريعة (ص)، وأن منهم المعصومين كالأئمة الذين نعموا
بصحبة الرسول (ص) كعلي وابنيه (عليهم السلام).

ومنهم العدول وهم الذين أحسنوا الصحبة لعلي بعد انتقال الرسول (ص)
إلى الرفيق الأعلى.

ومنهم المجتهد المصيب، ومنهم المجتهد المخطيء ومنهم الفاسق، ومنهم
الزنديق، وهو أقبح من الفاسق وأشد نكالاً ويدخل في دائرة الزنديق المنافقون
والذين يعبدون الله على حرف، كما أن منهم الكفار وهم الذين لم يتوبوا من
نفاقهم والذين ارتدوا بعد الإسلام.

ومعنى هذا أن الشيعة - وهم شطر عظيم من أهل القبلة - يضعون جميع المسلمين في ميزان واحد ولا يفرقون بين صحابي وتابعي ومتأخر، وأن الصحبة في ذاتها ليست حصانة يتحصن بها من درجة الاعتقاد .

وعلى هذا الأساس المتين أباحوا لأنفسهم - اجتهداً - نقد الصحابة والبحث في درجة عدالتهم ، كما أباحوا لأنفسهم الطعن في نفر من الصحابة أخلّوا بشروط الصحبة وحادوا عن محبة آل محمد (ص) .

كيف لا ، وقد قال الرسول الأعظم : «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا ، كتاب الله وعترتي آل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» .

وعلى أساس من هذا الحديث ونحوه يرون أن كثيراً من الصحابة خالفوا هذا الحديث باضطهادهم لآل محمد ، ولعنهم لبعض أفراد هذه العترة ، ومن ثم فكيف يستقيم لهؤلاء المخالفين شرف الصحبة ، وكيف يوسموا بسمّة العدالة؟! ذلك هو خلاصة رأي الشيعة في نفي صفة العدالة عن بعض الصحابة وتلك هي الأسباب العلمية الواقعية التي بنوا عليها حججهم» .

هذا ويعترف الدكتور حامد حفني داود في موضع آخر بأن نقد الصحابة وتجريحهم ليس هو بدعاً من الشيعة وحدهم إذ يقول : «وقديماً تعرّض لها المعتزلة فيما تعرضوا له من مسائل العقيدة ، ولم يكتفوا فيما تعرضوا له بعمامة الصحابة بل تعرضوا للخلفاء أنفسهم ، وكان لهم في ذلك خصوم ومؤيدون .

وقد كان موضوع نقد الصحابة قاصراً - في القرون الأولى - على الراسخين في العلم وبخاصة علماء المعتزلة ، وسبقهم في هذا الاتجاه رؤوس الشيعة وزعماء المتعصين لآل محمد .

وسبق أن أشرت في غير هذا الموضع أن علماء الكلام وشيوخ المعتزلة كانوا عالة على زعماء الشيعة منذ القرن الهجري الأول ، وعليه ففضية نقد الصحابة إنما هي وليدة التشيع لآل محمد ، ولكنها كانت وليدة التشيع ، لا لذات التشيع ،

بل لأن المتشيعين لآل محمد عرفوا بتبخرهم في علوم العقائد بسبب ما نهلوا من موارد أئمة آل البيت وهم المصدر الأصيل والمعين الفياض الذي نهلت منه الثقافات الإسلامية منذ صدر الإسلام إلى اليوم»⁽¹⁾. إنتهى كلام الدكتور حامد داود .

وأنا أعتقد بأن الباحث عن الحقيقة لا بد له من فتح باب النقد والتجريح وإلا سيبقى محجوباً عنها، بالضبط «كأهل السنة والجماعة» الذين بالغوا في القول بعدالة الصحابة وعدم البحث في أحوالهم فبقوا بعيدين عن الحق إلى يومنا هذا .

(1) كتاب الصحابة في نظر الشيعة الإمامية صفحة 8 وما بعدها .

الصحابة عند «أهل السنة والجماعة»

أما «أهل السنة والجماعة» فقد بالغوا في تنزيه الصحابة، والقول بعدالتهم جميعاً بدون استثناء وخرجوا بذلك على حدود العقل والنقل عندما أنكروا على من ينتقد أحداً منهم أو يقول بعدم عدالته فضلاً عن تفسيرهم، وإليك طرفاً من أقوالهم لتعرف بعدهم عن مفاهيم القرآن وما ثبت في السنة النبوية الصحيحة، وما أثبتته العقل والوجدان.

هذا الإمام النووي يقول في شرح صحيح مسلم: «إن الصحابة (رضي الله عنهم) كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة، وأفضل ممن بعدهم، وكلهم عدول قدوة لا نخالة فيهم، وإنما جاء التخليط ممن بعدهم، وفيمن بعدهم كانت النخالة»⁽¹⁾.

وهذا يحيى بن معين يقول: كل من شتم عثمان أو طلحة أو أحداً من أصحاب رسول الله (ص) دجال لا يكتب عنه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين⁽²⁾.

وهذا الذهبي يقول: من الكبائر سبُّ أحد من الصحابة فمن طعن فيهم أو سبهم، فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين⁽³⁾.

وسئل القاضي أبو يعلى عن شتم أبا بكر؟ فقال: كافر، قيل فيصلى عليه؟

(1) صحيح مسلم ج 8 ص 22.

(2) تهذيب التهذيب ج 1 ص 509.

(3) كتاب الكبائر للذهبي ص 233 و 235.

قال : لا، فقل كيف يصنع به وهو يشهد أن لا إله إلا الله؟ قال : لا تمسوه بأيديكم، ادفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرة⁽¹⁾.

ويقول الإمام أحمد بن حنبل : «خير الأمة بعد النبي (ص) أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر، وعليّ بعد عثمان، وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله (ص) بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص، فمن فعل ذلك فقد وجب تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتيه، فإن تاب قبل منه، وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلّده في الحبس حتى يموت أو يُراجع».

وقال الشيخ علاء الدين الطرابلسي الحنفي : من شتم أحداً من أصحاب النبي (ص) أبا بكر أو عمر أو عثمان أو علياً أو معاوية أو عمرو بن العاص، فإن قال : كانوا على ضلال وكفر، قُتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشائمه الناس نكّل نكالاً شديداً⁽²⁾.

وينقل الدكتور حامد حفني داود أقوال «أهل السنة والجماعة» باختصار، فيقول : «يرى أهل السنة أن الصحابة كلهم عدول، وأنهم جميعاً مشتركون في العدالة وإن اختلفوا في درجاتها، وأن من كفر صحابياً فهو كافر، ومن فسّقه فهو فاسق، وأن من طعن في صحابي فكأنها طعن على رسول الله (ص). ويرى جهابذة أهل السنة أيضاً أنه لا يجوز الخوض فيما جرى بين علي (رضي الله عنه) ومعاوية من أحداث التاريخ.

وأن من الصحابة من اجتهد وأصاب وهو علي ومن نحاه نحوه، وأن منهم من اجتهد وأخطأ مثل معاوية وعائشة (رضي الله عنها) ومن نحاه نحوهما، وأنه ينبغي - في نظر أهل السنة - الوقوف والإمساك عند هذا الحكم دون التعرض لذكر المثالب. ونها عن سب معاوية باعتباره صحابياً، وشدّدوا النكير على من سبّ عائشة، باعتبارها أم المؤمنين الثانية بعد خديجة وباعتبارها حب رسول الله.

(1) كتاب الصّارم المسلول ص 275.

(2) كتاب معين الحكّام فيما يتردّد بين الخصمين من الأحكام ص 187.

وما زاد على ذلك فينبغي ترك الخوض فيه وإرجاء أمره إلى الله سبحانه، وفي ذلك يقول الحسن البصري وسعيد بن المسيب: «تلك أمور طهر الله منها أيدينا وسيوفنا فلنطهر منها ألسنتنا».

«هذه خلاصة آراء أهل السنة في عدالة الصحابة وفيما ينبغي أن نقف منهم»⁽¹⁾. إنتهى كلامه.

وإذا أراد الباحث أن يتوسع في معرفة الصحابة ومَن المقصودون بهذا المصطلح على رأي «أهل السنة والجماعة» فسيذكر بأنهم يعطون هذا الوسام الشرفي لكل من رأى النبي!

يقول البخاري في صحيحه: من صحب رسول الله (ص) أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.

ويقول أحمد بن حنبل: أفضل الناس بعد صحابة الرسول من البدرين كل من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً، أو رآه، وله من الصحبة على قدر ما صحبه⁽²⁾.

وقال ابن حجر في كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة»: «كل من روى عن النبي حديثاً أو كلمة، أو رآه وهو مؤمن به فهو من الصحابة، ومن لقي النبي مؤمناً به ومات على الإسلام، طالت مجالسته معه أو قصرت، روى عنه أو لم يرو، غزا أو لم يغز، من رآه ولم يجالسه ومن لم يره لعارض»⁽³⁾.

والأغلبية الساحقة من «أهل السنة والجماعة» يرون هذا الرأي ويعدون من الصحابة كل من رأى النبي (ص) أو وُلد في حياته، وإن لم يدرك ولم يعقل، وليس أدل على ذلك من عدّهم محمد بن أبي بكر من الصحابة وقد توفي رسول الله (ص) ولمحمد بن أبي بكر من العمر ثلاثة أشهر فقط.

ولذلك نرى ابن سعد يقسم الصحابة إلى خمس طبقات في كتابه المشهور بطبقات ابن سعد.

(1) كتاب الصحابة في نظر الشيعة الإمامية ص 8 و 9.

(2) الكفاية ص 51 وكتاب تلقيح فهم أهل الآثار ص 2.

(3) كتاب الإصابة لابن حجر ج 1 ص 10.

وهذا الحاكم النيسابوري صاحب كتاب «المستدرک» يجعلهم اثنتي عشرة طبقة كالآتي :

الطبقة الأولى : هم الذين أسلموا بمكة قبل الهجرة كالخلفاء الراشدين .

الطبقة الثانية : هم الذين حضروا دار الندوة .

الطبقة الثالثة : هم الذين هاجروا إلى الحبشة .

الطبقة الرابعة : هم الذين حضروا العقبة الأولى .

الطبقة الخامسة : هم الذين حضروا العقبة الثانية .

الطبقة السادسة : هم الذين هاجروا للمدينة بعد هجرة الرسول إليها .

الطبقة السابعة : هم الذين شهدوا بدرًا .

الطبقة الثامنة : هم الذين هاجروا بعد بدر وقبل الحديبية .

الطبقة التاسعة : هم الذين شهدوا بيعة الرضوان .

الطبقة العاشرة : هم الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل فتح مكة ، أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهم .

الطبقة الحادية عشرة : هم الذين سباهم النبي (ص) بالطلاق .

الطبقة الثانية عشرة : هم صبيان وأطفال الصحابة الذين ولدوا في حياة النبي (ص) أمثال محمد بن أبي بكر .

« فأهل السنة والجماعة » متفقون على عدالة الصحابة أجمعين والمذاهب الأربعة يقبلون رواياتهم بدون تردد ولا يسمحون بنقدها ولا الطعن فيها .

وناهيك أن رجال الجرح والتعديل الذين أخذوا على أنفسهم نقد المحدثين والرواة لفرز الأحاديث وتنقيتها ولكنهم إذا وصلوا إلى الصحابي مهما كانت طبقة ومهما كان عمره عند وفاة النبي (ص) فهم يتوقفون عند ذلك ولا يطعنون بروايته مهما أثير حولها من شبهات ومهما تعارضت مع العقل والنقل ، ويقولون بأن الصحابة لا يخضعون للنقد والتجريح وكلهم عدول !

وهذا لعمري تكلف ظاهر ينفر منه العقل ويشمئز منه الطبع ولا يقره العلم، ولا أعتقد بأن المثقفين من شباب اليوم يقبلون هذه البدع المضحكة.

ولست أدري ولا أحد يدري من أين استمد «أهل السنة والجماعة» هذه الأفكار الغريبة عن روح الإسلام الذي قام على الدليل العلمي والحجة البالغة، وليتني أعلم، وليت واحداً منهم يقنعني بدليل واحد من كتاب أو سنة أو منطق على عدالة الصحابة المزعومة!

ولكننا بحمد الله عرفنا اللغز من تلك الآراء المزيفة وسنشرحها في الفصل القادم، فعلى الباحثين أن يكتشفوا بدورهم بعض الأسرار التي مازالت تنتظر الجرأة والشجاعة.

فصل الخطاب في تقييم الأصحاب

لا شك أن الصحابة بشر غير معصومين عن الخطأ، وهم كسائر الناس العاديين يجب عليهم ما يجب على كل الناس ويحق لهم ما يحق لكل الناس، وإنما لهم فضل الصحبة للنبي (ص) إذا احترموها ورعوها حق رعايتها، وإلا فإن العذاب يكون مضاعفاً لأن عدل الله سبحانه اقتضى أن لا يعذب البعيد القاصي كالقريب الداني، فليس الذي سمع من النبي مباشرة ورأى نور النبوة وشهد المعجزات وتيقن منها وحظي بتعاليم النبي نفسه، كمن عاش في زمن ما بعد النبي ولم يره ولم يسمع منه مباشرة.

والعقل والوجدان يفضلان رجلاً يعيش في زماننا ويقيم على احترام الكتاب والسنة وتنفيذ تعاليمهما، على صحابي عاش مع رسول الله (ص) وصاحبه ولما يدخل الإيمان في قلبه وأسلم استسلاماً أو صاحبه على البر والتقوى طيلة حياته ولكنه ارتد وانقلب بعد وفاته.

وهذا ما يقرره كتاب الله وسنة رسوله إضافة للعقل والوجدان وكل من له دراية بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لا يرتاب في هذه الحقيقة ولا يجد عنها محيصاً.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مَكَنَ بَفَاحِشَةٍ مَّبِينَةٍ بَضَاعَفَ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (الأحزاب: 30).

فالصحابة فيهم المؤمن الذي استكمل إيمانه، وفيهم ضعيف الإيمان، وفيهم الذي لم يدخل الإيمان قلبه، وفيهم التقي الزاهد، وفيهم المتهور الذي لا يعرف

غير مصلحته، وفيهم العادل الكريم، وفيهم الظالم اللئيم، وفيهم أهل الحق المؤمنون، وفيهم البغاة الفاسقون، وفيهم العلماء العاملون، وفيهم الجهلة المبتدعون، وفيهم المخلصون وفيهم المنافقون والناكثون والمارقون والمتردون.

وإذا كان القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة والتاريخ أقرّوا هذه الأمور وأوضحوها بأجلى بيان، فيصبح قول «أهل السنة والجماعة» بأن الصحابة كلهم عدول قولاً هراء لا عبرة له ولا قيمة، لأنه يعارض القرآن والسنة ويعارض التاريخ والعقل والوجدان، فهو محض التعصب، وهو قول بلا دليل وكلام بلا منطق.

وقد يتعجب الباحث في هذه الأمور من عقلية «أهل السنة والجماعة» الذين يخالفون العقل والنقل والتاريخ.

ولكن عندما يقرأ الباحث الأدوار التي لعبها الأمويون وكذلك الأساليب التي اتبعها العباسيون لتركيز هذه العقيدة - أعني احترام الصحابة وعدم انتقادهم والقول بعدالتهم - يزول عجبهم ولا يساوره أدنى شك في أنهم إنما منعوا الحديث في الصحابة لكيلا يصل إليهم النقد والتجريح لأفعالهم الشنيعة التي ارتكبوها تجاه الإسلام ونبى الإسلام والأمة الإسلامية.

وإذا كان أبو سفيان ومعاوية ويزيد وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وبسر بن أرطاة، كلهم من الصحابة وقد تولوا إمارة المؤمنين وحكمهم، فكيف لا يمنعون الخوض في نقد الصحابة، وكيف لا يختلقون لهم روايات مكذوبة تقول بعدالتهم جميعاً لكي تشملهم تلك الفضائل، ولا يتجرأ أحد على نقدهم أو ذكر أفعالهم.

ومن يفعل ذلك من المسلمين يسموه كافراً وزنديقاً ويُقتلوا بقتله وعدم تغسيله وتكفينه، وإنما يدفع بخشبة حتى يوارى في حفرة - كما تقدم ذكره - وكانوا إذا أرادوا قتل الشيعة، اتهموهم بسب الصحابة، ومعنى سب الصحابة عندهم، هو نقدهم وتجريحهم فيما فعلوه، وهذا وحده يكفي للقتل والتنكيل.

بل وصل الحد إلى أبعد من ذلك، ويكفي أن يتساءل أحد عن مفهوم الحديث حتى يلاقي حتفه، فإليك الدليل:

أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه قال : ذكر عند هارون الرشيد حديث أبي هريرة : إن موسى لقي آدم فقال له : أنت آدم الذي أخرجتنا من الجنة؟ فقال رجل قرشي كان في المجلس : أين لقي آدم موسى؟! فغضب الرشيد وقال : النطع والسيف ، زنديق يطعن في حديث رسول الله (ص) (1).

وإذا كان هذا الرجل بلا شك من الأعيان ، لأنه يحضر مجلس الرشيد يلاقي الموت بقطع رأسه بالسيف لمجرد تساؤله عن المكان الذي لقي فيه آدم موسى .

فلا تسأل عن الشيعة الذي يقول بأن أبا هريرة كذاب ، استناداً لتكذيب الصحابة له وعلى رأسهم عمر بن الخطاب . ومن هنا يفهم الباحث كل التناقضات التي جاءت في الأحاديث والمنكرات والمستحيلات والكفر الصريح . ومع ذلك سجلت بأنها صحيحة والبست ثوب القداسة والتزيه .

كل ذلك لأن النقد والتجريح كانا ممنوعين ويجران إلى الموت والهلاك . بل إن الذي يتساءل عن بعض المعاني ليصل إلى الحقيقة ويشتم منه رائحة التفثيش والتنقيب فهو مقتول لا محالة ليكون مثلاً لغيره ، فلا يجروا أحد بعده أن يتكلم .

وقد موّهوا على الناس بأن الذي يطعن في حديث أبي هريرة أو أحد الصحابة حتى العاديين منهم ، بأنه طعن على رسول الله (ص) ، وبذلك وضعوا هالة على الأحاديث الموضوعة التي اختلقها بعض الصحابة بعد النبي (ص) فأصبحت من المسلمات .

وكننت كثيراً ما أحتج على بعض علمائنا بأن الصحابة لم يكن عندهم هذا التقديس بل كانوا أنفسهم يشككون في حديث بعضهم إذا تعارض حديثه بما يخالف القرآن ، وبأن عمر بن الخطاب ضرب أبا هريرة بالدرّة ونهاه عن الحديث واتهمه بالكذب إلى غير ذلك ، فكانوا يردون عليّ دائماً بأن الصحابة من حقهم أن يقولوا في بعضهم ما شاؤوا ، أما نحن فلسنا في مستواهم حتى نرد عليهم أو نتقدمهم .

أقول : يا عباد الله ، إنهم تقاتلوا وكفّر بعضهم بعضاً وقتل بعضهم بعضاً؟!!

(1) تاريخ بغداد ج 14 ص 7.

يقولون : كلهم مجتهدون للمصيب منهم أجران وللمخطيء أجر واحد ،
وليس لنا نحن أن نخوض في شؤونهم .

ومن المؤكد أن هؤلاء ورثوا هذه العقيدة من آبائهم وأجدادهم سلفاً عن
خلف فهم يرددونها ترديد البغاء بدون تدبر ولا تمحيص .

وإذا كان إمامهم الغزالي نفسه قد اتخذ هذا الرأي وبثه في الناس فأصبح
بذلك حجة الإسلام والمسلمين ، فقد قال في كتابه «المستصفى» : «والذي عليه
السلف وجماهير الخلف أن عدالة الصحابة معلومة بتعديل الله عز وجل إياهم
وثنائه عليهم في كتابه ، وهو معتقدنا فيهم» .

وأنا أتعجب من الغزالي ومن «أهل السنة والجماعة» عموماً على استدلالهم
بالقرآن على عدالة الصحابة ، وليس في القرآن آية واحدة تدل على ذلك ، بل في
القرآن آيات كثيرة تنفي عدالتهم وتفضح سرائرهم وتكشف نفاقهم .

وقد أفردنا فصلاً كاملاً لهذا الموضوع في كتابنا «فاسألوا أهل الذكر» من
صفحة 113 إلى صفحة 172 فمن أراد مزيد البحث والوقوف على تلك
الحقائق ، فليرجع للكتاب المذكور ليعرف قول الله وقول الرسول فيهم . ولكي
يعرف الباحث بأن الصحابة لم يكونوا يحلمون يوماً بالمنزلة التي اخترعها لهم
«أهل السنة والجماعة» . فما عليه إلا قراءة كتب الحديث وكتب التاريخ التي
طفحت بأفعالهم الشنيعة وتكفير بعضهم ، وكيف أن الكثير منهم كان يشك
في نفسه إن كان من المنافقين .

فها هو البخاري يخرج في صحيحه بأن ابن مليكة أدرك ثلاثين من أصحاب
النبي (ص) كلهم يخاف النفاق على نفسه وما منهم أحد يقول إنه على إيمان
جبريل⁽¹⁾ .

وها هو الغزالي نفسه يخرج في كتابه بأن عمر بن الخطاب كان يسأل حذيفة
بن اليمان إن كان رسول الله سماء في جملة المنافقين الذين أعلمه بأسمائهم⁽²⁾ .

(1) صحيح البخاري ج 1 ص 17 .

(2) إحياء علوم الدين للغزالي ج 1 ص 129 وكنز العمال ، ج 7 ص 24 .

ولا عبرة لقول من يقول بأن المنافقين ليسوا من الصحابة إذا عرفنا أن المصطلح الذي اتفقوا عليه هو ما سمعناه آنفاً أن كل من رأى رسول الله مؤمناً به فهو صحابي حتى لو لم يجالسه .

وقولهم : مؤمناً به ، فيه أيضاً تكلف ، لأن كل الذين صاحبوا النبي نطقوا بالشهادتين ، وقبل النبي (ص) منهم ذلك الإسلام الظاهري وقال : «أمرتُ أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر» ولم يقل في حياته لواحد منهم : أنت منافق فلا أقبل منك إسلامك !

ولذلك أيضاً نجد النبي (ص) يسمي المنافقين - بـ «أصحابي» - وهو يعلم نفاقهم ، وإليك الدليل :

أخرج البخاري بأن عمر بن الخطاب طلب من النبي (ص) أن يضرب عنق عبدالله بن أبي المنافق فقال : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ! فقال النبي (ص) : دعه لا يتحدث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه⁽¹⁾ .

وقد يحاول بعض العلماء من «أهل السنة والجماعة» إقناعنا بأن المنافقين كانوا معروفين فلا نخلطهم بالصحابة ، وهذا أمر مستحيل لا سبيل إليه ، بل المنافقون هم من جملة الصحابة الذين لا يعلم خفاياهم إلا الله سبحانه ، وقد كانوا يصلون ويصومون ويعبدون الله ويتقربون إلى النبي بكل الوسائل . وإليك الدليل :

أخرج البخاري في صحيحه بأن عمر بن الخطاب طلب من رسول الله (ص) مرة أخرى أن يأذن له بضرب عنق ذي الخويصرة عندما قال للنبي : أعدل ! ولكن النبي (ص) قال لعمر : دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية⁽²⁾ .

ولست مبالغاً إذا قلت بأن أكثرية الصحابة لم يكونوا بعيدين عن النفاق بما

(1) صحيح البخاري ج 6 ص 65. كتاب فضائل القرآن سورة المنافقين ، وتاريخ ابن عساکر ج 4 ص 97 .

(2) صحيح البخاري ج 4 ص 179 .

قرره كتاب الله في العديد من الآيات وبما قرره رسول الله في العديد من الأحاديث . فمن كتاب الله قوله تعالى : ﴿بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون﴾ (المؤمنون: 70)، وقوله : ﴿الأعراب أشد كفراً ونفاقاً﴾ (التوبة: 97)، وقوله : ﴿ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم﴾ (التوبة: 101)، وقوله : ﴿ومن حولكم من الأعراب منافقون﴾ (التوبة: 101).

وتجدر الإشارة بأن بعض العلماء من «أهل السنة والجماعة» يحاولون جهدهم تغطية الحقائق، فيفسرون «الأعراب» بأنهم ليسوا من الصحابة، وإنما هم سكان البادية من أطراف الجزيرة العربية .

ولكننا وجدنا عمر بن الخطاب عندما أشرف على الموت أوصى إلى الخليفة من بعده قائلاً : وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام⁽¹⁾.

فإذا كان أهل العرب ومادة الإسلام هم أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم، فلا قيمة لقول «أهل السنة والجماعة» بأن الصحابة كلهم عدول .

ولمزيد البيان، وحتى يتحقق الباحث بأن الأعراب هم أنفسهم عامة الصحابة، فقد جاء في القرآن الكريم بعد ذكر الأعراب أشد كفراً ونفاقاً، قال سبحانه : ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم﴾ (التوبة: 99).

أما ما قرّره رسول الله (ص) في السنة النبوية الشريفة فقوله : يؤخذ بأصحابي إلى النار، فأقول : يا رب هؤلاء أصحابي ! فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول : سحقاً من بدّل بعدي ولا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم⁽²⁾. إلى أحاديث أخرى كثيرة ضربنا عنها صفحاً من أجل الاختصار، وليس هدفنا

(1) صحيح البخاري ج 4 ص 206.

(2) صحيح البخاري ج 7 ص 209 باب الخوض .

البحث في حياة الصحابة لكي نطعن بعد التهم فالتاريخ كفانا مؤونة ذلك وشهد على البعض منهم بالزنا وشرب الخمر وشهادة الزور والارتداد وارتكاب الجرائم بحق الأبرياء وخيانة الأمة، ولكن نريد فقط أن نبرز بأن مقولة عدالة الصحابة كلهم هي خرافة وهمية جاء بها «أهل السنة والجماعة» ليستروا على ساداتهم وكبرائهم من الصحابة الذين أحدثوا في دين الله وغيروا أحكامه ببدع ابتدعوها، ولنكشف ثانية بأن «أهل السنة والجماعة» باعناهم عقيدة «عدالة الصحابة أجمعين» قد أظهروا هويتهم الحقيقية ألا وهي مودة المنافقين والافتداء ببدعهم التي أحدثوها ليرجعوا بالناس إلى الجاهلية .

وبما أن «أهل السنة والجماعة» قد حرّموا على أتباعهم نقد الصحابة وتجريحهم وأغلقوا في وجوههم باب الاجتهاد وذلك من عهد الخلفاء الأمويين وعهد اختلاق المذاهب، وورث الأتباع هذه العقيدة وأورثوها إلى أبنائهم جيلاً بعد جيل وبقي «أهل السنة والجماعة» حتى يوم الناس هذا يمنعون من الخوض في الصحابة ويرضون عليهم جميعاً ويكفّرون من ينتقد واحداً منهم .

وخلاصة القول أن الشيعة أتباع أهل البيت ينزلون الصحابة منازلهم التي يستحقونها، فيترضّون على المتقين منهم ويتبرأون من المنافقين والفاسقين أعداء الله ورسوله . وبذلك فهم وحدهم أهل السنة الحقيقية لأنهم أحبوا حبيب الله ورسوله من الصحابة، وتبرأوا من أعداء الله ورسوله الذين كانوا السبب الرئيسي في ضلال الأغلبية الساحقة من المسلمين .

مخالفة أهل السنة والجماعة للسنن النبوية

في هذا الفصل لا بد لنا أن نكشف للباحث بصفة إجمالية عن مخالفة «أهل السنة والجماعة» لمعظم السنن النبوية، كما نوضح في المقابل بأن الشيعة هم الذين تمسكوا بالسنن النبوية ولذلك حق لنا أن نسمي هذا الكتاب بعنوان «الشيعة هم أهل السنة».

ونريد في هذا الفصل طرح أمهات المسائل التي تبين للباحثين بمزيد اليقين بأن «أهل السنة والجماعة» قد خالفوا تعاليم الإسلام في كل ما قرره القرآن والرسول (ص) في سنته الشريفة، وتسببوا في ضلال من ضل من الأمة، وانتكاس المسلمين وبالتالي في تخلفهم ومعاناتهم.

وحسب اعتقادي أن سبب الضلالة يرجع إلى عامل رئيسي ألا وهو حب الدنيا، ألم يقل رسول الله (ص): «حب الدنيا رأس كل خطيئة» وحب الدنيا يتمثل في حب السلطة والوصول إلى الحكم، ومن أجل الحكم دمرت الشعوب وخربت الأوطان والبلدان وأصبح الإنسان أخطر من الوحوش الضارية. وهو ما أشار إليه (ص) عندما قال لأصحابه: «إني لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها».

لكل ذلك لا بد من دراسة موضوع الخلافة والإمامة أو ما نسميه اليوم نظام الحكم الإسلامي، فهو الطامة الكبرى والباثقة العظمى التي جرّت على الإسلام وأهله المصائب والمتاعب والضلالة والهلاك.

1. نظام الحكم في الإسلام

يرى «أهل السنة والجماعة» بأن رسول الله (ص) لم ينص على أحد وترك الأمر شورى بين الناس ليختاروا من شاؤوا، فهذه هي عقيدتهم في الخلافة، وقد أطبقوا على ذلك من يوم وفاة النبي (ص) وإلى اليوم.

والمفروض أن يعمل «أهل السنة والجماعة» بهذا المبدأ الذي يؤمنون به ويدافعون عنه بكل جهودهم. غير أن البحث يوقفنا على أنهم عملوا عكس ما يعتقدون وبقطع النظر عن بيعة أبي بكر التي سموها هم أنفسهم بأنها فلتة وقى الله المسلمين شرها، فإن أبا بكر هو الذي اخترع فكرة ولاية العهد في الإسلام فعهد قبل وفاته بالخلافة لصاحبه عمر بن الخطاب.

كما عهد عمر بن الخطاب عند موته إلى عبد الرحمن بن عوف ليختار واحداً من الخمسة الذين رشحهم ويأمره بضرب أعناق المخالفين الذين يشقون عصا الطاعة.

ولما وصل معاوية للخلافة طَبَّقَ هذا المبدأ (ولاية العهد) خير تطبيق إذ عيَّن ولياً لعهد ابنه يزيد وعيَّن يزيد ولياً لعهد ابنه معاوية، وبقيت الخلافة من ذلك الوقت يتداولها الطلقاء وأبناؤهم جيلاً بعد جيل فكل خليفة يعهد لولده أو أخيه أو أحد أقاربه، كذلك فعل الخلفاء في الدولة العباسية منذ قيامها إلى أن تلاشت وكذلك فعل خلفاء الدولة العثمانية من قيامها إلى أن ولى عصر الخلافة وضمحل في عهد كمال أتاتورك في القرن الحالي.

وبما أن «أهل السنة والجماعة» يمثلون تلك الخلافة أو أن تلك الحكومات المتعاقبة تمثل «أهل السنة والجماعة» في كل بقاع الدنيا، وعلى مر التاريخ الإسلامي، فإنك ترى اليوم في السعودية وفي المغرب والأردن وفي كل دول الخليج كلهم يعملون بنظرية ولاية العهد التي ورثوها عن «سلفهم الصالح» وكلهم يمثلون «أهل السنة والجماعة»، وعلى فرض صحة النظرية التي يعتقدونها وهي أن النبي (ص) ترك الأمر شورى والقرآن يقر الشورى، فإنهم خالفوا القرآن والسنة وقلّبوا نظام الشورى «الديمقراطي» إلى نظام ولاية العهد الملكي الاستبدادي.

أما على فرض أن النبي (ص) نص على علي بن أبي طالب كما يقول بذلك الشيعة، فإن «أهل السنة والجماعة» خالفوا صريح السنة النبوية وخالفوا القرآن لأن رسول الله لا يفعل شيئاً إلا بإذن ربه.

ولذلك تراهم يشعرون بفساد هذه النظرية «الشورى» لأن الخلفاء الأولين لم يطبقوها ولم يعملوا بها، كما يشعرون بفساد نظرية «ولاية العهد» أيضاً فتراهم يبررون ذلك بأحاديث «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم ملك عضوض»، وكأنهم يريدون إقناع غيرهم بما اقتنعوا به من أن الملك لله يضعه حيث يشاء، وأن الملوك والسلاطين ولأهم الله سبحانه على رقاب الناس فتجب بذلك طاعتهم وعدم الخروج عليهم.

وهذا بحث طويل يجزنا إلى القضاء والقدر الذي بحثناه في كتاب «مع الصادقين» ولا نريد الرجوع إليه، ونكتفي بأن نعرف بأن «أهل السنة والجماعة» يسمون أيضاً بـ«القدرية» لقولهم بذلك.

والنتيجة هي أن «أهل السنة والجماعة» يؤمنون بولاية العهد ويعتبرونها خلافة شرعية، لا لأن رسول الله (ص) أمر بها، أو أنه عين ولياً لعهد، فهم ينكرون ذلك أشد الإنكار، ولكن لأن أبا بكر عهد إلى عمر وعمر عهد إلى الستة، ومعاوية عهد إلى يزيد وهكذا، ولم يقل أحد من العلماء عندهم ولا أحد من أئمة المذاهب الأربعة، بأن الحكم الأموي أو الحكم العباسي أو

الخلافة العثمانية هي غير شرعية . بل نراهم يسارعون إلى البيعة والتأييد وتصحيح خلافتهم بل ذهب أكثرهم للقول بشرعية الخلافة لكل من تغلب عليها بالقوة والقهر، ولا يهمهم إن كان برأ أم فاجراً تقياً أم فاسقاً عربياً قرشياً أم تركياً وكردياً .

يقول الدكتور أحمد محمود صبحي في هذا الصدد: «موقف أهل السنة في مسألة الخلافة، هو التسليم بالأمر الواقع، دون تأييد أو خروج عليه»⁽¹⁾.

ولكن الواقع أن «أهل السنة» يؤيدون أيضاً، فقد ذكر أبو يعلى الفراء عن الإمام أحمد بن حنبل قوله: «إن الخلافة تثبت بالغلبة والقهر ولا تفتقر إلى العقد» .

وقال في رواية عبدوس بن مالك العطار: «من غلب بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برأ كان أم فاجراً» . واحتج بقول عبدالله بن عمر: «نحن مع من غلب»، وبذلك أصبح «أهل السنة والجماعة» رهينة هذه البدعة - بدعة ولاية العهد - فهم يبايعون الغالب والمتغلب بقطع النظر عن ورعه وتقواه وعلمه (برأ كان أم فاجراً) والدليل على أن أغلب الصحابة الذين قاتلوا مع النبي (ص) معاوية بن أبي سفيان في عدة غزوات، بايعوه فيما بعد على أنه أمير للمؤمنين، كما قبلوا بخلافة مروان بن الحكم الذي سماه رسول الله «الوزع» وطرده من المدينة وقال: «لا يسكنني حياً ولا ميتاً» .

بل قبلوا بخلافة يزيد بن معاوية وبايعوه بإمارة المؤمنين ولما خرج عليه الحسين سبط النبي قتلوه وأهل بيته لتثبيت ملك اليزيد وتصحيح خلافته، وذهب علماءهم إلى القول بأن الحسين قتل بسيف جده ومنهم من يكتب حتى اليوم كتباً على حقائق «أمير المؤمنين يزيد بن معاوية» كل ذلك تأييداً منهم لخلافة اليزيد وإدانة الحسين لأنه خرج عليه .

وإذا عرفنا كل هذا، فليس أمامنا إلا الاعتراف بأن «أهل السنة والجماعة» قد

(1) نظرية الإمامة لمحمود صبحي ص 23 .

خالقوا السنة التي نسبوها إلى النبي (ص) وهي قولهم بأنه ترك الأمر شورى بين المسلمين .

أما الشيعة فقد تمسكوا في مبدأ الإمامة بقول واحد وهو «النص من الله ورسوله على الخليفة»، فالإمامة عندهم لا تصح إلا بالنص ولا تكون إلا للمعصوم والأعلم والأتقى والأفضل ، فلا يجوز عندهم تقديم المفضول على الفاضل ، ولذلك نراهم رفضوا خلافة الصحابة أولاً كما رفضوا خلافة «أهل السنة والجماعة» ثانياً .

وبما أن النصوص التي يدعيها الشيعة في شأن الخلافة لها وجود فعلي ومصداق حقيقي في صحاح «أهل السنة والجماعة» فليس أمامنا إلا الاعتراف بأن الشيعة هم الذين تمسكوا بالسنة النبوية الصحيحة .

وسواء أقلنا بأن الأمر شورى ، أو هو بالنص في شأن الخلافة ، فإن الشيعة وحدهم على حق ، لأن الشخص الوحيد الذي تعين بالنص وبالشورى معاً هو علي بن أبي طالب . ولا قائل من المسلمين شيعياً كان أم سنياً يقول بأن رسول الله (ص) أشار إلى ولاية العهد من قريب أو بعيد .

ولا قائل من المسلمين سنياً كان أم شيعياً يقول بأن رسول الله (ص) قال لأصحابه : «تركت أمركم شورى فاختاروا من شئتم لخلافتي» .

ونحن نتحدى العالمين أن يأتونا بحديث واحد من هذا القبيل ، فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا ، فليرجعوا إلى السنة النبوية الثابتة والتاريخ الإسلامي الصحيح لعلهم يرشدون ، أم أنهم يقولون بأن رسول الله (ص) أهمل هذا الأمر الخطير ولم يبين معالمه ليدخل أمته في صراع دائم وفتنة عمياء تمزق وحدتهم وتفرق شملهم وتنحرف بهم عن صراط الله المستقيم ، ونحن نرى اليوم بأن الفاسقين من الحكام الجائرين يفكرون في مصير شعوبهم من بعد خلافتهم فيعمدون إلى تعيين خلف لهم في حالة الشغور ، فكيف بمن أرسله الله رحمة للعالمين؟!

2. القول بعدالة الصحابة يخالف صريح السنة

إذا نظرنا إلى أفعال النبي (ص) وأقواله تجاه الصحابة نجده قد أعطى كل ذي حق حقه ، فهو يغضب لله ويرضى لرضاه وكل صحابي خالف أمر الله سبحانه تبرا منه الرسول (ص) كما تبرا مما صنع خالد بن الوليد في قتله بني جذيمة ، وكما غضب على أسامة عندما جاءه ليشفع للمرأة الشريفة التي سرق ، فقال قوله المشهورة : «ويلك أتشفع في حد من حدود الله؟ والله لو سرق فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ، إنما أهلك من كان قبلكم لأنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الوضيع أقاموا عليه الحد» .

ونجده (ص) أحيانا يبارك ويترضى على بعض أصحابه المخلصين ويدعو لهم ويستغفر لهم ، كما نجده يلعن البعض منهم الذين يعصون أوامره ولا يقيمون لها وزناً أحيانا أخرى ، مثل قوله : «لعن الله من تخلف عن جيش أسامة» وذلك عندما طعنوا في تأميره ورفضوا الالتحاق بجيشه بحجة أنه صغير السن .

كما نجده (ص) يوضح للناس ولا يتركهم يغتروا ببعض الصحابة المزيفين ، فيقول في أحد المنافقين : «إن له أصحاباً يحقر أحدهم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» . وقد يتوقف فلا يصلي على أحد الصحابة الذين استشهدوا في غزوة خيبر ضمن جيش المسلمين ، ويكشف على حقيقته ويقول : «إنه غل في سبيل الله» ولما فتشوا متاعه وجدوا فيه خرزاً من خرز اليهود .

ويحدثنا الماوردي أن النبي (ص) عطش في غزوة تبوك فقال المنافقون: إن محمداً يخبر بأخبار السماء، ولا يعلم الطريق إلى الماء، فنزل جبريل وأخبره بأسمائهم، وأخبر النبي (ص) بهم سعد بن عباد، فقال له سعد: إن شئت ضربت أعناقهم فقال النبي (ص): «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، ولكن نحسن صحبتهم ما أقاموا معنا»⁽¹⁾.

وقد سار فيهم رسول الله (ص) بما أشار به القرآن الكريم في حقهم، فقد رضي الله عن الصادقين منهم وغضب على المنافقين والمرتدين والناكثين منهم، ولعنهم في العديد من الآيات المحكمات، وقد وافينا البحث لهذا الموضوع في كتاب «فاسألوا أهل الذكر» في فصل «القرآن الكريم يكشف حقائق بعض الصحابة» فمن أراد التحقيق فعليه بالرجوع إلى الكتاب المذكور.

ويكفينا مثل واحد من أعمال بعض الصحابة المنافقين التي كشفها الله سبحانه وفضح أصحابها وكانوا اثني عشر رجلاً من الصحابة تذرّعوا ببعد المسافة وأن الوقت لا يسعهم للحضور مع النبي، فبنوا مسجداً لأداء الصلاة في وقتها، فهل ترى إخلاصاً ووفاءً أكبر من هذا؟ أن يصرف العبد أموالاً طائلة لبناء مسجد حرصاً منه على أداء فريضة الصلاة في وقتها وفي جماعة يجمعهم مسجد واحد؟

ولكن الله سبحانه الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، والذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، علم سرائرهم وما تخفي صدورهم، فأوحى إلى رسوله بأمرهم وأطلعه على نفاقهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضُرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة: 107).

وكما أن الله لا يستحي من الحق فكذلك رسوله (ص) كان يقول لأصحابه صراحة بأنهم سيتقاتلون على الدنيا وأنهم سيتبعون في الضلالة سنن اليهود

(1) قوله (ص): «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، ولكن نحسن صحبتهم...» فيه دليل واضح على أن المنافقين هم من الصحابة، فقول «أهل السنة والجماعة» بأن المنافقين ليسوا من الصحابة مردود عليهم، لأنه رد على رسول الله الذي يُسميهم أصحابه.

والنصارى شبراً بشبر وذراعاً بذراع، وأنهم سينقلبون بعده على أدبارهم ويرتدون، وأنهم يوم القيامة سيدخلون إلى النار ولا ينجو منهم إلا القليل الذي عبّر عنه النبي (ص) بهمل النعم، وأنهم وأنهم . . .

فكيف يحاول «أهل السنة والجماعة» إقناعنا بعد كل هذا بأن الصحابة كلهم عدول وأنهم في الجنة جميعاً، وأن أحكامهم ملزمة لنا، وأن آراءهم وبدعهم واجبة الاتباع، وأن الطعن على أي واحد منهم مروق عن الدين يوجب القتل؟؟؟!

إنه قول لا يقبله المجانين فضلاً عن العقلاء، إنه قول زور وبهتان لفقه الأمراء والسلاطين والذين ساروا في ركابهم من علماء السوء المتطفلين على العلم ونحن لا يمكن لنا قبول هذا القول أبداً مادامت لنا عقول لأنه رد على الله ورسوله ومن رد قول الله وقول الرسول فقد كفر، ولأنه يصادم العقل والوجدان.

ونحن لا نلزم «أهل السنة والجماعة» بالعدول عنه أو برفضه، فهم أحرار فيما يعتقدونه وهم وحدهم المسؤولون عن نتائجه وعواقبه الوخيمة.

ولكن عليهم أن لا يكفروا من يتبع القرآن والسنة في عدالة الصحابة فيقول للمحسن منهم: أحسنت ويقول للمسيء منهم: أخطأت وأسأت، ويتولى أولياء الله ورسوله منهم ويتبرأ من أعداء الله ورسوله منهم أيضاً.

وبهذا يتبين لنا أيضاً بأن «أهل السنة والجماعة» خالفوا صريح القرآن وصريح السنة، واتبعوا ما أملت عليهم السلطة الأموية والعباسية، ضارين بكل المقاييس الشرعية والعقلية عرض الجدار.

والغريب أنك إذا قلت لأحد علماء «أهل السنة والجماعة» القائلين بتكفير من سب صحابياً، إذا قلت له: كيف لا تكفر معاوية وكل الصحابة الذين اتبعوه على سب ولعن علي من فوق المنابر؟ فسيجيبك حتماً كما هو معروف: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ (البقرة: 134).

3- النبي يأمر المسلمين بالاعتداء بعترته وأهل السنة يخالفونه

لقد أثبتنا فيما سبق من أبحاث بأن حديث النبي (ص) الذي عُرف بحديث الثقلين، وهو قوله: «تركتم فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أنباني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

وأثبتنا بأن هذا الحديث هو حديث صحيح متواتر أخرجه الشيعة كما أخرجه «أهل السنة والجماعة» في صحاحهم ومسانيدهم. والمعروف بأن «أهل السنة والجماعة» نبذوا أهل البيت وراء ظهورهم⁽¹⁾، وولّوا وجوههم شطر أئمة المذاهب الأربعة الذين فرضتهم السلطات الجائرة والتي حظيت بدورها بتأييد وبيعة «أهل السنة والجماعة».

وإذا شئنا التوسع في البحث لقلنا بأن «أهل السنة والجماعة» هم الذين حاربوا أهل البيت النبوي بقيادة الحكّام الأمويين والعباسيين. ولذلك لو فتّشت في عقائدهم وكتب الحديث عندهم فسوف لا تجد لفقه أهل البيت شيئاً عندهم يذكر. وسوف تجد كل فقههم وأحاديثهم منسوبة لأعداء أهل البيت من النواصب والمحاربين لهم كعبدالله بن عمر وعائشة وأبي هريرة وغيرهم.

فنصف الدين عندهم يؤخذ عن عائشة الحميراء وفقه أهل السنة هو

(1) ولنا أن نقول بأن أهل السنة والجماعة قد لعنوا وحاربوا وقتلوا، هذا إذا فهمنا بأن زعيم أهل السنة هو معاوية وما جزأ معاوية عليهم إلا أبو بكر وعمر وعثمان، كما اعترف معاوية نفسه بذلك.

عبدالله بن عمر، وراوية الإسلام عندهم هو أبو هريرة شيخ المضيرة، والطلاق وأبناء الطلقاء هم القضاة والمشرعون في دين الله عندهم.

والدليل أن «أهل السنة والجماعة» لم يكن لهم وجود معروف بهذا الاسم، ولكنهم كانوا في مجموعهم المعارضين لأهل البيت من يوم السقيفة وهم الذين تأمروا على انتزاع الخلافة من أهل البيت والعمل على إقصائهم عن المسرح السياسي للأمة.

وتكوّنت فرقة «أهل السنة والجماعة» كرد فعل على الشيعة الذين تكتلوا وراء أهل البيت وانقطعوا إليهم، وقالوا بإمامتهم اتباعاً للقرآن والسنة.

ومن الطبيعي أن يكون المعارضون للحق هم الأكثرية الساحقة من الأمة خصوصاً بعد الفتن والحروب، أضف إلى ذلك أن أهل البيت لم يتمكنوا من الحكم إلا أربعة أعوام وهي خلافة الإمام علي وقد أشغلوها فيها بالحروب الدامية.

أما «أهل السنة والجماعة» المعارضون لأهل البيت فقد حكموا مئات السنين وامتد ملكهم وسلطانهم شرقاً وغرباً وكان لهم الحول والطول والذهب والفضة، فكان «أهل السنة والجماعة» هم الغالبون لأنهم الحاكمون، وكان الشيعة بقيادة أهل البيت هم المغلوبون لأنهم محكومون ومضطهدون بل مشردون ومقتولون.

ونحن لا نريد الإطالة في هذا الموضوع بقدر ما نريد الكشف عن خفايا «أهل السنة والجماعة» الذين خالفوا النبي (ص) في وصيته وفي تركته التي تضمن الهداية وتمنع من الضلالة، أما الشيعة فقد تمسكوا بوصية النبي (ص) واقتدوا بعترته الطاهرة وتحملوا من أجل ذلك العناء والأتعاب.

والحقيقة أن هذا الخلاف والعصيان من «أهل السنة والجماعة» وهذا القبول والرضا من الشيعة بخصوص الثقلين والتمسك بهما معاً ظهرت معالمه من يوم الخميس الذي سُمّي يوم الرزية، عندما طلب إليهم الرسول إحضار الكتف والدواة ليكتب لهم ذلك الكتاب الذي يعصمهم من الضلالة، فوقف عمر ذلك الموقف الخطير ورفض أمر النبي مدعياً بأن كتاب الله يكفيهم ولا حاجة

للعتره . فكان النبي يقول تمسكوا بالثقلين القرآن والعتره ، وعمر يرد عليه حسبنا ثقلاً واحداً وهو القرآن ولا حاجة لنا بالثقل الثاني ، وهذا قوله بالضبط «حسبنا كتاب الله يكفيننا» .

وقول عمر يمثل موقف «أهل السنة والجماعة» لأن قريش المتمثلة في أبي بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة وخالد بن الوليد وطلحة بن عبيد الله كل هؤلاء وقفوا يؤيدون عمر في موقفه . قال ابن عباس : فمنهم من يقول ما قال عمر ، ومنهم من يقول قربوا للرسول ليكتب الكتاب .

ومن البديهي أن علياً وشيعته من ذلك اليوم تمسكوا بوصية النبي ولو لم تُكتب وعملوا بالقرآن والسنة معاً . ولم يعمل أعداؤهم حتى بالقرآن الذي قبلوه في بداية الأمر ولكنهم عطّلوا أحكامه عندما وصلوا إلى الحكم فاجتهدوا بأرائهم ونبذوا كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم .

4. «أهل السنة والجماعة» ومودة أهل البيت

لا يشك أحد من المسلمين في أن الله سبحانه وتعالى جعل مودة أهل البيت (عليهم السلام) ضريبة على المسلمين مقابل منحهم الرسالة المحمدية وما فيها من فضائل النعم، فقال عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: 23).

وقد نزلت هذه الآية الكريمة تفرض على المسلمين مودة العترة الطاهرة وهم علي وفاطمة والحسن والحسين، بشهادة أكثر من ثلاثين مصدراً من مصادر «أهل السنة والجماعة»⁽¹⁾، حتى قال الإمام الشافعي في ذلك:

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله

فإذا كانت محبتهم نزل بها القرآن وجعلها فرض على أهل القبلة كافة كما اعترف بذلك الإمام الشافعي! وإذا كانت مودتهم هي أجر الرسالة المحمدية كما نطق صريح البيان، وإذا كانت مودتهم عبادة يُتَقَرَّبُ بها إليه سبحانه، فما بال «أهل السنة والجماعة» لا يقيمون لأهل البيت وزناً ولا ينزلونهم إلا دون منزلة الصحابة⁽²⁾؟

ولنا أن نسأل «أهل السنة والجماعة» بل لنا أن نتحداهم أن يأتونا بآية قرآنية

(1) راجع في ذلك كتاب «مع الصادقين» للمؤلف.

(2) فـ«أهل السنة والجماعة» كلهم يقولون بتفضيل أبي بكر وعمر وعثمان على علي بن أبي طالب، وإذا كان علي هو سيد العترة وأفضل أهل البيت بعد النبي (ص)، فإن أهل البيت عند «أهل السنة والجماعة» يأتون بعد الصحابة الثلاثة المعروفين عندهم بالخلفاء الراشدين.

واحدة أو بحديث نبوي واحد يفرض على المسلمين مودة أبي بكر أو عمر أو عثمان أو أي واحد من الصحابة؟!

كلا وأنى لهم مثل ذلك ، فلا يوجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله شيء من ذلك ، بل يوجد في القرآن آيات عديدة تشير إلى منزلة أهل البيت الرفيعة وتفضلهم على سائر العباد .

وفي السنة النبوية أحاديث كثيرة تفضل أهل البيت وتقدمهم على سائر المسلمين تقديم الإمام على المأموم والعالم على الجاهل .

ويكفينا من القرآن آية المودة التي نحن بصدد ذكرها ، وآية المباهلة وآية الصلاة على النبي وآله ، وآية إذهاب الرجس والتطهير ، وآية الولاية ، وآية الاصطفاء ووراثته الكتاب .

ويكفينا من السنة النبوية حديث الثقلين وحديث السفينة ، وحديث المنزلة ، وحديث الصلاة الكاملة ، وحديث النجوم ، وحديث مدينة العلم ، وحديث الأئمة بعدي اثنا عشر .

ولا نريد القول بأن ثلث القرآن نزل في مدح أهل البيت (عليهم السلام) وذكر فضائلهم كما يقول بعض الصحابة كابن عباس ، ولا أن ندعي بأن ثلث السنة النبوية كله تنويه وتمجيد في أهل البيت وتوجيه الناس إلى فضلهم وفضائلهم كما ألمح لذلك الإمام أحمد بن حنبل .

ويكفينا من القرآن والسنة ما أوردناه من صحاح «أهل السنة والجماعة» للدلالة على تفضيل أهل البيت على من سواهم من البشر .

وبعد نظرة وجيزة إلى عقائد «أهل السنة والجماعة» وإلى كتبهم وإلى سلوكهم التاريخي تجاه أهل البيت ، ندرك بدون غموض بأنهم اختاروا الجانب المعاكس والمعادي لأهل البيت (عليهم السلام) وبأنهم أشهروا سيوفهم لقتالهم وسخروا أفعالهم لانتقاصهم والنيل منهم ولفزع شأن أعدائهم ومن حاربهم .

ويكفينا على ذلك دليل واحد يعطينا الحجة البالغة ، وكما قدمنا بأن «أهل السنة والجماعة» لم يعرفوا إلا في القرن الثاني للهجرة كرد فعل على الشيعة الذين

والوا أهل البيت وانقطعوا إليهم فإننا لا نجد شيئاً في فقههم وعباداتهم وكل معتقداتهم يرجعون فيه إلى السنة النبوية المروية عن أهل البيت⁽¹⁾.

ورغم أن أهل البيت أدري بما فيه فهم ذرية المصطفى وعترته، ورغم أنهم لم يسبقهم أحد في علم ولا في عمل، وأنهم واكبوا مسيرة الأمة طوال ثلاثة قرون وتداولوا الإمامة الروحية والدينية عبر الأئمة الاثني عشر الذين لم يخالف منهم واحد رأي الثاني، فإننا نجد «أهل السنة والجماعة» يتعبدون بالمذاهب الأربعة التي لم تخلق إلا في القرن الثالث للهجرة والتي يخالف فيها بعضهم رأي البعض الآخر، ومع ذلك نبذوا أهل البيت وراء ظهورهم ووقفوا منهم موقف العداء بل وحاربوا كل من تشييع لهم ولا زالوا يحاربونهم حتى يوم الناس هذا.

وإذا أردنا دليلاً آخر، فما علينا إلا أن نحلل موقف «أهل السنة والجماعة» من ذكرى يوم عاشوراء ذلك اليوم المشؤوم الذي هُدم فيه ركن الإسلام بقتل سيد شباب أهل الجنة والعتر الطاهرة من ذرية المصطفى والنخبة الصالحة من أصحابه المؤمنين.

أولاً: نلاحظ أنهم يقفون من قتلة الحسين موقف الراضي الشامت المعين، ولا يستغرب منهم ذلك فقتلة الحسين كلهم من «أهل السنة والجماعة» ويكفي أن نعرف بأن قائد الجيش الذي ولّاه ابن زياد لقتل الحسين هو عمر بن سعد بن أبي وقاص. ولذلك فـ«أهل السنة والجماعة» يترضون على الصحابة أجمعين بما فيهم قتلة الحسين والذين شاركوهم، ويوثقون أحاديثهم، بل وفيهم من يعتبر الإمام الحسين «خارجياً» لأنه خرج على أمير المؤمنين يزيد بن معاوية!

وقد قدمنا فيما سبق بأن فقيه «أهل السنة والجماعة» عبدالله بن عمر قد بايع يزيد بن معاوية وحرّم أن يخرج أحد من أتباعه على يزيد، وقال: «نحن مع من غلب».

(1) وهب آتاهم كما يزعمون اليوم ويقولون: نحن أولى بعلي وأهل البيت من الشيعة، فلماذا ترك علماءهم وأئمة المذاهب عندهم فقه أهل البيت وكان عندهم نسباً منسياً؟ وأتبعوا مذاهب ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان، قال تعالى: «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه»، أما الذين لم يتبعوه فليسوا أولى به كما لا يخفى.

ثانياً: نرى بأن «أهل السنة والجماعة» على مرّ التاريخ من يوم عاشوراء إلى يوم الناس هذا، يحتفلون بيوم عاشوراء ويجعلونه عيداً يخرجون فيه زكاة أموالهم ويوسعون فيه على عيالهم، ويروون بأنه يوم بركات ورحمات.

ولا يكفيهم كل ذلك فتراهم إلى اليوم يشنّعون على الشيعة وينتقدون بكاءهم على الحسين، وفي بعض البلدان الإسلامية يمنعونهم من إقامة ذكرى العزاء ويهجمون عليهم بالسلاح ويعملون فيهم ضرباً وتقتيلاً بدعوى محاربة البدع.

وفي الحقيقة هم لا يحاربون البدع بقدر ما يمثلون دور الحكّام الأمويين والعباسيين الذين حاولوا جهدهم القضاء على ذكرى عاشوراء ووصل بهم الأمر إلى نبش قبر الحسين وإعفائه ومنع الناس من زيارته. فهم إلى الآن يريدون القضاء على إحياء تلك الذكرى خوفاً من أن يعرف الناس - ومن يجهلون حقيقة أهل البيت - واقع الأمور فتتكشف بذلك عورات أسيادهم وكبرائهم، ويعرف الناس الحق من الباطل والمؤمن من الفاسق.

وبهذا يتبيّن لنا مرة أخرى، بأن الشيعة هم أهل السنة النبوية لأنهم اتبعوا سنّة النبي (ص) حتى في الحزن والبكاء على أبي عبد الله الحسين، وذلك بروايات ثابتة أنه (ص) بكى على ولده الحسين عندما أعلمه جبريل بمقتله في كربلاء وذلك قبل الواقعة بخمسين عاماً.

ويتبين لنا أيضاً بأن «أهل السنة والجماعة» يحتفلون بيوم عاشوراء لأنهم اتبعوا سنة يزيد بن معاوية وبني أمية في احتفالهم بذلك اليوم لأنهم انتصروا فيه على الحسين وأخذوا ثورته التي كانت تهدد كيانهم، وقطعوا بذلك دابر الشغب على حد زعمهم.

والتاريخ يحدّثنا بأن يزيد وبني أمية، احتفلوا بذلك اليوم احتفالاً كبيراً حتى وصل إليهم رأس الحسين وسبايا أهل البيت ففرحوا بذلك وشمّتوا برسول الله (ص) وقالوا في ذلك أشعاراً.

وتقرّب إليهم علماء السوء من «أهل السنة والجماعة» فوضعوا لهم أحاديث في فضل ذلك اليوم، وأن عاشوراء هو اليوم الذي تاب الله فيه على آدم، وهو اليوم

الذي رست فيه سفينة نوح على جبل الجودي ، وهو اليوم الذي كانت فيه النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، وهو اليوم الذي خرج فيه يوسف من السجن وردّ فيه بصر يعقوب ، وهو اليوم الذي انتصر فيه موسى على فرعون ، وهو اليوم الذي نزلت فيه على عيسى مائدة من السماء .

وهذه الروايات كلها يرددها علماء «أهل السنة والجماعة» وأئمتهم على المنابر حتى اليوم بمناسبة عاشوراء ، وهي روايات كلها من وضع الدجالين الذين تزويوا بزي العلماء وتقرّبوا إلى الحكّام بكل الوسائل ، فباعوا آخرتهم بدنياهم فما ربحت تجارتهم وهم في الآخرة من الخاسرين .

وقد أمعنوا في الكذب عندما رووا بأن النبي (ص) هاجر إلى المدينة فصادف دخوله إليها يوم عاشوراء ، فوجد يهود المدينة صياماً ، فسألهم عن السبب ، قالوا : هذا اليوم الذي انتصر فيه موسى على فرعون ، فقال النبي (ص) : نحن أولى بموسى منكم ، ثم أمر المسلمين بصوم عاشوراء وتاسوعاء لمخالفة اليهود . وهذا كذب مفضوح إذ أن اليهود يعيشون معنا ، ولم نسمح لهم بعيد يصومون فيه يسمونه عاشوراء .

وهل لنا أن نسأل ربنا عزّ وجلّ : كيف جعل هذا اليوم مباركاً على كل أنبيائه ورسله من آدم إلى عيسى ، إلا محمد ، فقد كان عليه هذا اليوم مصيبة وعزاء وشوْماً إذ قُتل فيه ذريته وعترته وذُبحوا ذبح الغنم وأُخذت بناته سبايا؟ والجواب : إنه ﴿ لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ﴾ (الأنبياء : 23) .

﴿ فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقلّ تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ (آل عمران : 61) .

5. أهل السنة والجماعة والصلاة البتراء

بعدما قدمنا في فصل سابق نزول الآية وتفسيرها من قبل الرسول نفسه وتعليمهم كيفية الصلاة الكاملة، ونهيههم عن الصلاة البتراء التي لا يقبلها الله سبحانه، ومع ذلك نجد إصراراً كبيراً من طرف «أهل السنة والجماعة» على الصلاة البتراء لئلا يذكر آل محمد ضمن الصلاة، وإذا ما ذكروهم غصباً تراهم يضيفون الصحابة معهم، وإذا قلت أمام أحدهم: صلى الله عليه وآله، فإنه يفهم على الفور بأنك شيعي، وذلك لأن الصلاة الكاملة على محمد وآل محمد أصبحت شعاراً للشيعية وحدهم.

وهذه حقيقة لا مرية فيها وقد اعتمدتها شخصياً في بداية البحث فكنت أعرف تشيع الكاتب من قوله بعد ذكر محمد: صلى الله عليه وآله وسلم، وعندما لا أجد إلا لفظة صلى الله عليه وسلم أعرف أنه سني.

كما أفهم تشيع الكاتب عندما يكتب «عليّ عليه السلام» ولكنه عندما يكتب كرم الله وجهه أعرف بأنه سني.

ونرى من خلال الصلاة الكاملة بأن الشيعة اقتدوا بالسنة النبوية الشريفة، بينما خالف «أهل السنة والجماعة» أوامر النبي (ص) ولم يقيموا لها وزناً، فتراهم دائماً يصلون الصلاة البتراء، وإذا ما اضطروا إلى إضافة الآل فإنهم عند ذلك يضيفون معهم الصحابة أجمعين بدون استثناء حتى لا يُبقوا لأهل البيت فضلاً ولا خصوصية.

وهذا كله ناتج عن موقف الأمويين تجاه أهل البيت والعداوة التي كانوا يحملونها لهم حتى وصل بهم الأمر أن أبدلوا الصلاة عليهم بلعنهم على المنابر وحمل الناس على ذلك بوسائل التهيب والترغيب .

فهـ «أهل السنـة والجماعة» لم يجاروهم في السب واللـعن لأهل البيت ، ولو فعلوا ذلك لافتضحوا عند المسلمين ولعُرفوا على حقيقتهم وتبرأ منهم الناس ، فتركوا السب واللـعن ولكنهم أضـمروا العداوة والبغضاء لأهل البيت وحاولوا بكل جهودهم إطفاء نورهم بأن رفعوا مكانة أعدائهم من الصحابة واختلقوا لهم فضائل خيالية لا تمت للحق بصلة .

والدليل على ذلك أنك تجد «أهل السنـة والجماعة» حتى اليوم لا يقولون شيئاً في معاوية والصحابة الذين لعنوا أهل البيت طيلة ثمانين عاماً ، بل ويترضون عليهم أجمعين ، وفي نفس الوقت يكفـرون أي مسلم ينتقص أحداً منهم (من الصحابة) ويكشف عن جرائمه ، فيفتون بقتله .

وقد حاول بعض الوضـاعين أن يضيف إلى الصلاة الكاملة – التي علمها رسول الله (ص) إلى أصحابه – جزءاً آخر ظناً منه بأن ذلك سينقص من مكانة أهل البيت وقيمتهم فروى بأنه قال : قولوا اللهم صلّ على محمد وآل محمد وعلى أزواجه وذريته . والباحث يفهم بأن هذا الجزء قد أضيف لكي تلحق عائشة بركب أهل البيت .

ونحن نقول لهم : لو سلّمنا جدلاً بصحة الرواية ، وقبلنا أمهات المؤمنين ضمنها ، فإن الصحابة لا دخل لهم فيها وأنا أتحدى أن يأتي أحد المسلمين بدليل من القرآن أو من السنـة في هذا المعنى ، فنجوم السماء أقرب إليه من ذلك .

والقرآن والسنـة أمرا كل الصحابة وكل من يأتي بعدهم من المسلمين إلى قيام الساعة بالصلاة على محمد وآل محمد . وهذه وحدها مرتبة عظيمة تقصر عنها كل المراتب ومنقبة جليـلة لا يلحقهم فيها لاحق .

فأبو بكر وعمر وعثمان وكل الصحابة أجمعين وكل المسلمين في العالم والذين

يعدون بمئات الملايين عندما يصلون يقولون في تشهدهم : اللهم صل على محمد وآل محمد ! وإذا لم يقولوا ذلك فصلاتهم مردودة لا يقبلها الله سبحانه .

وهذا هو المعنى بالضبط الذي قصده الإمام الشافعي عندما قال :

يكفيكم من عظيم الشأن أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

وقد اتهم الشافعي بالتشيع من أجل قوله هذا ، فإن أذئاب الأمويين والعباسيين يتهمون بالتشيع كل من صلى على محمد وآل محمد ، أو قال فيهم شعراً أو حدث بفضيلة من فضائلهم .

وعلى كل حال فالبحث في هذا المجال واسع قد يتكرر في العديد من الكتب ، فلا بأس بالإعادة إذا كان فيها إفادة .

والمهم أننا عرفنا خلال هذا الفصل بأن الشيعة هم أهل السنة النبوية وصلاتهم كاملة ومقبولة حتى على رأي من خالفهم ، و«أهل السنة والجماعة» خالفوا في ذلك صريح السنة النبوية وصلاتهم ببراء غير مقبولة حتى على رأي أئمتهم وعلمائهم . ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾ (النساء : 54) .

6. عصمة النبي وتأثيرها على «أهل السنة والجماعة»

إن نظرية العصمة تختلف فيها عند المسلمين ، وهي في الحقيقة العامل الوحيد الذي يفرض على المسلمين أن يتقبلوا أحكام النبي (ص) بدون نقاش ولا جدال ، إذا ما اعتقدوا في أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، فلا يؤمنون بأن أقوال النبي وأحكامه إذا لم تكن قرآناً يتلى ، فهي مجرد اجتهاد منه .

أما إذا اعتقدوا هذا الاعتقاد وسلموا بأن الأمر كله لله وليس النبي إلا واسطة للتبليغ والبيان فقط ، فهم شيعة وقد اشتهر كثير من الصحابة بهذا الاعتقاد وعلى رأس هؤلاء الإمام علي (عليه السلام) الذي ما كان يغيّر من سنة النبي قليلاً ولا كثيراً باعتبارها من وحي الله ، فلا يجوز استعمال الرأي والاجتهاد مقابل أحكام الله سبحانه وتعالى .

وأما إذا اعتقدوا أن النبي غير معصوم في أقواله وأفعاله والعصمة لا تختص إلا بالقرآن الكريم وما يتلى من آياته ، وما عدا ذلك فهو كسائر البشر يخطئ ويصيب ، أما إذا قالوا بهذا فإنهم «أهل السنة والجماعة» الذين يجوزون أن يجتهد الصحابة والعلماء مقابل أقوال وأحكام النبي (ص) بما يتماشى والمصلحة العامة طبقاً للظروف التي تقتضيها الحال حسب رأي الحاكم في كل زمان .

وإنه غني عن البيان بأن مدرسة الخلفاء الراشدين (باستثناء الإمام علي) قد اجتهدوا بأرائهم مقابل السنة النبوية ثم ذهبوا شوطاً أبعد فاجتهدوا مقابل

النصوص القرآنية أيضاً، وأصبحت آراؤهم فيما بعد أحكاماً عند «أهل السنة والجماعة» يعملون بها ويفرضونها على المسلمين .

وقد تكلمنا عن اجتهادات أبي بكر وعمر وعثمان في كتاب «مع الصادقين» وكذلك في كتاب «فاسألوا أهل الذكر» وقد نفرد لهم كتاباً خاصاً في المستقبل إن شاء الله تعالى .

وقد عرفنا أن «أهل السنة والجماعة» يضيفون إلى المصدرين الأساسيين للتشريع الإسلامي (القرآن والسنة) مصادر أخرى كثيرة من جملتها سنة الشيخين (أبي بكر وعمر) واجتهاد الصحابي، وهذا ناتج عن اعتقادهم بأن النبي (ص) لم يكن معصوماً، وإنما كان يجتهد رأيه وكان بعض الصحابة يصوّب رأيه ويصلح خطاه .

وبهذا يتبين لنا بأن «أهل السنة والجماعة» عندما يقولون بأن النبي (ص) ليس معصوماً، فهم يجوزون بذلك مخالفته وعصيانه من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون .

لأن غير المعصوم غير واجب الطاعة شرعاً وعقلاً، وما دمنا نعتقد بخطئه فلا تلزمنا طاعته، كيف نطيع الخطأ؟

كما يتبين لنا في المقابل بأن الشيعة عندما يقولون بعصمة النبي المطلقة، فهم يفرضون بذلك طاعته لأنه معصوم عن الخطأ، فلا تجوز مخالفته ومعصيته بأي حال من الأحوال، ومن يخالفه أو يعصيه فقد خالف وعصى ربه، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في العديد من الآيات بقوله: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (الحشر: 7)، وقوله: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ (آل عمران: 132)، وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ (آل عمران: 31). إلى آيات كثيرة تفرض على المسلمين طاعة النبي وعدم مخالفته باعتباره معصوماً ولا يبلغ إلا ما أمره به الله سبحانه .

وهذا يفرض بالضرورة أن يكون الشيعة هم أهل السنة النبوية لاعتقادهم

بعصمتها ووجوب اتباعها . كما يفرض أن يكون «أهل السنة والجماعة» بعيدين عن السنّة النبوية لاعتقادهم بخطئها وجواز مخالفتها .

﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ (البقرة: 213) .

مع الدكتور الموسوي و«التصحيح»

التقيتُ مجموعةً من الشباب المثقف في بيت أخ تربطني به وشائج القرابة والصبا في ضواحي باريس بمناسبة وليمة أقامها لمولد ابنه الذي رزقه الله بعد طول انتظار، ودار الحديث بيننا عن الشيعة والسنة وكان الجميع وأغلبهم من الجزائريين المتحمسين للثورة الإسلامية ينتقدون الشيعة ويردّدون تلك الأساطير المعروفة، واختلفوا فيما بينهم بين مؤيد منصفٍ يقول بأن الشيعة إخواننا في الدين ومناهضٍ له يصف الشيعة بكل ضلالة ويفضّل عليهم النصارى.

ولما تعمّقنا في البحث والاستدلال كان بعضهم يهزأ منّي ويقول بأنني من المغرورين الذين بهرتهم الثورة الإيرانية، وحاول صديقي إقناعهم بأنني باحث كبير وأطرافي أمام الحاضرين وقال بأنني مؤلفُ كتبٍ عديدة في هذه المواضيع.

ولكنّ أحدهم قال بأنّ لديه الحجّة التي ليس بعدها حجّة. وسكت الجميع، وتساءلتُ عن هذه الحجّة، فطلب منّي الانتظار بضع دقائق وذهب مُسرّعاً إلى بيته المجاور ورجع يحمل بين يديه كتاب «الشيعة والتصحيح» للدكتور موسى الموسوي وضحكْتُ عندما رأيتُ الكتاب وقلتُ: أهذه هي الحجّة التي ليس بعدها حجّة؟ التفتُ إلى الحاضرين وقال:

هذا من أكبر علماء الشيعة وهو مرجع من مراجعهم وله شهادة في الاجتهاد وأبوه وجده من أكبر علمائهم، ولكنّه عرف الحق ونبذ التشيع وأصبح من أهل السنة والجماعة.

وأنا واثق من أن الأخ (ويقصدني) لو يقرأ هذا الكتاب لما دافع عن الشيعة أبداً ولعرف خفاياهم وانحرافاتهم .

وضحكّت مرة أخرى وقلّت له : وحتى تعرفَ أنّي قرأته قراءة باحث فسأعطيك أمام الحاضرين الحجّة التي ليس بعدها حجّة من الكتاب نفسه الذي جئت به !

قال مع الحاضرين بلهفة : هات نسمع منك .

قلّت : أنا لا أتذكّر رقم الصّفحة ولكن أعرف العنوان وأذكره جيّداً وهو : أقوال أئمة الشيعة في الخلفاء الراشدين .

قال : وما في ذلك ؟

قلّت : إبحث عنه وقرأه أمام الحاضرين وبعدها سأبين لك الحجّة .

وأخرج الفقرة وقرأها أمام الحاضرين وملخصها أنّ الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) كان يفتخر بانتسابه لأبي بكر «الصدّيق» فيقول «أولدني أبو بكر مرتين» والذين رَووا هذه الروايات يروون أيضاً بأنّ الإمام الصادق كان يطعن في أبي بكر من جهة أخرى .

ويعلّق الدكتور الموسوي على هذا بقوله : «فهل يُعقلُ أن يفتخر الإمام الصادق بجده من جهة ويطعن فيه من جهة أخرى؟ إنّ مثل هذا الكلام قد يصدر من السّوقي الجاهل ولكنّه لا يصدر من إمام» .

وتساءل الجميع ، ما الحجّة في هذا؟! وقالوا إنّ كلام معقول ومنطقي .

قلّت : إنّ الدّكتور الموسوي استنتج من قول الإمام الصادق : «أولدني أبو بكر مرتين» بأنّه يفتخر بجده مع أنّه ليس في هذه العبارة ما يوحي بالمدح والثناء على أبي بكر، ومع أنّ الصادق ليس هو حفيد مباشر لأبي بكر وإنّما لأنّ أمّه جدّها أبو بكر . ومع العلم بأنّ الصادق ولد بعد وفاة أبي بكر بسبعين عاماً فلم يره أبداً .

قالوا : لم نفهم قُصْدك من كلّ هذا؟!!

قُلْتُ : ما رأيكم فيمن يفتخر بجده المباشر والدُّ أبيه ويقول بأنه أعلم أهل زمانه ولم يعرف التاريخ مثله ، ثم يقول بأنه درس وتأدّب على يديه ، فهل يُعقَلُ أن يطعن فيه بعد ذلك ، وهل يقبلُ عاقلٌ أن يفتخر بشخص من جهة ثم يكفّره من جهة أخرى؟!

فقالوا جميعاً : لا يُعقَلُ ولا يكون ذلك أبداً .

فقلتُ : اقرأ إذاً ما جاء في أوّل صفحة من هذا الكتاب الذي بين يديك ، فسترى بأن الدكتور الموسوي هو ذلك الرّجل .

فقرأ : « ولدتُ وترعرعتُ في بيت الرّعاية الكبرى للطائفة الشيعية ودرستُ وتأدّبتُ على يد أكبر زعيم وقائد ديني عرفه تاريخ التشيع منذ الغيبة الكبرى وحتى هذا اليوم ، وهو جدّنا الإمام الأكبر السيد أبو الحسن الموسوي الذي قيل فيه : « أنسى من قبله وأتعب من بعده » .

قلتُ : الحمد لله الذي أظهر الحجّة على لسان الموسوي نفسه وقد حكم على نفسه بنفسه إذ قال فيما قرأتم : هل يُعقَلُ أن يفتخر بجده من جهة ويطعن فيه من جهة أخرى؟ وحكم بأن هذا لا يصدر إلّا من السُّوقي الجاهل .

وإنّ الذي يصف جدّه بهذه الأوصاف العظيمة التي لم تتوفّر لغيره من أفذاذ العلماء ويدّعي بأنه تأدّب على يديه وأخذ دروسه وعلومه منه ، لا يكفّره بعد ذلك ويطعن في عقيدته ، إلّا إذا كان سوقياً جاهلاً .

وأطرق الجميع رؤوسهم ، وابتهج صديقي صاحب البيت قائلاً : ألم أقل لكم إنّ الأخ التيجاني باحث موضوعي ومنطقي؟

وفكر صاحب الكتاب الذي كان يرعدُّ ويزبد وقال : يا أخي ربّما عرف الحقّ الدكتور الموسوي بعد ما كبر وتعلّم فسبحان الله ، طلب العلم من المهد إلى اللحد!

وأجبتُ : لو كان الأمر كما تقول لوجب على الدكتور أن يتبرأ من جدّه ومن أستاذه أيضاً الذي أعطاه شهادة الاجتهاد لا أن يفتخر بهما ويحتجّ بشهادتهما وهو يكتب في نفس الوقت تكفيرهما من حيث لا يشعر .

ولو أردتُ أن أناقشكم في كلِّ المواضيع التي كتبها لأريتكم العجب العجاب .

وانتهى ذلك اللقاء بعد توضيحات وشروح عن واقع تلك الإشكالات وكانت له نتائج إيجابية بحمد الله إذ استبصر منهم ثلاثة بعد قراءة كُتبي .

وإني أنتهزُ هذه الفرصة لأقدم للقراء الكرام بعض الصفحات التي كتبْتُها في هذا الموضوع على عجالة لأن كتاب « الشيعة والتصحيح » له تأثير في الأوساط التي يتواجد فيها الوهابيون ، وبما أنَّ هؤلاء لهم من الأموال والنَّفوذ في بعض المناطق فقد يؤثرون في بعض الشَّباب من المسلمين الذين لا يعرفون الشيعة ، فيخدعونهم بهذا الكتاب ويمنعونهم من الوصول إلى الأبحاث المفيدة ، ومن ثم يقيمون أمامهم حاجزاً للوصول إلى الحقيقة المنشودة .

وهؤلاء المعترضون جعلوا حجتهم على الشيعة كتاب « الشيعة والتصحيح » للدكتور موسى الموسوي الذي طبع بالملايين ووُزِعَ مجَّاناً في أوساط الشباب المثقف من طرف سلطاتٍ معروفة عرف الخاص والعام أهدافها ومراميها .

وقد ظنَّ هؤلاء المساكين أنهم فنَّدوا مذهب الشيعة الإمامية بطبع الكتاب ونشره لأن مؤلفه « آية الله » الموسوي وهو من الشيعة لتكون الحجَّة من باب وشهد شاهدٌ من أهلها .

وغفل هؤلاء المساكين عن عدَّة أمور لم يحسبوا لها حساباً ولم يقدِّروا نتائجها العكسيَّة التي عادت عليهم بالوبال .

وإني شخصياً لا أكلف نفسي شيئاً من الوقت للردِّ على أكاذيب الدكتور موسى الموسوي التي ملأ بها كتابه ، وأعتقد أنَّ في كتابي « مع الصادقين » رداً مقنعاً على مفترياته ، مع أنه كتب قبل كتابه بوقت قصير ولم يكن مضمونه إلا إظهار معتقدات الشيعة التي تركز كلها على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وإجماع المسلمين بمن فيهم « أهل السنة والجماعة » ، فلم نمرَّ على عقيدة واحدة من عقائدهم إلا وأثبتناها في صحاح « أهل السنة والجماعة » .

فتبين بذلك أنَّ كلام الدكتور موسى الموسوي هراءٌ وافتراء لا يقوم على دليل علمي ولا منطقي إسلامي وهو طعن على « أهل السنة » قبل الشيعة .

وتبين أيضاً بأن الذين رَوّجوا له كتابه لا يعرفون من حقائق الإسلام شيئاً وكشفوا بذلك عن عوراتهم وجهلهم .

وكلّ ما انتقده مُدّعي «التصحيح» من عقائد الشيعة وشنّع به عليهم موجود بحمد الله في صحاح «أهل السنة والجماعة» .

فالعيّب ليس على الشيعة وإنّما العيبُ على موسى الموسوي وعلى «أهل السنة والجماعة» الذين لا يعرفون ما يوجد في صحاحهم ومسانيدهم .

فالقول بالإمامة والنّص على اثني عشر خليفة كلّهم من قریش ليس هو من اختراعات الشيعة وهو موجود في صحاح «أهل السنة والجماعة» .

والقول بالمهدي وأنه من العترة الطّاهرة يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، ليس هو من اختراعات الشيعة إنّما هو موجود في صحاح «أهل السنة والجماعة» .

والقول بأنّ الإمام علي بن أبي طالب هو وصيّ رسول الله (ص) ليس من اختراعات الشيعة وهو موجود في صحاح «أهل السنة والجماعة» .

والقول بالتقيّة والعمل بها ليس هو من اختراعات الشيعة وقد نزل بها القرآن وأثبتها السّنة النبوية وكلّ ذلك موجود في صحاح «أهل السنة والجماعة» .

والقول بزواج المتعة وأنها حلال ليس هو من اختراعات الشيعة وإنّما أحلّها الله ورسوله وحرّمها عمر كما هو ثابتٌ في كتب وصحاح «أهل السنة والجماعة» .

والقول بوجوب الخمس في مكاسب الأرباح ليس هو من اختراعات الشيعة ، وإنّما أوجبه كتاب الله وسنة رسوله يشهد بذلك صحاح «أهل السنة والجماعة» .

أما زيارة مرقد الأئمة فليس مختصاً بالشيعة فأهل السّنة والجماعة يزورون مرقد الأولياء والصالحين بل ويقىمون لهم مراسم وأفراحاً موسميّة .

والقول بالبداء وأنّ الله يمحو ما يشاء ويثبتُ ، ليس هو من خيال الشيعة بل هو ثابتٌ في صحيح البخاري .

والقول بجمع الصَّلَاتين في غير ضرورة ليس هو من اختراع الشيعة بل هو ما جاء في القرآن الكريم وفعله الرسول العظيم كما هو ثابتٌ في صحاح «أهل السنة والجماعة».

والقول بوجوب السجود على التُّراب وعلى الأرض ليس هو من اختراعات الشيعة، بل هو فعل سيّد المرسلين وخاتم النبيّين يشهد بذلك صحاح «أهل السنة والجماعة».

وما عدا ذلك من الأقوال التي ذكرها الدكتور موسى الموسوي والتي لا يقصد من ورائها إلا التهويل والتهريج كدعاية تحريف القرآن فـ «أهل السنة والجماعة» أولى بهذه التهمة من الشيعة كما أوضحنا ذلك في كتاب «مع الصادقين».

والخلاصة أنّ كتاب «التصحيح» الذي ألفه الدكتور الموسوي كلّه يتناقض مع كتاب الله وسنة رسول الله وإجماع المسلمين وما أوجبه العقل السليم.

فكثيرٌ ممّا أنكره الموسوي هو من ضروريات الدين التي نزل بها الذكر الحكيم وأمر بها الرسول العظيم وأجمع عليها كلّ المسلمين، والمنكر لها كافر بإجماع المسلمين.

فإن كان يقصد بـ «التصحيح» إبدال تلك العقائد وتلك الأحكام فقد كفر وخرج من ربة الإسلام وعلى المسلمين كافة أن يُقاوموه.

وإن كان يقصد بـ «التصحيح» إبدال عقائده الشخصية التي يُعاني من مركّباتها والتي يظهر منها أنّه لم يعرف من الشيعة شيئاً، ولعلّه نقم عليهم إذ حملهم مسؤولية قتل والده الذي ذُبِحَ كالكبش (كما يقول هو في صفحة ٥ من كتابه) على يد مجرم في لبوس رجل الدين.

فنشأ من صغره بتلك العقدة ناقماً على الشيعة بدون ذنب اقترفوه، وحوّل وجهه شطر «أهل السنة والجماعة» وشاركهم في الحقد والبغض لأتباع أهل البيت، بدون الانتماء إليهم فبقِيَ مذبذباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فلم يعرف من الشيعة غير ما يردّده أعداؤهم من الأكاذيب، ولم يعرف من «أهل السنة والجماعة» غير صلاة الجمعة والجماعة (إن كان يحضرها).

فإذا كان هذا هو المقصود بالتصحيح فما عليه إلا تصحيح عقائده الفاسدة التي خالف بها إجماع الأمة .

وإذا كان الدكتور موسى الموسوي قد نشأ وترعرع حسب ما يدّعي (في الصفحة الخامسة من كتابه) ودرس وتأدّب على يد أكبر زعيم وقائد ديني عرفه تاريخ التشيع منذ الغيبة الكبرى وحتى هذا اليوم وهو جدّه الإمام الأكبر السيد أبو الحسن الموسوي الذي قيل فيه : «أنسى من قبله وأتعب من بعده» ، فلماذا لم يحفظ دروسه ولم يتأدّب بأدابه ولم يقتد بهديه وينهل من علمه ، بل نراه في كتابه يهزأ ويسخر من عقائد جدّه الإمام الأكبر والزعيم الديني الأوحد الذي عرفه تاريخ الشيعة . فدلّ بذلك على أنّه عاق لوالديه بل تعدّى عقوقه إلى تكفير جدّه وأبويه ، وإذا كان الشيعة في نظر الموسوي كافرين فزعيمهم وقائدهم الأكبر إلى الكفر - هو جدّه (حاشاه) - أقرب .

وإنّه من العار الذي ليس بعده عار أن يجهل الحفيد موسى ما كتبه جدّه أبو الحسن الموسوي (رحمه الله) في كتابه وسيلة النجاة ، ثمّ يدّعي بأنّه درس وتأدّب على يديه .

وإنّه من أكبر العار أن يعرف شابّ تونسي يبعدُ عن النجف آلاف الكيلومترات كتاب وسيلة النجاة للإمام الأكبر أبي الحسن الموسوي الأصفهاني ويهتدي إلى حقائق أهل البيت من خلاله ، بينما لا يعرفه الحفيد الذي تربى وترعرع في بيته وعلى يديه .

والذي كتبه الإمام الأكبر السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني (قدس سرّه) في وسيلة النجاة ، نقضه حفيده الدكتور موسى الموسوي وسخر منه واعتبره خروجاً عن الإسلام .

والمنطق يقول : إنّ كانت عقيدة الإمام الأكبر والزعيم الديني الذي ما عرف تاريخ الشيعة مثله (كما يعتقد حفيده) عقيدة صحيحة وسليمة ، فعقيدة حفيده كفرٌ وضلال .

وإن كانت عقيدة الحفيد الدكتور موسى الموسوي هي السليمة والصّحيحة

ففقيدة جدّه هي الكفر والضلال ، وفي هذه الحالة يجبُ عليه أن يتبرأ منه ولا يفتخر بالانتماء إليه ولا بالرجوع إلى التربية بين يديه ، كما بدأ مقدمة كتابه .

وبهذه الحجّة وبهذا المنطق أيضاً ، يُضربُ بالشّهادة العليا التي نالها موسى الموسوي من آل كاشف الغطاء عرض الجدار .

* أولاً - لأنّ الصورة التي أخرجها في كتابه على أنّها شهادة عليا في الفقه الإسلامي (الاجتهاد) ليست إلّا إجازة في الروايات والتي يعطيها المراجع لأغلب الطلاب ، وأنا شخصياً عندي منها إجازتان إحداها لآية الله العظمى الإمام الخوئي في النجف والثانية لآية الله العظمى المرعشي النجفي في قم .

فليست إجازة الرواية شهادة عليا في الفقه الإسلامي كما يدّعي الدكتور موسى الموسوي للتّمويه على العامة الذين لا يعرفون تنظيم ومراحل الدراسة في الحوزات العلمية .

* ثانياً - لأنّ حفيد الإمام الأكبر الذي يدّعي التصحيح قد خان الأمانة التي ائتمنه عليها أستاذه ومعلّمه الذي يدّعي الموسوي أنّه وسمه برتبة الاجتهاد ، إذ يقول المحرم المرجع الديني الأعلى زعيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في تلك الإجازة التي أخرج الموسوي صورة منها في كتابه : « وقد أجزتُ له لأهليّته أن يروي عني ما صحّحت لي روايته من مشائخي العظام وأساتذتي الكرام . . » .

وقد رأينا الموسوي يفند ويسخر من كلّ ما رواه المرجع الديني الأعلى زعيم الحوزة العلمية آل كاشف الغطاء عن مشائخه العظام وأساتذته الكرام في كتابه « أصل الشيعة وأصولها » والذي ذكر فيه كلّ معتقدات الشيعة وأحكامهم ، فأين كتاب « الشيعة والتصحيح » الذي ألفه التلميذ الخائن من كتاب « أصل الشيعة وأصولها » الذي ألفه المرجع الأعلى كاشف الغطاء .

فإذا كان كاشف الغطاء هو المرجع الديني الأعلى وزعيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف كما يعترف الموسوي في الصفحة 158 من كتابه ، وإذا كان الموسوي يفتخر علينا بالشّهادة العليا التي نالها من حضرته قبل ثلاثين عاماً ،

فلماذا يسخر - الموسوي التلميذ الصغير - من معتقدات أستاذه العظيم الذي علّمه وأعطاه شهادة عليا على حدّ زعمه؟

فإن كان المرجع الديني الأعلى وزعيم الحوزة العلمية الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء على حقّ ومعتقداته صحيحة فالموسوي على باطل ومعتقداته كلّها فاسدة .

وإن كان المرجع الديني الأعلى على باطل ومعتقداته غير صحيحة فيسخر منها الموسوي ويُفنّدها ، فيلزّمه في هذه الحالة أن لا يكذب على الناس ويموّه بأنّ شهادته العليا في الفقه الإسلامي (الاجتهاد) قد حصل عليها من سماحته .

وإذا كانت معتقدات موسى الموسوي هي الصحيحة كما يدّعي هو في كتابه فقد كفر جدّه السيد أبا الحسن الموسوي الأصفهاني الذي يقول عنه هو نفسه بأنّه أكبر زعيم وقائد ديني عرفه تاريخ التشيع منذ الغيبة الكبرى وحتى هذا اليوم .

كما كفر أستاذه ومانحه الشهادة العليا كاشف الغطاء وكفر ملايين الشيعة من نشأتهم بعد السّقيفة إلى يومنا هذا .

وإني كما عاهدتُ ربّي أن أتبيّن في الأمر قبل الحكم عليه عندما قرأتُ كتاب موسى الموسوي «الشيعة والتصحيح» أقبلتُ عليه بكل جوارحي علّني أدرك فيه ما فاتني وأكمل ما ينقصني فإذا بي لا أجدُ فيه إلّا الأكاذيب والتناقضات وإنكار ما هو ثابت بنصّ القرآن والاستهزاء بسنّة النبي ومخالفة إجماع المسلمين ، وأدركتُ أنّ الموسوي لم يكلف نفسه قراءة صحيح البخاري فقط والذي هو أصحُّ الكتب عند «أهل السنّة والجماعة» والذي يريد الموسوي حسب «تصحيحه» أن ينضمّ إليهم الشيعة ويتركوا أوامر الله ورسوله ، ولو قرأ هذا العالم الفذّ!! الذي حصل على الشهادة العليا في الفقه الإسلامي «الاجتهاد» وعمره على ما يبدو عشرون عاماً (ما شاء الله يؤتي الحكمة مَنْ يشاء) ، لأنّه حصل بعدها على شهادة الدكتوراه في التشريع الإسلامي من جامعة طهران عام 1955 ولا تنسَ أنّه ولد في النجف الأشرف عام 1930 ، كما حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة باريس «السوربون» عام 1959 .

أقول لو كَلَّفَ نفسه قراءة صحيح البخاري فقط وهو كتاب موثوق عند «أهل السنة والجماعة» لما وقع في هذه الورطة التي سوف لا يجد منها مخرجاً إلا بالتوبة النصوحة والرجوع إلى الله . وإلا سوف لن تنفعه الشهادات العليا ولا الألقاب الخلافة ولا الأموال المبدولة التي تُصرف لتفريق المسلمين . قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أموالهم ليَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الأنفال : 36-37) .

وعلى كل حال ، فكتابه مليء بالتناقضات التي يتعثر فيها كل باحث ، وإذا كان الموسوي يرى في نفسه الكفاءة لتصحيح مذهب الشيعة في عقائدهم وأحكامهم ، فأنا أدعوه لمقابلة تلفزيونية وندوة علمية يحضرها مَنْ يشاء من الباحثين والمحققين ليعرف الناس بعدها مَنْ هو المحتاج إلى التصحيح وهو ما يدعوه له القرآن الكريم وما وصل إليه الفكر الحر في أرقى المجتمعات ، حتى يتبين المسلمون أمرهم فلا يُكفِّروا قوماً بجهالة ويصبحوا بعد ذلك نادمين .

﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (البقرة : 111) .

بقي شيء واحد لا بد لنا أن نُصَفَ فيه الدكتور الموسوي وهو ما ذكره في «تصحيحه» في ثلاثة عناوين رئيسية :

1- ضرب القامات في يوم عاشوراء .

2- الشهادة الثالثة (علي ولي الله) .

3- الإرهاب .

أما ضرب القامات بالسلاسل والزناجيل ، فإنه ليس من عقائد الشيعة ولا من الدين وإنما هو من أعمال العوام ، ولا يختص بالشيعة وحدهم ، فهناك من أهل السنة والجماعة ومن الطريقة العيساوية المعروفة في كل شمال إفريقيا مَنْ يفعل أكثر من الشيعة ولا يقصدون بها حزناً على الحسين ولا على مصاب أهل البيت (عليهم السلام) .

ونحن نوافق الدكتور على تصحيحه ونعمل معه لرفع هذه المظاهر عن كل

المسلمين ، مادام هناك من علماء الشيعة المخلصين مَنْ يحترم ذلك ويسعى لإبطاله كما اعترف بذلك الموسوي نفسه .

أما الشهادة الثالثة (أشهد أن علياً ولي الله) ، فإن الموسوي نفسه يعرف جيداً بأن كل علماء الشيعة يقولون بأنها ليست جزءاً من الأذان ، بل إذا جيء بها بنية الوجوب أو بنية أنها جزء من الأذان أو الإقامة بطل الأذان والإقامة . والموسوي يعرف جيداً هذه الحقيقة ، ولكنه يروم التهريج بأية مفردة تخدم هدفه المريب .

أما الإرهاب فنحن نرفضه رفضاً تاماً كما يرفضه الدكتور الموسوي ولكن كان على الدكتور الموسوي أن لا يلصق هذه التهمة الشيعة بالشيعة ، فموجة الإرهاب التي عُرفت في السنوات الأخيرة هي نتيجة حتمية للصراع القائم بين الشرق والغرب ، بين الشمال والجنوب ، بين المستكبرين والمستضعفين ، بين الغاصبين والمغصوبين .

ولماذا يربط الدكتور الموسوي أعمال الحشاشين بالشيعة؟ والتاريخ يشهد أن الشيعة استُهدفت على مر التاريخ من كل الفرق ومن كل الحكومات والمستعمرين ، ومع ذلك كانوا يرفضون الإرهاب بكل أشكاله وألوانه .

ولماذا لا يتكلم الموسوي عن إرهاب معاوية وما قام به من اغتالات في صفوف المسلمين حتى اغتال الإمام الحسن بالسم . وكان يغتال معارضيه من المؤمنين الصادقين بالسم ثم يقول : إن الله جنوداً من عسل .

وهل الحركات الإسلامية في العالم والتي اتصفت بالإرهاب في فلسطين وفي مصر والسودان وفي تونس والجزائر وفي أفغانستان وغيرها في بلاد الغرب مثل الباسك والكورس وإيرلندا وغيرها من بلاد العالم ، هل هؤلاء من الشيعة؟

وإذا كان الدكتور الموسوي يقصد بالإرهاب هو خطف الرهائن وتحويل الطائرات ونسفها ، فإن المناضلين من الشعب الفلسطيني الذين شردتهم إسرائيل وطردتهم من بيوتهم هم الذين اختطفوا الرهائن في ملعب مونيخ إبان الألعاب الأولمبية لسنة ٧٢ وقتلوا بعض المشاركين من الإسرائيليين وحولوا بعض الطائرات ونسفوها ، كل ذلك ليوقفوا ضمير العالم ويعرفوا بقضيتهم ومظلمتهم التاريخية التي لم تعرف البشرية مثلها .

ويشهد الموسوي بأن هؤلاء ليسوا من الشيعة، وإذا كان الدكتور الموسوي يتأثر بوكالات الأنباء الأجنبية التي تحاول جهدها إلصاق هذه التهمة بالشيعة من أجل المواقف السياسية والعداء المفرط للثورة الإسلامية، فإن هذه الأوساط تضع في قائمة الإرهاب الدولي كلاً من ليبيا وسوريا والعراق على رأس القائمة، وكل هؤلاء ليسوا من الشيعة ضرورةً.

فلماذا يخصص الدكتور الموسوي الشيعة بالإرهاب في كتابه «الشيعة والتصحيح» وهو نفسه يقول في صفحة ١٢٢ بأن الدولة الشيعة الإيرانية لا ولن تستطيع أن تتحدث باسم الشيعة جميعاً، بل وحتى باسم الشيعة في إيران. وإذا كان الأمر كذلك فعلى الدكتور تصحيح مفاهيمه.

وهكذا وبهذا نكون قد أنصفنا الدكتور الموسوي وبيّنا الحق من الباطل والصحيح من السقيم.

وأثبتنا للقراء الكرام بأن عقائد الشيعة الإمامية كلّها صحيحة وسليمة لأنها وليدة القرآن الكريم والسنة النبوية.

وأن ما يحاوله المغرضون والمشاغبون أعداء الله ورسوله وأعداء الإسلام من اتهامات مُزيّفة وإشاعات باطلة للطعن بعقائد المتمسكين بالعترة الطاهرة سيؤول كلّ بالفشل ويذهب جفاء، قال تعالى:

﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيُذْهِبُ جَفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (الرعد: ١٦).

ونسأله سبحانه وتعالى أن يهدينا جميعاً ويوفقنا لما يحبّ ويرضى ويلهمنا رشدنا، ويرفع مقتله وغضبه عنا، ويفرّج كربتنا بحضور الحجة المنتظر، ويعجّل لنا ظهوره، إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وأفضل الصّلاة وأزكى التسليم على المبعوث رحمةً للعالمين سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله الطيّبين الطّاهرين.

المذنب الذي لا يرجو إلاّ رحمة ربّه وشفاعة رسوله

محمد التيجاني السّماوي

مصادر الكتاب

- | | | | |
|----|--------------------------|---------------|-----------------------------------|
| ٤ | صحيح النسائي . | القرآن الكريم | |
| ٥ | صحيح ابن ماجه . | ١ | التفسير الكبير للفخر الرازي . |
| ٦ | صحيح أبي داود . | ٢ | تفسير الطبري . |
| ٧ | مستدرک الحاكم . | ٣ | تفسير ابن كثير . |
| ٨ | مسند الإمام أحمد . | ٤ | تفسير الخازن . |
| ٩ | سنن الدارمي . | ٥ | تفسير السيوطي . |
| ١٠ | سنن الدارقطني . | ٦ | أحكام القرآن للجصاص . |
| ١١ | سنن البيهقي . | ٧ | تفسير القرطبي . |
| ١٢ | موطأ الإمام مالك . | ٨ | تفسير الألوسي . |
| ١٣ | تنوير الحوالك . | ٩ | تفسير غرائب القرآن للنيسابوري . |
| ١٤ | خصائص النسائي . | ١٠ | شواهد التنزيل للحسكاني . |
| ١٥ | كنز العمال . | ١١ | الدر المثور في التفسير بالمأثور . |
| ١٦ | منتخب كنز العمال . | | |
| ١٧ | منهاج السنة لابن تيمية . | | كتب الأحاديث |
| ١٨ | الجامع الصغير للسيوطي . | ١ | صحيح البخاري . |
| ١٩ | الجامع الكبير للسيوطي . | ٢ | صحيح مسلم . |
| ٢٠ | جمع الجوامع للسيوطي . | ٣ | صحيح الترمذي . |

٢١ أصول الكافي .	كتب السيرة
٢٢ بصائر الدرجات .	١ الإصابة في تمييز الصحابة .
٢٣ لسان الميزان للذهبي .	٢ أسد الغابة لابن الأثير .
٢٤ لسان الميزان لابن حجر .	٣ الطبقات الكبرى لابن سعد .
٢٥ اللؤلؤ والمرجان .	٤ طبقات الفقهاء .
٢٦ مناقب الشافعي .	٥ طبقات الخنابلة .
٢٧ مناقب أحمد بن حنبل .	٦ الملل والنحل للشهرستاني .
٢٨ مصنف الهداية .	٧ العقد الفريد لابن عبد ربه .
	٨ الصواعق المحرقة لابن حجر .
كتب التاريخ	٩ البداية والنهاية لابن كثير .
١ تاريخ ابن عساكر	١٠ تذكرة الحفاظ للذهبي .
٢ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .	١١ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي .
٣ تاريخ الخلفاء لابن قتيبة .	١٢ فرائد السمطين للحمويني .
٤ تاريخ الخلفاء للسيوطي .	١٣ مقدمة ابن خلدون .
٥ تاريخ المدائني .	١٤ ظهر الإسلام لأحمد أمين .
٦ تاريخ الواقدي .	١٥ مناقب الخوارزمي .
٧ تاريخ الطبري «الكبير» .	١٦ شرح نهج البلاغة للمعتزلي .
٨ تاريخ ابن الأثير «الكامل» .	١٧ شرح نهج البلاغة لمحمد عبده .
٩ تاريخ المسعودي .	١٨ أعلام الموقعين .
١٠ تاريخ أعثم .	١٩ أنساب الأشراف للبلاذري .
١١ تاريخ أبي الفداء .	٢٠ الاستيعاب لابن عبد البر .
١٢ تاريخ يعقوبي .	٢١ الرياض النضرة للطبري .
	٢٢ أعلام النبلاء للذهبي .
	٢٣ تلخيص الذهبي .

كتب مختلفة

- | | |
|--------------------------------------|-----------------------------------|
| ١٩ عبقرية خالد لعبّاس العقّاد . | ١ تقييد العلم للخطيب البغدادي . |
| ٢٠ الاحتجاج للطبرسي . | ٢ جامع بيان العلم لابن عبد البر . |
| ٢١ أبو هريرة لمحمود أبي رية . | ٣ الصّلة بين التّصوّف والتّشيع . |
| ٢٢ فتح الباري لابن حجر . | ٤ معالم المدرستين للعسكري . |
| ٢٣ مقالات الإسلاميين . | ٥ الفتنة الكبرى لطفه حسين . |
| ٢٤ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة . | ٦ تهذيب التهذيب لابن حجر . |
| ٢٥ غاية المرام . | ٧ أحمد بن حنبل لأبي زهرة . |
| ٢٦ الإمام الصادق للشيخ أبي زهرة . | ٨ أصول الفقه للشيخ أبي زهرة . |
| ٢٧ جمهرة رسائل العرب . | ٩ ملخص أبطال القياس لابن حزم . |
| ٢٨ الصّحابة في نظر الشيعة الإمامية . | ١٠ النّصائح الكافية لابن عقيل . |
| ٢٩ كتاب الكبائر للذهبي . | ١١ رسائل الخوارزمي . |
| ٣٠ كتاب الصّارم المسلول . | ١٢ المعجم الكبير للطبراني . |
| ٣١ كتاب معين الحكّام . | ١٣ فيض القدير للشوكاني . |
| ٣٢ كتاب تلقيح فهم الآثار . | ١٤ المحلّي لابن حزم الظاهري . |
| ٣٣ إحياء علوم الدّين للغزالي . | ١٥ الفتاوى الواضحة لباقر الصّدر . |
| ٣٤ نظرية الإمامة لمحمود صبحي . | ١٦ شرح المواهب للزرقاني . |
| ٣٥ ثمّ اهتديت للمؤلّف . | ١٧ المراجعات لشرف الدّين . |
| ٣٦ مع الصّادقين للمؤلّف . | ١٨ النّص والاجتهاد لشرف الدّين . |
| ٣٧ فاسألوا أهل الدّكر للمؤلّف . | |

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩
التعريف بالشّيعة	١٧
التعريف بأهل السنّة	٢٣
أولّ حادث فرّق المسلمين إلى شيعة وسنّة	٢٧
الحادث الثّاني في مخالفتهم للسنّة النّبوية	٢٩
الحادث الثّالث الذي أبرز الشّيعية في مقابل أهل السنّة	٣١
السنّة النّبوية بين الحقائق والأوهام	٣٧
«أهل السنّة» لا يعرفون السنّة النّبوية	٤٥
«أهل السنّة» وعحق السنّة	٥٢
الشّيعية في نظر «أهل السنّة»	٦٣
«أهل السنّة والجماعة» في نظر الشّيعية	٦٧
التعريف بأئمّة الشّيعية	٧١
التعريف بأئمّة «أهل السنّة والجماعة»	٧٥
النّبي (ص) هو الذي عيّن أئمّة الشّيعية	٨٢
حكّام الجور هم الذين نصبوا أئمّة «أهل السنّة»	٨٨
السّرّ في انتشار المذاهب السّنيّة	٩٢
لقاء مالك بن أنس مع أبي جعفر المتصور	٩٨

١٠١	تعليق لا بدّ منه لفائدة البحث والتحقيق
١٠٦	إختبار الحاكم العباسي لعلماء عصره
١١٣	حديث الثقلين عند الشيعة
١١٥	حديث الثقلين عند «أهل السنة»
١١٧	كتاب الله وعترتي أو كتاب الله وستي
١٢٦	مصادر التشريع عند الشيعة
١٢٩	مصادر التشريع عند «أهل السنة والجماعة»
١٣٨	تعليق لا بدّ منه لإكمال البحث
١٤٣	التقليد والمرجعية عند الشيعة
١٤٦	التقليد والمرجعية عند «أهل السنة والجماعة»
١٤٩	الخلفاء الراشدون عند الشيعة
١٥٢	الخلفاء الراشدون عند «أهل السنة والجماعة»
١٥٥	النبي (ص) لا يقبل تشريع «أهل السنة والجماعة»
١٥٨	تنبيه لا بدّ منه
١٥٩	عداوة «أهل السنة» لأهل البيت تكشف عن هويتهم
١٦٤	تحريف «أهل السنة والجماعة» كيفية الصلاة على محمد وآله
١٦٨	أكاذيب تكشفها حقائق
١٧٠	أئمة «أهل السنة والجماعة» وأقطابهم
١٧١	أبو بكر بن أبي قحافة الخليفة الأول «الصدّيق»
١٧٤	عمر بن الخطّاب «الفاروق»
١٧٨	عثمان بن عفّان «ذو النورين»
١٨٣	طلحة بن عبيد الله
١٨٨	الزبير بن العوّام
١٩٥	سعد بن أبي وقاص

٢٠٢	عبد الرحمان بن عوف
٢٠٦	عائشة بنت أبي بكر «أم المؤمنين»
٢١٢	خالد بن الوليد
٢٢٠	أبو هريرة الدوسي
٢٢٨	عبدالله بن عمر بن الخطاب
٢٣٦	عبدالله بن الزبير
٢٤٤	السنة النبوية لا تخالف القرآن عند الشيعة
٢٤٧	السنة والقرآن عند «أهل السنة»
٢٥٦	الأحاديث النبوية عند «أهل السنة» متناقضة
٢٦٢	كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية والرد عليه
٢٦٤	رد معاوية على محمد بن أبي بكر
٢٧١	الصحابة عند شيعة أهل البيت (عليهم السلام)
٢٧٥	الصحابة عند «أهل السنة والجماعة»
٢٨٠	فصل الخطاب في تقييم الأصحاب
٢٨٧	مخالفة «أهل السنة والجماعة» للسنة النبوية
٢٨٨	نظام الحكم في الإسلام
٢٩٢	القول بعدالة الصحابة يخالف صريح السنة
٢٩٥	النبي (ص) يأمر المسلمين بالاعتداء بعترته وأهل السنة يخالفونه
٢٩٨	«أهل السنة والجماعة» ومودة أهل البيت (عليهم السلام)
٣٠٣	«أهل السنة والجماعة» والصلاة البتراء
٣٠٦	عصمة النبي (ص) وتأثيرها على «أهل السنة والجماعة»
٣٠٩	مع الدكتور الموسوي و «التصحيح»
٣٢١	مصادر الكتاب
٣٢٥	فهرس الموضوعات